

تنظيم حراس الدين

صعود القاعدة وأفولها في المشرق العربي

محمد أبو رمان

حسن أبو هنيّة



FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

تنظيم «حُرَّاس الدِّين»

صعود «القاعدة» وأفولها في المشرق العربي

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(2021/6/3527)

322
أبو رمان، محمد سليمان،
تنظيم «حُرَّاس الدِّين» ... صعود «القاعدة» وأفولها في المشرق العربي/ محمد سليمان أبو رمان، حسن محمود أبو هنية.- عمان: مؤسسة فريدريش ايبرت، 2021
(256) ص.
ر. إ.: 2021/6/3527.
الواصفات: / التطرف الديني/ الإرهاب الدولي/ الأيديولوجيا الجهادية / تنظيم القاعدة / البلدان العربية /
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الناشر **مؤسسة فريدريش ايبرت ، مكتب الأردن و العراق**
تم بتشولات، المدير المقيم لمؤسسة فريدريش ايبرت - الأردن والعراق
مؤسسة فريدريش ايبرت - مكتب عمان
صندوق بريد: 941876 عمان 11194 الأردن
البريد الالكتروني: fes@fes-jordan.org
الموقع الالكتروني: www.fes-jordan.org

غير مخصص للبيع

- تصميم الغلاف: جهاد غرايبة
- التصميم الداخلي: إيمان خطاب
- تحرير لغوي: أمجد فيومي

الرقم المعياري الدولي (ردمك): 978-9923-759-34-9

تنظيم «حُرَّاس الدِّين»

صعود «القاعدة» وأفولها في المشرق العربي

حسن أبو هنيّة

محمد أبو رمّان

الإهداء

إلى الشباب العربي الذي يبحث عن أفقٍ مشرق للمستقبل بعيداً عن السياسات والممارسات الاستبدادية التي صادرت أحلامه وحريته، والخطابات العدمية المتطرفة التي أهدرت مصائره وزجّت به في أتون «المحرقة»

المحتويات

مُقَدِّمَة

يُعد تنظيم «حراس الدين» في سوريا الذي أُعلن عن تأسيسه في 27 شباط/ فبراير 2018، النسخة الأحدث لمشروع القاعدة في المشرق العربي عموماً وفي بلاد الشام خصوصاً، فمنذ اندلاع الحركة الاحتجاجية السلمية في سوريا منتصف آذار/ مارس 2011، ثم تحول الاحتجاجات إلى حالة عسكرية مسلحة، دخل تنظيم «القاعدة» في فترة مبكرة إلى الساحة السورية لتنفيذ مشروعه الواسع الخاص في المشرق العربي، فعملت «القاعدة» على استثمار حالة الفراغ والفوضى وعجز النظام السوري عن فرض سيطرته على أراضيه، بإنشاء هياكل تنظيمية جهادية متعددة وملاذات مكانيّة آمنة.

لقد استثمرت القاعدة خبراتها الطويلة في الصراعات، للتكيّف مع التحولات والتطورات والمتغيرات التي شهدتها سوريا خلال مراحلها وأطوارها المعقدة وتحولها إلى ساحة للصراعات الإقليمية والدولية في إطار «حروب الوكالة»، وسرعان ما أصبحت سوريا أهم ساحة قتالية جهادية للحركات الجهادية المعولمة، فتقاطر جهاديو القاعدة المعولمون من شتى بقاع الأرض، وانخرطوا في جماعات جهادية عديدة للتعمية على صلاتهم التنظيمية وانتماءاتهم الأيديولوجية.

أصبح للقاعدة بعد الربيع العربي نفوذ، وأيّ نفوذ في منطقة المشرق العربي! فالقاعدة لم تكن قبل احتلال العراق سنة 2003، تمتلك أي وجود حقيقي تنظيمي فيها، حتى أتى الزرقاوي وكوّن جماعته الخاصة، ثم انضم إلى القاعدة نهاية العام 2004، وامتد بعملياته وشبكته إلى دول الجوار القريب، وأسس تنظيم كتائب عبدالله عزام قبل أن يُقتل في سنة 2006 بقصف أمريكي، ثم يبدأ تنظيمه بعد عامٍ من ذلك بالتراجع والأفول، وفقدان السيطرة المكانية، والعودة إلى حرب العصابات إلى أن جاءت اللحظة المناسبة، وحدثت الطفرة الكبرى مع تنامي الحركات الاحتجاجية 2011، وعاد التنظيم ليعمل بقوة في العراق ويحقق انتصارات كبيرة وسريعة، ويسيطر لاحقاً على الأنبار، والموصل، ومناطق شاسعة من العراق.

في تلك الأثناء، كانت جبهة النصرة وبدعم مباشر من القاعدة في العراق، تنشط في سوريا منذ العام 2012، وبالرغم من حرص زعيمها أبو محمد الجولاني على إخفاء علاقته بتنظيم القاعدة، إلاّ أنّ النصرة تمكنت خلال فترة وجيزة من استقطاب آلاف الجهاديين الأجانب القادمين من الخارج، وتجنيد الآلاف من الجهاديين في الداخل، لتصبح النصرة من أكثر الجماعات المسلحة قوة وفعالية وخطورة في مواجهة النظام السوري، إن لم تكن الأخطر.

إلى تلك اللحظة، كانت القاعدة الأم تشعر بأنّ مخطط اقتحام الشام يسير بنجاح كبير، وأنّ الأبناء (في العراق وسوريا) يمثلون امتداداً للمشروع الأيديولوجي والسياسي، الذي أقامه أسامة بن لادن ورفاقه، قبل مقتله بمخبئه في باكستان في العام 2011، وتولي رفيقه، أيمن الظواهري قيادة التنظيم.

انقلبت الأمور رأساً على عقب بعد ذلك، فالخلافات العميقة الخفيّة والساكنة بين مشروع الزرقاوي وتنظيمه في العراق؛ والتنظيم الجديد في سوريا

«جبهة النصرة» بدأت بالظهور، ثم انفجرت مع إعلان أبو بكر البغدادي في 9 نيسان 2013 ضم جبهة النصرة لتنظيمه، وإقامة الدولة الإسلامية في العراق والشام (التي أصبحت تختصر لاحقاً بعبارة داعش)، ما دفع بالجولاني لكشف وإظهار بيعته للتنظيم الأمّ في خراسان، ولاحقاً ينحاز الظواهري للجولاني، وتبدأ المعارك الإعلامية والتنظيمية والفكرية بين الطرفين؛ القاعدة والنصرة من جهة، وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام من جهةٍ أخرى، والذي أعلن الخلافة لاحقاً وتوّج شيخه أبو بكر البغدادي خليفة للمسلمين.

لم يقتصر الأمر على الخلافات في أوساط القاعدة في المشرق العربي (العراق وبلاد الشام)، بل دخل فيها التنظيم الأم (القاعدة المركزية)، وانتقلت الانقسامات والاستقطابات إلى أرجاء المعمورة الجهادية كافّة، بعد أن انقسم جهاديو العالم بين الاتجاهين (القاعدة وداعش)، ولا نبالغ -هنا- إن قلنا منهجين، لأنّ منهج داعش لم يكن فقط طفرة تنظيمية أو حركية، بل أيضاً طفرة أيديولوجية، فقد أحدث نقلة فكرية وعملية نوعية كبيرة في تاريخ الجهادية العالمية، وفي طرائق التجنيد وأساليبه واستراتيجياته العسكرية وحتى تكتيكاته القتالية، وهو الأمر الذي ناقشه مؤلفا هذا الكتاب، في كتابٍ سابق بعنوان «الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية».

بعد ثلاثة أعوام حدث تطوّر آخر صادم لتنظيم القاعدة، عندما ظهرت بوادر انشقاق الفرع السوري للقاعدة، الذي شرع بالابتعاد عن صلاته وارتباطاته بالقاعدة تدريجياً، وذلك بعد إعلان «جبهة النصرة» في البداية عن فك ارتباطها صورياً وشكلياً عن القاعدة، والإعلان عن تشكيل «جبهة فتح الشام» منتصف عام 2016، حيث برزت خلافات عميقة وانقسامات حادة حول جدوى إعلان

«فك الارتباط»، الذي سرعان ما تحول من الإطار الافتراضي الشكلي إلى المجال الواقعي الموضوعي عقب الإعلان عن تأسيس «هيئة تحرير الشام» بداية عام 2017، ودخلت القاعدة في معارك وسجالات إعلامية وسياسية وأيديولوجية شبيهة بتلك التي حدثت سابقاً مع تنظيم الدولة، وانتهى الصراع إلى صدام وقطيعه واضحة بين الطرفين، فقرر أنصار القاعدة أو الجناح الجهادي المعولم المتبقي لها في سوريا، وفي العراق أيضاً، تأسيس التنظيم الجديد «حراس الدين»، الذي يمكن أن يقال أنّه أشبه بولادة من الخاصرة.

* * *

يتتبع هذا الكتاب مسار ظهور مشروع القاعدة وأفوله في المشرق العربي عموماً وبلاد الشام خصوصاً، ونركّز هنا على ما حدث في سوريا، تحديداً[1]، ولأنّ التطورات المهمة التي يركز عليها الكتاب حدث أغلبها منذ بداية تراجع تنظيم الدولة الإسلامية، وبروز الانشقاقات بين النصرة والقاعدة، وفي أوساط النصرة نفسها، ولأنّ الحالة السورية تختلف، أيضاً، في كثير من الجوانب عن الحالة العراقية، من زاوية الاعتبارات الجيوإستراتيجية، والمجتمعية، والسياسات الدولية والإقليمية، ثم خصوصية حالة «إدلب» والتوازنات الداخلية والخارجية التي شكّلتها في سوريا، منذ بدء جولات الحوار التركي- الروسي في أستانا وسوتشي.

(1) تناولنا ظهور التنظيم وتطوّره في العراق في دراسة سابقة بعنوان «تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنيّة والصراع على الجهادية العالمية.

لماذا تنظيم حراس الدين؟!

سؤال مشروع ومهم، لأنّه تنظيم بمقاييس القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية والنصرة صغير، محدود الحجم، يعاني من أزمات كبرى منذ البداية. والجواب على ذلك أنّ أهمية الحديث عن التنظيم، الذي يتناوله الكتاب في الفصول الأخيرة، لا ترتبط بالتنظيم نفسه، بل بما وصل إليه مشروع القاعدة في المشرق العربي، بعد أن انفصل الأبناء عن الأمّ، فالكتاب يمثّل رحلة في التضاريس الأيديولوجية والتنظيمية والحركية لمشروع القاعدة في بلاد المشرق العربي، منذ الجذور الأولى لمشروع القاعدة في بلاد الشام، وصولاً إلى «الحرّاس»، وهي تضاريس تتشكّل في التحول بداية من الجهاد المحلي القريب إلى «عولمة الجهاد» البعيد، ثم مشروع الزرقاوي في العراق الذي دمج البعدين، فالحالة السورية، وبروز النصرة، وما رافق ذلك كلّه من خلافات أيديولوجية ومراجعات قامت بها القاعدة المركزية ونقاشات فكرية وظروف سياسية وسياسات خارجية ساهمت في صعود التنظيمات القاعدية وفي تراجعها، وفي انشقاق هيئة تحرير الشام عن القاعدة المركزية، وصولاً إلى حراس الدين صعوداً وتراجعاً.

يتضمن الكتاب ثمانية فصول رئيسية، تبدأ بتتبع بدايات وتحولات الأيديولوجيا الجهادية، مروراً بمحطات جهادية رئيسية، وصولاً إلى احتلال العراق، ثم الربيع العربي، فالانشقاقات المتتالية، وأخيراً تنظيم حراس الدين وأيديولوجيته وبنيته التنظيمية.

في الفصل الأول يتناول الكتاب التدرج في مشروع الجهادية العالمية من الجماعات المحلية (التي تأسست على أفكار التوحيد والحاكمية والجهاد)، مروراً بالجهاد التضامني منذ حقبة أفغانستان وحتى منتصف التسعينيات، وصولاً إلى

مشروع القاعدة، وإعلان الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين (1998)، والانتقال من مشروع قتال الأنظمة العربية القريبة إلى قتال الولايات المتحدة الأميركية البعيدة، وتناول التطور التاريخي لوجود القاعدة في المنطقة، وصولاً إلى مرحلة الربيع العربي، وذلك بتتبع مسارات القاعدة منذ النشأة والتأسيس إلى مرحلة الإعلان عن تأسيس الجبهة العالمية الإسلامية 1998، وأحداث 11 سبتمبر 2001، وتشكّل فرع القاعدة في العراق بعد الاحتلال الأمريكي 2003.

وفي الفصل الثاني يراجع الكتاب أبرز معالم طريق القاعدة إلى المشرق العربي، بداية من دور المؤسس الفعلي له في هذه المنطقة، أبو مصعب الزرقاوي، مروراً بمحاولته التمدد من العراق إلى بلاد الشام، ثم مرحلة الربيع العربي الذي تزامن وساعد على قيام القاعدة بمراجعات فكرية وإستراتيجية، وصولاً إلى التمدد والانتشار في العراق وسوريا.

أما الفصل الثالث فيتوقف قليلاً، مبتعداً عن متابعة هذا المسار التاريخي ليراجع مكانة بلاد الشام وسوريا وفلسطين الإستراتيجية في أدبيات القاعدة، ويسلط الضوء على أدبيات الجهاد الأولى التي كانت تركز على العدو القريب، أي الأنظمة المحلية العربية، ثم التحول إلى العالمية الذي حدث مع عولمة الجهاد، والقفزة التي حدثت في خطاب بن لادن والزرقاوي لتصبح فلسطين على رأس أولويات دعاية القاعدة وخطابها الفكري والسياسي.

أما الفصل الرابع فيختص بتأسيس جبهة النصرة بوصفها وجه القاعدة الجديد في المشرق العربي، بعد أن دفعت المراجعات نحو تغييرات في التكتيك والخطاب، بما في ذلك التحول نحو ما يسمى جماعات «أنصار الشريعة»، ومحاولة الاندماج في المجتمعات المحلية، ثم الخلافات التي قفزت إلى السطح بين منهجي

الزرقاوي والظواهري، ودور السياسات الدولية ولعبة الجيوبوليتيك التي رسمت اعتبارات مختلفة للمشهد السوري عن العراقي، مما انعكس على أولويات كل من تنظيمي الدولة الإسلامية وجبهة النصرة.

وفي الفصل الخامس نتوقف في الرحلة مرّة أخرى لنفكك طبيعة الخلافات التي أدت إلى انشطار القاعدة والاتجاهات الأيديولوجية المتنافسة، وبروز منهجين في البداية متباينين، ثم انشقاق النصرة وبروز منهج أيديولوجي وطريق فكري ثالث.

يخصص الفصل السادس عملية الانفصال عن القاعدة التي حدثت وحيثياتها مع جبهة النصرة، التي تحولت إلى جبهة فتح الشام، ثم هيئة تحرير الشام، وموقف القاعدة من الانفصال، والحرب الإعلامية المتبادلة بين الطرفين، ثم تشكيل «لجنة حطين» من كبار قيادات القاعدة، التي تولت مسؤولية إدارة الملف السوري، في ظل اختفاء الظواهري لثلاثة أعوام تقريباً، بسبب الرقابة الأمنية العالمية. ويحلل الفصل -كذلك- الاختلافات والصراعات التي حدثت في أوساط الهيئة بين الجناح الجهادي المعولم (ومجموعة خراسان) من جهة وزعيم تنظيم النصرة أبو محمد الجولاني، والتفريخات التي حدثت في أوساط الرافضين لعملية فك الارتباط بالقاعدة، ثم نحلل تأثير السياسات الدولية والإقليمية على عملية الانفصال وموقف الإدارات الأميركية المتعاقبة من هيئة تحرير الشام.

يصل الفصل السابع إلى تنظيم «حراس الدين»، ويتناول البنية التنظيمية والعمليات العسكرية والجغرافيا الحركية له، والتحالفات التي عقدها مع الفصائل المختلفة في إدلب، والنزيف المستمر لقياداته بين سندان الطيران الأمريكي ومطرقة هيئة تحرير الشام التي أرادت السيطرة على كامل إدلب وإعادة تأهيل دورها إقليمياً وعالمياً.

أمّا الفصل الثامن فيحلل أيديولوجيا حراس الدين والخلافات الفكرية والأزمة التنظيمية والرؤية الإستراتيجية وتكتيك التنظيم الجديد، ثم خاتمة الفصل التي تتناول تراجع التنظيم وضعف قدراته وتدهور الرهان الأخير للقاعدة في الشام.

وأخيراً نقدّم في خاتمة الكتاب إطاراً تحليلياً لأبرز معالم التحول الأيديولوجي والأسباب التي أدت إلى صعود مشروع القاعدة وأفوله في العراق وبلاد الشام.

❋ ❋ ❋

الفصل الأول

تمهيد تاريخي: القاعدة وعولمة الجهاد

إن الأحداث التي أثرت في نفسي بشكل مباشر ترجع إلى عام 1982 وما تلاها من أحداث، عندما أذنت أميركا للإسرائيليين باجتياح لبنان، وساعد في ذلك الأسطول الثالث الأميركي، وبدأ القصف وقتل وجرح كثيرون، وروّع وشرد آخرون. في تلك اللحظات العصيبة جاشت في نفسي معان كثيرة يصعب وصفها، ولكنها أنتجت شعورا عارماً يرفض الظلم، وولدت تصميماً قوياً على معاقبة الظالمين. وبينما أنا أنظر إلى تلك الأبراج المدمرة في لبنان انقدح في ذهني أن نعاقب الظالم بالمثل وأن ندمر أبراجا في أميركا لتذوق بعض ما ذقنا ولترتدع عن قتل أطفالنا ونسائنا، فتأكد لي يومها أن الظلم وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء عن عمد قانون أميركي معتمد، والترويع حرية وديمقراطية، وأما المقاومة فإرهاب ورجعية».

أسامة بن لادن 2004



تطورت أيديولوجية الجهادية العالمية عبر سلسلة من المراحل التاريخية والظروف السياسية والتحولات الاجتماعية. فالمنطلقات الفكرية للجهادية العالمية ترتبط بتراث المدرسة السلفية الوهابية، والمدرسة السلفية الحركية بترسيمتها الإخوانية القطبية، والمودودية، إذ ترتبط السلفية الجهادية المعاصرة ارتباطاً وثيقاً بتراث محمد ابن عبدالوهاب في نجد (1703–1791)، وبتراث حسن البنا (1906–1949)، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام 1928، وأطروحات أبو الأعلى المودودي في شبه القارة الهندية (1903–1979)، مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان في مطلع الأربعينات من القرن الماضي، وقد تمتع مفهوم «الجهاد» بأهمية كبيرة في أيديولوجية عبدالوهاب والبنا والمودودي، كأداة تحرر وتحرير من الانحرافات والممارسات المحلية كما قدمته السلفية الوهابية، وفي مواجهة السياسات الاستعمارية وعمليات نزع الهوية كما قولبته الجماعات الإحيائية.

لقد أخذت الأيديولوجية الجهادية طابعاً محلياً مع تشكّل الأنظمة العربية التي جاءت بعد الحرب العالمية الثانية، ففي سياق تأزم العلاقة بين الإخوان المسلمين والسلطة السياسية الناصرية، حيث بدأت تتشكل رؤية إخوانية راديكالية بديلة على يد سيد قطب، الذي دشن أيديولوجية ثورية صريحة تقوم على نقد أسس الدولة الوطنية في البلدان الإسلامية التي حلّت عقب خروج الاستعمار، وذلك من أجل إقامة الدولة الإسلامية التي تكون فيها الحاكمية والسيادة لله وحده.

ثمة عوامل عديدة ساهمت في تشكلات الحركات الجهادية والقتالية المحلية، منها أزمات الهوية المركبة وحالة الاستقطاب بين التيارات الإسلامية والعلمانية، والصدام العنيف بين الأنظمة العربية والإسلاميين، بخاصة في مرحلة السجون والاعتقالات، ثم الخيبات العسكرية العربية في مواجهة المشروع الصهيوني في فلسطين، الذي تمخض عن نكبة عام 1948، ثم هزيمة ونكسة حرب حزيران 1967، هذه الشروط والسياقات التاريخية كان لها دور رئيس بإطلاق العنان لصعود الحركات الإسلامية السياسية عموماً، والجماعات السلفية الجهادية على وجه الخصوص، التي ادعت -بدورها- أنّ أسباب الفشل النهضوي الداخلي، والانهزام العسكري الخارجي للأنظمة الدكتاتورية يعود للأنظمة العلمانية المختلفة، وبالأخص الاشتراكية والقومية، وبسبب بعدها عن الإسلام، والركون إلى سياسات تتسم بالتبعية الخارجية وعدم الاستقلالية.

أفضت تلك المرحلة التاريخية إلى ولادة «سياسات جهادية» تستند إلى مواجهة هذه الأنظمة، وفق منظورات أولوية قتال «العدو القريب»، وبدأت أفكار سيد قطب تأخذ منحى أكثر تأثيراً وأشد حدة ونفوذاً على أفكار جيل كامل من الجهاديين في مصر وخارجها، حيث برزت خلال حقبة السبعينيات تنظيمات «الغضب الإسلامي»[1]، التي كرّست انشغالاتها وحشدت جهودها على الشأن الداخلي، وكرّست نفسها لمواجهة النظام الرسمي وآليات وسبل مواجهته.

(1) أنظر: رفعت سيد أحمد، تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1989.

1. عودة إلى ما قبل القاعدة.. «الأفغان العرب»

دشنت المسألة الأفغانية عام 1979 بروز نمط جديد من الجهاديين مع تنامي سوق الفتاوى الدينية الرامية لإسناد شبكات الجهاد التضامني، التي اعتبرت مسألة الدفاع عن البلدان الإسلامية التي تتعرض لعدوان خارجي فريضة شرعية واجبة، فقد أعلن في العام نفسه عن بدء الجهاد ضد النظام الأفغاني الموالي للإتحاد السوفييتي، ثم الدخول في صدام مسلح مع القوات السوفييتية بعد دخولها إلى أفغانستان، وقد عملت التجربة الأفغانية على استقطاب الجهاديين من كل أنحاء العالمين العربي والإسلامي، وشكّلت بيئة خصبة لاستقطاب رموز الحركة السلفية الجهادية العالمية، أمثال الشيخ عبدالله عزام، وأيمن الظواهري، وأسامة بن لادن، وغيرهم، فظهر جيل من الجهاديين العرب العالميين في أفغانستان، تحت عنوان «الأفغان العرب»، ومن رحم الظاهرة، بدأت تتشكل نواة تنظيم القاعدة.

تزامن اندلاع الحرب الأهلية الأفغانية مع تصاعد الحرب الباردة بين قطبي الصراع العالمي الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد السوفييتي، فقد شكلت جبهة أفغانستان أحد أهم تخوم وحدود الصراع، واغتنمت الولايات المتحدة فرصة دخول القوات السوفييتية إلى «كابول» كذريعة سانحة لتقويض وتفكيك الاتحاد السوفييتي عبر جبهة أفغانستان.

عملت الولايات المتحدة على استثمار تحالفاتها مع الأنظمة العربية الموالية لها في العالمين العربي والإسلامي لزعزعة أركان المنظومة الاشتراكية، وقد نجحت أمريكا في صناعة حلف غربي عربي إسلامي باستثمار «العامل الديني»، ساعدها على ذلك رغبة شديدة من قبل الأنظمة العربية والإسلامية، بالتخلص من الجهاديين المزعجين الذين استهوتهم أيديولوجيا قتال «العدو القريب»، وألهمتهم

الثورة الإيرانية عام 1979، بإمكانية الانقضاض على مؤسسات الدولة الوطنية وتأسيس دولة إسلامية. وبهذا نجحت سياسات الأنظمة العربية والإسلامية -مرحلياً ومؤقتاً- بتصدير «فائض العنف الجهادي» الذي بدأ يشكل إزعاجاً للأنظمة العربية من خلال بناء شبكات جهاد تضامني لتحرير أفغانستان من الغزو السوفييتي. ولم تكن «الجهادية» آنذاك تتوافر على رؤية معادية للولايات المتحدة، بل كانت تربطها بها علاقات ودية وتعاون وثيق، وخصوصا عبدالله عزام وأسامة ابن لادن[1].

استقطب الجهاد الأفغاني معظم رموز ومنظري الحركات الجهادية ومعهم إسلاميين قطبيين، وفي مقدمتهم الشيخ عبدالله عزام، وأسامة بن لادن، وأيمن الظواهري، وبقية جهاديين معروفين، الذين تقاطروا من البلدان العربية إلى أفغانستان، وباشروا بتأسيس معسكرات خاصة بهم[2]، فتشكلت ظاهرة «الأفغان العرب»، التي تمثل أحد أهمّ العوامل التي ساهمت في تنامي الجهاديّة العالمية، وشكّلت الخزان الرئيس لتنظيم القاعدة، فقد استقطب الجهاد الأفغانيّ آلاف الشباب العرب في مجالات الإغاثة والقتال، والذين عادوا لاحقاً إلى بلدانهم الأصلية مشبعين بفكر جهاديّ.

---

(1) ستيف كول، آل بن لادن: وعالم النفط والمال والإرهاب، ترجمة إيمان عبدالغني نجم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص400.

(2) كانت هذه المجموعات تختلف مع القاعدة في توجهاتها نحو قتال العدو البعيد، بعد تأسيس الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكان عام 1998، إلا أن الحرب الأمريكية على الإرهاب، عقب هجمات الحادي عشر من سبتمبر، وغزو أفغانستان عمل على توحيد هذه المجموعات في صفوف القاعدة، أنظر: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص451.

ساندت الولايات المتّحدة مجاميع «المجاهدين»، وقامت بتقديم الدّعم السياسي والعسكري والمادي والإعلامي لاستنزاف الاتحاد السوفيتي في ظل الحرب الباردة[1]. وعلى المستوي الإقليمي العربي والإسلامي بدأت معظم الحكومات بتقديم مساعدات متنوّعة، وسهلّت عمليات التَّطوع والقتال بحجة دعم القضية الأفغانية العادلة، واستقطبت ظاهرة الأفغان العرب أعداد كبيرة من أعضاء وقيادات الجماعات الإسلاميّة المعتدلة والمتشددة والعنيفة لأسباب متعدِّدة، فضلاً عن المستقلين؛ إلا أن النصيب الأكبر من المتطوعين كان من جماعة الإخوان المسلمين وخصوصا التيار القطبي[2]. فالموجة الأولى من الجهاديين كانت أقرب إلى السلفية الإخوانية الحركية أمثال الشيخ عبدالله عزام وأسامة بن لادن، وقد وصل

(1) إبان تلك الفترة حشدت الأنظمة العربية والإسلامية طاقات رموز الحركات الإسلامية للتعبئة والحشد ضد ما أطلق عليه بالخطر الأحمر، وفي هذا السياق ألف الدكتور عبدالله عزام كتابًا بين فيه خطر انتشار الأفكار الشيوعية في العالم العربي، انظر: عبدالله عزام، السرطان الأحمر، مكتبة الأقصى، عمان، 1980.

(2) دار جدل كبير حول علاقة الإخوان المسلمين بتنظيم القاعدة، ولعل الالتباس جاء من كون معظم القيادات التاريخية للقاعدة كانت لها صلات تاريخية تنظيمية بالجماعة، أو كانت ترتبط بصلات فكرية أيديولوجية بجماعة الإخوان، إلا أن الحقيقة تشير إلى أن معظم قيادات القاعدة كانت قد انشقت عن الجماعة بطرائق عدة؛ فالشيخ عبدالله عزام تم فصله من جماعة الإخوان المسلمين في الأردن، أما الدكتور أيمن الظواهري فقد كان مقرباً من جماعة الإخوان المسلمين المصرية، وأسس جماعة الجهاد مع مجموعة من الجناح القطبي الراديكالي في الإخوان، أما أسامة بن لادن، فقد كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين في السعودية، ثم فصل منها.

عدد المتطوعين العرب حوالي أربعين ألف جهادي بحسب المنظر الجهادي أبو مصعب السوري، وبلغ عدد القتلى من المتطوعين العرب قرابة ألف مقاتل[1]،

شكل دخول الشيخ الفلسطيني عبدالله عزام[2] عام 1981 إلى أفغانستان منعطفًا تاريخيًّا في حياة الأفغان العرب، إذ يعتبر وبحق الأب الروحي لهذه

(1) وفقاً لأبي مصعب السوري: «يبلغ عدد المتطوعين في الجهاد الأفغاني من العرب حتى سقوط كابل 1991م، حوالي 40 ألفًا، موزعين على الجنسيّات التالية: السعودية 20 ألف، اليمن 5 آلاف، مصر 4 آلاف، الجزائر 2000، المغرب عدّة مئات، ليبيا عدة مئات، الأردن وفلسطين عدة مئات، إمارات الخليج العربي عدة مئات، تونس والعراق وسوريا ولبنان وموريتانيا والصومال أرقام تتراوح بين العشرات والمئات». انظر: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، ص896. لكن توماس هيغهامر يشكك في هذه الأرقام، ويقدم إحصائية مغايرة تستند إلى مصادر عدة، بأن مجموع المقاتلين الأجانب في الجهاد الأفغاني من 1979–1992 قد يكون 10 آلاف مقاتل تقريباً، بلغت نسبة المقاتلين العرب حوالي 7 آلاف مقاتل، انظر: توماس هيغهامر، القافلة: عبدالله عزام وصعود الجهاد العالمي» ترجمة عبيدة عامر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2021، ص425.

(2) عبد الله عزام: ولد في فلسطين في قرية سيلة الحارثيّة، من أعمال مدينة جنين، سنة 1941، وتلقّى علومه الابتدائيّة والإعداديّة في مدرسة القرية، وقد تابع دراسته الجامعية في جامعة دمشق - كلية الشريعة، وحصل على شهادة الليسانس في الشريعة. وعقب حرب سنة 1967 جاء إلى الأردن، ثم عمل في السعودية مدرسًا لمدة عام، وقد انتسب عزّام في هذه الأثناء إلى جامعة الأزهر، ونال شهادة الماجستير في أصول الفقه عام 1968، حيث عمل بعد ذلك محاضرًا في كلية الشّريعة في عمان بين عامي 1970–1975، ثم أوفد إلى القاهرة للحصول على شهادة الدكتوراه في أصول الفقه، عام 1973. عمل مدرسًا في الجامعة الأردنية –كلية الشريعة– من سنة 1973 إلى سنة 1980، ثمّ فُصل منها سنة 1980، وغادر إلى السعودية للعمل في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة عام 1981، انتقل للعمل في الجامعة الإسلامية الدولية في إسلام أباد في الباكستان، وفي بيشاور انضم إلى العمل =

الظاهرة، فقد عمل على تأسيس «مكتب الخدمات» في تشرين أول/ أكتوبر 1984، وكان المكتب يقوم بمهمات إغاثيّة وإصلاحية ودعوية[1]، وكانت النشاطات العسكرية محدودة، وبالتعاون مع أسامة بن لادن الذي أنشأ في نفس الوقت «بيت الأنصار» في مدينة بيشاور الباكستانيّة، وقد تعاونا في بداية الأمر معاً على توزيع الأدوار، وظل بن لادن يتردد على أفغانستان مقدّماً دعمه المالي للمتطوعين العرب إلى أن تفرغ للعمل الجهادي الميداني في أفغانستان ابتداء من سنة 1986، ثم بدأ ابن لادن يأخذ منحى أكثر استقلالية عبر تأسيس جماعة جهادية مستقلة، وإنشاء معسكرات تدريب، كما بدأ العرب بتنظيم أنفسهم كقوةٍ قتاليّة؛ إذ أنشأوا بين عامي 1984–1985، «مضافة أبي عثمان» في مدينة بيشاور[2].

يعدّ العديد من الباحثين عبدالله عزام بمثابة الأب الروحي للجهادية العالمية، ومؤسس ظاهرة «الأفغان العرب»، وقد عمل على طرح مشروع «الجهاد التضامني» للدفاع عن البلدان الإسلامية التي تتعرض لعدوان خارجي باعتباره فريضة شرعية واجبة، والذي لن يتوقف حتى تحرير فلسطين في رؤيته. وكان عزام قد تأثر بأطروحات سيد قطب الذي شكّل تحولاً في تأسيس الحالة الجهادية

= الجهادي، وقام بتأسيس «مكتب الخدمات» عام 1984م، والذي كانت مهمَّته تكمن في توجيه الرَّاغبين من العرب لخدمة الجهاد الأفغانيّ، وأصبح خلال هذه الفترة أحد أهم المنظرين للحركة الجهاديّة، وعمل على إصدار مجلة «الجهاد»، ونشرة «لهيب المعركة» اغتيل بمدينة بيشاور الباكستانية، في 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 1989 في ظروفٍ لا تزال غامضة.

(1) باسل محمد، صفحات من سجل الأنصار العرب في أفغانستان، شركة دار العلم للطباعة والنشر، الرياض، 1991، ص99.

(2) عبد الله أنس، ولادة الأفغان العرب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى 2002، ص34.

المعاصرة، إذ يعتبر كتابه «معالم في الطريق» بياناً تأسيسياً لفلسفة الحركة الجهادية، على صعيد الرؤية ومنهج الحركة، وآلية التغيير والعمل في سياق الدولة الوطنية ما بعد الكولينيالية والصراع على هوية الدولة والمجتمع، من خلال مفهومي «الحاكمية» و«الجاهلية».

قضى عزام منذ التحاقه بالجهاد الأفغاني معظم وقته وهو يحشد للجهاد في أفغانستان على المسرح الدولي، وعند اغتياله عام 1989؛ كان عزام قد أصبح أسطورة حية، بالنسبة للجهاديين ولكثير من الإسلاميين، وبات المُنِّظر الجهادي الأكثر تأثيراً في العالم[1].

في هذا السياق كان تأثير عبدالله عزام على مؤسسي المدارس الجهادية العالمية كبيراً، ويُعد من المرجعيات المشتركة لأسامة بن لادن، وأبو مصعب الزرقاوي،

---

(1) لقد قام عزام بحشد المقاتلين الأجانب إلى أفغانستان، منشئاً بذلك المجتمع الذي انبثق منه تنظيم القاعدة والمجموعات الراديكالية الأخرى. شهادات اعتماده الإسلامية، وصلاته الدولية، وكاريزمته الشخصية؛ جعلته كلها مجنداً فعّالاً بشكل استثنائي. وبدونه؛ لم يكن «العرب الأفغان» ليكونوا بهذا الحجم، وقد صاغ عزام أيضاً أفكاراً ذات تأثير، وتحديداً محاججته بأن على المسلمين الدفاع عن بعضهم البعض، فإذا هوجم أحد أجزاء العالم الإسلامي فعلى كل المؤمنين أن يهرعوا للدفاع عنه. وقد كانت هذه الفكرة هي الأساس الأيديولوجي للقتال الأجنبي الإسلامي، تلك الظاهرة التي تجلت في العديد من الصراعات الأخرى في العالم الإسلامي، بدءاً من البوسنة إلى الشيشان في التسعينيات، مرورا بالعراق والصومال في العقد الأول من الألفية، وصولاً إلى سوريا في العقد الثاني من الألفية. إضافة لذلك؛ حثّ عزام الإسلاميين على نقل انتباههم من السياسات المحلية إلى السياسات الدولية، مهيِّئاً الأرضية أيديولوجياً لصعود الجهادية المعادية للغرب في التسعينيات» انظر: توماس هيجهامر، بالذكرى الـ30 للاغتيال الغامض ل«إمام الجهاد».. من قتل الشيخ عزام؟، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/t4eds7cn

وهو ما سيدفع القاعدة المركزية بقيادة بن لادن، والفرع العراقي بزعامة الزرقاوي إلى تأسيس مشروع جهادي إقليمي في المشرق العربي يضم بلاد الشام، باسم «تنظيم القاعدة في بلاد الشام وأرض الكنانة/ كتائب الشهيد عبدالله عزام»، كما سيأتي، وقد تولى تطوير أطروحات الجهاد العالمي بعد وفاة عبدالله عزام، أبو مصعب السوري، كما سيأتي، واثنان من فلسطينيي الشتات وهما: عصام البرقاوي «أبو محمد المقدسي»، وعمر محمود أبو عمر «أبو قتادة الفلسطيني»، اللذان طوّرا مفهوم الجهاد وقتال العدو الأبعد ممثلاً بالولايات المتحدة وحلفائها من الأنظمة العربية كطريق لتحرير فلسطين[1].

شكّل مشروع معسكر «المأسدة» لحظة فارقة في فصل الجناح البراغماتي في «مكتب الخدمات»، عن الجناح الراديكالي العسكري الذي التف حول بن لادن. فقد انبثق عن مشروع «المأسدة» حدثٌ مهم في تاريخ «الأفغان العرب»، وهو معركة «جاجي» في أفغانستان في ربيع 1987 بحسب مصطفى حامد (أبو الوليد المصري) فهي «المعركة الضخمة التي أدت إلى تشكيل تنظيم القاعدة، وفيها برز ابن لادن كزعيم، إذ نبت له جناحان قويان هما أركان حربه في تلك المعركة: أبو عبيدة البنشيري[2]،

(1) لمزيد من التفصيل، أنظر: حازم الأمين، السلفي اليتيم: الوجه الفلسطيني للجهاد العالمي والقاعدة، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.

(2) أبو عبيدة البنشيري (1950-1996)، علي أمين الرشيدي، من مواليد القاهرة في أيار/ مايو 1950 عمل في سلك الشرطة المصرية، ومدرّب مصارعة بنادي الشرطة بالقاهرة، وكان يقيم في حي عين شمس بالقاهرة، وهو عضو في مجموعة الجهاديّ نبيل المغربي، ويعتبر أحد مؤسسي تنظيم الجهاد المصري، الذي اغتال السادات بقيادة محمد عبدالسلام فرج وعبود الزمر. اعْتُقل أبو عبيدة البنشيري إثر اغتيال السادات عام 1981، وبعد أن خرج من المعتقل قرر المغادرة إلى أفغانستان، وهو من أوائل الأفغان العرب =

وأبو حفص المصري[1]. وكان أداء تلك المجموعة لافتاً، وكذلك نتيجة المعركة اعتبرت – بمقاييس الجهاديين– ناجحة للغاية، وهي الأشد بريقاً في تاريخ القاعدة

= الذين توافدوا للجهاد في أفغانستان في عام 1983، واستوطن وادي بنشير في أفغانستان وأصبح يلقب بأبي عبيدة البنشيري، ويعتبر من مؤسسي تنظيم القاعدة إلى جانب أسامة بن لادن الذي تعرف إليه عام 1986، ورافقه في محطة السودان، وكان أول قائد عسكري لتنظيم القاعدة، وكان له الدور الأبرز في تأسيس خلايا القاعدة في شرق إفريقيا، غرق أثناء إحدى رحلاته في بحيرة فيكتوريا في آذار/ مارس 1996، وقد عرف في كينيا وتنزانيا بعدة أسماء مستعارة مثل عادل حبيب، كريم، وجلال، عقب وفاة البنشيري تولى أبو حفص المصري القيادة العسكرية لتنظيم القاعدة بتكليف من أسامة بن لادن.

(1) أبو حفص المصري (1944–2001)، صبحي محمد أبو ستة، تولى منصب القائد العسكري لتنظيم القاعدة بعد وفاة أبو عبيدة البنشيري، ويعرف بعدة ألقاب منها: أبو حفص المصري، والقومندان، وباسم محمد عاطف، وكان يلقب باسم الشيخ تيسير عبدالله، وهو مهندس زراعي من مدينة كفر الدوار بمحافظة البحيرة بمصر، وعَمِل ضابط احتياط بالجيش المصري برتبة ملازم أول، ثم سافر إلى أفغانستان في منتصف الثمانينيات، وشغل منصب الرجل التالي لأبي عبيدة البنشيري في قيادة القاعدة حتى 1995، وعندما أحال له بن لادن كل صلاحيات أبى عبيدة بعد وفاة الأخير، صقل أبو حفص المصري خبراته القتالية من خلال التدريب في معسكرات الأفغان وخوض المعارك الكبرى ضد الجيش السوفييتي في أفغانستان، وكذلك من خلال الدورات العسكرية المكثّفة التي نظّمها تنظيم القاعدة لقواته وقادته في فترات مختلفة، وكان ملازما لأسامة بن لادن، وقد توطدت العلاقة بينهما بعقد مصاهرة بين الاثنين حيث تزوج محمد بن أسامة بنت أبي حفص، واتهمته الولايات المتحدة بتفجيرات سفارتيها في كينيا وتنزانيا، وبتدريب أفراد الاتحاد الإسلامي الصومالي، الذي واجه قوات الكوماندوز الأمريكية في الصومال وقتل 18 من جنودها، وكان القائد العسكري العام للقاعدة إبان هجمات 11 سبتمبر 2001، وقد قُتل نتيجة قصف الطائرات الأمريكية في تشرين ثاني/ نوفمبر 2001، أثناء الغزو الأمريكي لأفغانستان، حيث حل مكانه عبدالهادي العراقي الذي اعتقل لاحقاً عام 2007 في تركيا وسلّم للولايات المتحدة.

كله (رغم أن القاعدة لم تكن قد تشكلت في ذلك الوقت). بعد معركة جاجي تفرغ البنشيري وأبو حفص لبناء تنظيم أسمياه «القاعدة»، حتى وصل إلى مرحلة متقدمة من النمو، خلال عام تقريباً، وضم عرباً من المجاهدين في أفغانستان ومنظمات عربية وغير عربية، وقدّر أحد القريبين من عملية التشكيل بأن الحجم الإجمالي للتنظيم وصل وقتها إلى 12 ألف فرد»[1].

2. ولادة القاعدة ومرحلة التأسيس

على الرغم من بداية تشكّل تنظيم القاعدة خلال هذه الحقبة، فليس من الواضح متى تأسست القاعدة بدقة، حسب توماس هيغهامر، إذ يبدو أن اسم «القاعدة» ظهر أولاً كاسم رمزي لمعسكر «المأسدة»، ثم أصبح اختصاراً لأولئك «الأشخاص المرتبطين بالقاعدة»، أي الأشخاص الذين قضوا وقتاً في المأسدة ودعموا فكرة التدريب المتقدم[2]، لكن المؤكد أنه بحلول سنة 1988 بدأ بن لادن العمل على ترسيخ منظمة جهادية أكثر بيروقراطية، وذلك مع بروز الحاجة إلى ضرورة وجود سجلات موثقة للجهاديين، ومعرفة الشهداء والجرحى بعد أن احتدمت المعارك وتكاثرت استفسارات الأهالي عن أبنائهم خاصة أولئك القادمين من السعودية واليمن، وما سببته من حرج لعدم توفر الإجابات، وبهذا

(1) مصطفى حامد (أبو الوليد المصري)، تنظيم القاعدة إلى أين؟ على الرابط:
https://tinyurl.com/67urkk6f

(2) انظر: توماس هيغهامر، القافلة: عبدالله عزام وصعود الجهاد العالمي، مرجع سابق، ص538.

ظهر اسم «القاعدة»، بحسب أبو جندل الأزدي[1]، إذ «أصبحت السجلات مثل الإدارة المستقلة» وكان لا بد من إطلاق اسم عليها لتعريفها داخليا، وهنا اتفق الشيخ أسامة مع معاونيه أن يسموها سجل القاعدة، على أساس أن القاعدة تتضمن كل التركيبة المؤلفة من بيت الأنصار ومعسكرات التدريب والجبهات»[2].

شهد عام 1989 تحولاً جذريًّا في بنية النظام الدولي، ساهم في تحوّل ظاهرة المجاهدين العرب إلى ظاهرة الأفغان العرب، فقد خرجت القوّات السوفيتيّة في هذا العام من أفغانستان، ثم سقطت الحكومة المدعومة من السوفييت في كابول في نيسان/ إبريل 1992، وهو الأمر الذي أسفر عن تفجُّر صراع عنيف وحرب أهلية بين الفصائل الأفغانية استمرت حتى ظهور حركة طالبان التي اكتسحت الفصائل المختلفة، وسيطرت على معظم الأراضي الأفغانية عام 1994، إلا أن الوضع الجديد الذي حدث في أفغانستان، ثم انهيار الاتحاد السوفييتي، وتفكك المنظومة الاشتراكية خلق واقعًا دوليًّا جديدًا أسفر عن ظهور مناطق إسلاميّة ساخنة استقطبت المقاتلين العرب، وبخاصة منظومة الدول التي خرجت من رحم الاتحاد السوفييتي والمنظومة الاشتراكية كطاجيكستان والشيشان والبوسنة، فضلا عن مناطق النزاع التقليدية أمثال كشمير والفلبين والصومال.

(1) أبو جندل الأزدي، فارس آل شويل الزهراني، وهو أحد الفاعلين في تنظيم القاعدة في السعودية، وقد تم القبض عليه من قبل السلطات السعودية في 5 آب/ أغسطس 2004، وحكم عليه بالإعدام.

(2) أبو جندل الأزدي، أسامة بن لادن: مجدد الزمان وقاهر الأمريكان، منتدى الأنصار، ومنبر التوحيد والجهاد، ص36-37

عمدت الولايات المتحدة بعد خروج الاتحاد السوفييتي من أفغانستان إلى الضغط والتضييق على الأفغان العرب بالتنسيق مع الحكومة الباكستانية، وأصبح المقاتلين أمام خياراتٍ صعبة عديدة، وهي: العودة إلى البلدان الأصلية التي جاؤوا منها، فعاد بعضهم إلى العالم العربي، أو الالتحاق بساحات الجهاد الناشئة، إذ ذهب عددٌ من الأفغان العرب إلى ساحات القتال الجديدة في سياق الجهاد التضامني، وخصوصاً جبهة البوسنة، ثم الشيشان وطاجيكستان[1]، واختار عددٌ من الأفغان العرب البقاء في باكستان وأفغانستان إذ انضموا إلى حركة طالبان، وهناك من انضم إلى فصائل جهادية أفغانية أخرى، وذهب عددٌ من الأفغان العرب إلى أوروبا، وباشروا بتأسيس شبكات «إسناد جهادي» تضامني، وخصوصا في المجال الإعلامي.

وهكذا بدأت ظاهرة الأفغان العرب بالتّطور والتحوُّل لتأخذ مساراتٍ وخياراتٍ مُتنوّعة، في إطار الأسس الأيديولوجية للسّلفية الجهاديّة، إلا أن خيارات بن لادن كانت تتبلور مع تأسيس النواة الأولى لتنظيم «القاعدة»، فمن الواضح أن التسمية ارتبطت في بداية 1988 بظروف الأفغان العرب وتوثيق سجلات خاصة بالمقاتلين، حيث بدأت الظاهرة تأخذ بُعداً تنظيمياً أكثر وضوحاً خلال الفترة الممتدة بين عامي 1992-1996، وصولاً إلى بروز القاعدة كتنظيم جهادي مستقل[2]، ولكن دون تحديد أهداف تتجاوز مفهوم الجهاد التضامني،

---

(1) مراد بطل الشيشاني، الحركة الإسلامية في الشيشان: والصراع الشيشاني - الروسي، مركز القدس للدراسات السياسية، عمان، الطبعة الأولى 2002، ص216.

(2) قدم جمال أحمد محمد الفضل «أبو بكر السوداني»، وهو أحد أعضاء القاعدة وأحد مرافقي ابن لادن في محطات عديدة، للسلطات الأمريكية صورة أولية عن الهيكل لتنظيمي للقاعدة، حيث يترأس التنظيم «الأمير» أسامة بن لادن، ويتولى أيمن الظواهري منصب نائب الأمير، ثم «مجلس الشورى»، الذي يتألف من كبار أعضاء القاعدة، ثم =

وذلك بتحقيق هدف عام يتمثل بالمشاركة في الجهاد الأفغاني وإقامة الدولة الإسلامية في أفغانستان، وهدف خاص يتمثل بمشروع جهادي يكون اليمن الجنوبي الشيوعي ساحته، وقد باشر بن لادن بتحقيق ذلك خلال سنتي (1989-1990) واستمر في محاولته إلى حين قيام الوحدة اليمنية 1990[1]، ولكن دون أن يحقق أي نجاح يذكر.

3. عولمة الجهاد وهجمات 11 سبتمبر

دخلت الجهادية طور العالمية كردّ فعل على ديناميكية العولمة، عقب التحولات البنيوية في الحقل الاستراتيجي الدولي بين أعوام 1989-1992 بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي من أفغانستان في 15 شباط / فبراير 1989، ونشوب حرب الخليج الثانية بعد غزو العراق للكويت في 2 آب/ أغسطس 1990، والحملة الأمريكية الفاشلة في الصومال في 9 كانون أول/ ديسمبر 1992[2]، فقد أدى انهيار الاتحاد السوفياتي وتفكك المنظومة الاشتراكية إلى بروز الولايات المتحدة كقوة إمبراطورية إمبريالية مهيمنة تسعى للسيطرة التوسع وفرض نظام عالمي جديد. كما شهدت تلك المرحلة تحولات إستراتيجية في التصور الأمريكي المتعلق بالواقع السياسي الدولي، الذي ساد أثناء حقبة الحرب الباردة، مع تبني

= «اللجنة العسكرية»، و«لجنة المال والأعمال»، و«لجنة الشريعة»، و«لجنة الدراسات الإسلامية والفتاوى»، وفي أواخر التسعينات، تشكلت «لجنة الإعلام»، التي أعلن عن تأسيسها عام 2005، باسم مؤسسة «السحاب» للإنتاج الإعلامي.

(1) مقابلة مع بن لادن أجراها عبدالباري عطوان رئيس تحرير صحيفة القدس العربي، الصادرة بلندن في تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1996.

(2) انظر: أوليفيه روا، عولمة الإسلام، ترجمة لارا معلوف دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003، ص195.

إستراتيجية أمريكية سياسية عسكرية، تقوم على مبدأ «الاحتواء» للمجال الجيوسياسي للشيوعية، ومبدأ «الردع» للقوة السوفييتية التقليدية والنووية.

شكلت ساحات اليمن والصومال أحد أهم اهتمامات أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في تسعينيات القرن الماضي، فمنذ رحيل أسامة بن لادن والظواهري إلى السودان في كانون أول/ ديسمبر 1991، في ظل حكم الرئيس عمر البشير، وحليفه السابق الدكتور حسن الترابي زعيم الجبهة القومية الإسلامية، «انهمكت القاعدة في أعمالها الاستثمارية والاقتصادية فيما اعتقدوا أنها دولة إسلامية يجب نصرتها»[1]، كما بدأ الإعداد لتأسيس خلية «شرق إفريقيا» التي اتخذت من مدينة نيروبي في كينيا مقراً لها تحت قيادة المسؤول العسكري للقاعدة أبو عبيدة البنشيري، الذي باشر الإعداد لتأسيس معسكرات في الصومال نهاية عام 1991، بإشراف أبو حفص المصري، وقد عُيِّن مسؤولا عن جبهة الصومال، وتمكن عقب دخوله الصومال من إقامة عدد من المعسكرات في شمال الصومال وجنوبها[2].

---

(1) أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص879.

(2) كان تفجير السفارات الأمريكية في كينيا وتنزانيا عام 1998 العملية الأهم الذي اضطلعت بها خلية شرق إفريقيا التابعة لـ«تنظيم القاعدة»؛ فقد ألحقت التفجيرات خسائر فادحة بالولايات المتحدة، وكان صالح النبهان وناجح فضل قد شاركا في التنفيذ بمساعدة وتخطيط من أبي حفص المصري، كما إن ناجح فضل نفذ بنفسه تفجير فندق باراديس القريب من منتجع مومباسا الساحلي في كينيا بمساعدة نبهان، وأسفر الهجوم حينها عن مقتل 15 شخصا بينهم إسرائيليون، بالتزامن مع هجوم فاشل على طائرة إسرائيلية كانت تغادر مطار مومباسا بكينيا في نوفمبر 2002.

أما اليمن فقد شكلت بؤرة اهتمام أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة منذ بدايات تأسيس التنظيم، وتعزز الاهتمام باليمن قبل قيام الوحدة بين شطري اليمن، إلا أن محطة السودان كانت حاسمة في تدشين خلية اليمن وخصوصا بعد تحقيق الوحدة اليمنية في أيار/ مايو 1990[1]. وقد تحمس بن لادن بالانخراط في الصراع اليمني بعد ضعف وتصدع جمهورية اليمن الاشتراكية الجنوبية عقب صراعهم الدامي في كانون ثاني/ يناير 1986، ولهذا بدأ الظواهري بتوجيهات من بن لادن بإجراء اتصالات مع جمال النهدي وطارق الفضلي، وهو أحد أهم قادة الأفغان اليمنيين لإقناعه بالسماح للتنظيم بإقامة معسكرات تدريب لعناصر القاعدة في اليمن عن طريق المسؤول الأول عن أمن تنظيم القاعدة سيف العدل[2].

---

(1) المشروع الجهادي الخاص لأسامة بن لادن بحسب المنظر الجهادي أبو مصعب السوري: «كان يقتضى إحداث حركة جهادية كبرى في جنوب اليمن وقد باشر ذلك في سنة (1989–1990) واستمر في محاولته إلى قيام الوحدة، ورغم أن عدداً من الجهاديين المقربين من الشيخ أسامة أيامها –وكنت من بينهم– قد حرّض الشيخ أسامة على الشروع في ذلك الجهاد مباشرة، إلا أنه تردد بانتظار إقناع قيادات الصحوة في اليمن ولاسيما الإخوان المسلمين من أمثال الشيخ اللامع في حينها عبدالمجيد الزنداني»، انظر: أبو مصعب السوري، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص877.

(2) سيف العدل: اسمه الحقيقي محمد بن صلاح الدين بن عبدالحليم زيدان، من مواليد عام 1960 كان ضابطاً برتبة مقدم في القوات الخاصة المصرية، ألقي القبض عليه في القضية المعروفة إعلاميا بـ «إعادة إحياء تنظيم الجهاد» والتورط في محاولة اغتيال وزير الداخلية المصري حسن أبو باشا، أطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة ضده فسافر إلى أفغانستان عام 1989. وظف خبرته العسكرية والأمنية في تأهيل وتطوير قدرات تنظيم القاعدة، كان مسؤولا عن معسكر الفاروق في أفغانستان، «واجتهد في تعديل مستوى التدريبات =

سرعان ما أخذ عدد كبير من كوادر القاعدة بالتدفق على اليمن من خلال مجموعات قدمت من أفغانستان ومصر والسودان وإيران وبعض الدول الإفريقية كالصومال وكينيا وأوغندا، وذلك بتوجيهات مباشرة من بن لادن بضرورة تخفيف الضغط على الصومال عن طريق ضرب القواعد الأمريكية في اليمن، وضمت المجموعات التي أوكلت لها تلك المهمة حوالي ثلاثمائة عنصر من جميع الجنسيات تحت قيادة طارق الفضلي، وقد نفذت المجموعة أولى هذه عملياتها باستهداف فندق «جولدن مور» بِعَدن في كانون أول/ ديسمبر 1992، واستهدفت العملية الثانية مهاجمة طائرات النقل الرابضة على مدرجات الهبوط والإقلاع في القاعدة الجوية الأمريكية في عدن[1].

= والتكتيكات وطور مناهج المشاة في المعارك، وتولى مسؤوليات كثيرة في القاعدة منها مسؤوليات أمنية»، ويندرج ضمن مهامه الأمنية تأمين قيادات وكوادر وكل عناصر القاعدة. وتزوج سيف العدل من ابنة أبي الوليد المصري (مصطفى حامد) الكاتب الإسلامي المعروف. كان له دور بارز حسب وثيقة منسوبة إليه في احتواء وتأهيل ودعم أبي مصعب الزرقاوي عندما وصل إلى أفغانستان.وبعد مقتل أسامة بن لادن تم تعيين سيف العدل نائبا ثالثا لأيمن الظواهري بعد كل من أبي الخير المصري وأبي محمد الزيات. وبمقتل أبي الخير سيصبح سيف العدل نائبا ثانيا بعد الزيات. لجأ سيف العدل إلى إيران عقب الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، وتنقل بين الإقامة الجبرية والسجن، إلى أن تم إطلاق سراحه عام 2015 بموجب صفقة تبادل للمعتقلين بين إيران والقاعدة في اليمن، على أن يبقى داخل أراضيها، لكنه بات يتحرك هناك بحرية ويمارس مهامه القيادية. وظهر من السجالات التي أعقبت تأسيس جبهة فتح الشام أن سيف العدل رفض رفضا قاطعا الخطوة، ودفع بقوة باتجاه تأسيس فرع جديد للقاعدة في سوريا.

(1) انظر: بشير البكر، القاعدة في اليمن والسعودية، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2010، ص86.

4. الأيديولوجيا الجديدة: التحول نحو «العدو البعيد».

على طرف آخر من المشهد الجهادي؛ حملت نهاية 1994 إرهاصات فشل سياسات الجهاد التضامني، وبداية البحث عن إستراتيجية جديدة في ظل تنامي حالة العداء للولايات المتحدة الأمريكية عموما والأنظمة العربية خصوصا والمملكة العربية السعودية بصورة أخص، بالتزامن مع ظهور حركة طالبان في أفغانستان في تموز/ يوليو 1994، بزعامة الملا محمد عمر، حينها كان بن لادن يتعرض للحصار والتضييق في السودان عقب ضغوطات مكثفة على حكومة البشير من حكومات كل من مصر والسعودية وبريطانيا والولايات المتحدة، بعد أن قامت السعودية بسحب جنسية بن لادن في 5 آذار/ مارس 1994، الأمر الذي دفعه إلى إجراء اتصالات مع حركة طالبان التي كانت بحلول عام 1996 تسيطر على معظم الأراضي الأفغانية، وفي أيار/ مايو 1996، غادر مع عدد من أتباعه السودان متوجها إلى أفغانستان.

دفعت التجارب الجهادية المحلية والتضامنية المُجهضة إلى تشكل خطابية أيديولوجية جديدة لدى بن لادن وتنظيم القاعدة، أخذت تؤسس لبناء منظومة جهادية عالمية متحدة تدّعي العمل على رفع الهيمنة الغربية عن المنطقة العربية والإسلامية، وتنامت السردية الجهادية القائلة بأن «العدو القريب» الذي تمثله الأنظمة الدكتاتورية العربية والإسلامية لا يقوم مستقلاً بذاته، وإنما يستند إلى القوة الإمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من الإسرائيليين، وبهذا بدأت تتسرب سردية أولوية القتال ضد «العدو البعيد»، وعولمة الجهاد في سياق بروز ثلاثة ظروف إستراتيجية؛ الأولى: محلية وطنية وتتمثل بالانسداد السياسي في الدول العربية وتعثر مشروعات التحول الديمقراطي، والثانية: إقليمية وتتمثل

بعدم التوصل إلى حل وسلام عادل وحقيقي في فلسطين، والثالثة: عالمية وتتمثل بانهيار الاتحاد السوفيتي وسيادة القطب الأمريكي الواحد وحلول العولمة[1].

بالرغم من أن القضية الفلسطينية والانحياز الأمريكي لإسرائيل أحد المحركات الأساسية للأيديولوجيا المعادية للولايات المتحدة لدى بن لادن، إلا أن مواجهة أمريكا لم تكن سوى فكرة جنينية ستتبلور في حقبة العولمة[2]. فمسارات تحول بن لادن والقاعدة من الإطار النظري باستهداف الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها «قوة إمبريالية»، بدت واضحة في سياق التحولات الإستراتيجية زمن العولمة الأمريكية، وتشكلت خلال تلك المرحلة (في التسعينيات) بعد قيام صدام حسين بغزو الكويت في 2 آب/ أغسطس 1990، منذ أن اتخذت السعودية قرارها

(1) فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي في زمن القاعدة، ترجمة سحر سعيد، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2006، ص60.

(2) كشف بن لادن عن جذور التفكير بمهاجمة أمريكا لاحقاً عام 2004 عبر الرسالة الثانية إلى الشعب الأمريكي، قائلاً: «إن الأحداث التي أثرت في نفسي بشكل مباشر ترجع إلى عام 1982 وما تلاها من أحداث، عندما أذنت أميركا للإسرائيليين باجتياح لبنان، وساعد في ذلك الأسطول الثالث الأميركي وبدأ القصف وقتل وجرح كثيرون وروع وشرد آخرون. في تلك اللحظات العصيبة جاشت في نفسي معان كثيرة يصعب وصفها، ولكنها أنتجت شعورا عارماً يرفض الظلم، وولدت تصميماً قوياً على معاقبة الظالمين. وبينما أنا أنظر إلى تلك الأبراج المدمرة في لبنان انقدح في ذهني أن نعاقب الظالم بالمثل وأن ندمر أبراجا في أميركا لتذوق بعض ما ذقنا، ولترتدع عن قتل أطفالنا ونسائنا، فتأكد لي يومها أن الظلم وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء عن عمد قانون أميركي معتمد، والترويع حرية وديمقراطية، وأما المقاومة فإرهاب ورجعية». انظر: أسامة بن لادن، الرسالة الثانية إلى الشعب الأمريكي: الحرب؛ أسبابها ونتائجها، 29 تشرين ثاني/ أكتوبر 2004، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين الشيخ أسامة بن محمد بن لادن، الطبعة الأولى 2006.

باستدعاء القوات الأمريكية، واستصدرت فتوى من هيئة كبار العلماء بـ«جواز الاستعانة بالكفار»[1]، وفي الأثناء أدّت النزعة الاحتجاجية الحادة للتيار الصحوي السعودي لاحقاً إلى بروز نزعة جهادية أكثر راديكالية بدأت تشكك في شرعية نظام الحكم السعودي[2]، وكان بن لادن خلال هذه الحقبة أحد أبرز المشككين، حيث تعرض للتضييق والمحاصرة إلى أن تمكن من مغادرة السعودية (كما ذكرنا وانتقل إلى السودان قبل أن يعود مرة أخرى إلى أفغانستان مع صعود حركة طالبان)[3].

إنّ إحدى النتائج المباشرة لحرب الخليج التي عملت على تبدّل وتحوّل رؤية أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، كانت القضية الفلسطينية وبدايات ما أطلق عليه

(1) أنظر: عبدالله بن عبدالعزيز بن باز، حكم الاستعانة بالكفار في قتال الكفار، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، على الرابط:
https://tinyurl.com/5fyadks5

(2) لمزيد من التفصيل حول تيار الصحوة في السعودية وموقفه تجاه حرب الخليج واستقدام القوات الأمريكية، وبداية انشقاق التيار، انظر: ستيفان لاكروا، زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، ترجمة عبدالحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت الطبعة الأولى، 2012، ص210-235.

(3) تمكن بن لادن في منتصف عام 1991 من مغادرة السعودية إلى باكستان، وبعدها بأشهر استقر في السودان، حيث بدأت علاقته بالنظام السعودي بالتوتر والتبدل، الأمر الذي أدى إلى نوع من القطيعة والجفاء عندما عمدت السعودية على تجميد كافة حساباته في نهاية عام 1992، وخلال هذه الفترة كان بن لادن قريباً من التيار الصحوي ومتماهياً مع مطالبه، حيث تصاعدت مطالب التيار الصحوي بإحداث إصلاحات سياسية وقضائية وإدارية وتحقيق متطلبات العدالة الاجتماعية، انظر: ستيفان لاكروا، زمن الصحوة، مرجع سابق، ص234-244.

عملية السلام التي دُشّنت في مدريد صيف عام 1991، والتي اعتبرها بن لادن تنازلاً عن الحقوق الفلسطينية والإسلامية، بتواطؤ عربي عموماً وسعودي على وجه الخصوص، في سياق عملية تدرّجية بلغت ذروتها مع توقيع منظمة التحرير الفلسطينية الرسمي لإعلان المبادئ في واشنطن في 13 أيلول/ سبتمبر1993، والذي عرف باتفاق أوسلو[1]، فقد اعتبر بن لادن الفتوى التي صدرت عن المؤسسة الدينية الرسمية السعودية برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز[2] بجواز الصلح مع اليهود خيانة عظمى[3].

سوف يتطور موقف بن لادن من السعودية والولايات المتحدة في ظل التحولات المحلية السعودية والإقليمية الخاصة بالمسألة الفلسطينية والظرف الدولي بتصاعد الأمريكية، فقد تولدت لديه قناعة أن الحالة المزرية التي يعيشها العالم الإسلامي بلغت حداً غير مسبوق، وأن شبه جزيرة العرب باتت محتلة من «الصليبيين» (الأمريكيين)، وأن الأمة الإسلامية تتعرض لإذلال مضاعف بسبب احتلال بيت المقدس «أولى القبلتين» منذ عام 1948، وهي على وشك خسارة مكة المكرمة «ثاني القبلتين»، وذلك بتواطؤ مع حكام السعودية، إذ يجادل بن لادن أن الدولة السعودية المعاصرة خدمت منذ وجودها المصالح الإمبريالية الأجنبية

(1) لمزيد من التفصيل حول الظروف الإقليمية والدولية التي رافقت الدخول في متاهات ما سمي بعملية السلام، أنظر: د. جوزيف مسعد، ديمومة المسألة الفلسطينية، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

(2) صدرت هذه الفتوى عن أعلى سلطة مرجعية دينية رسمية ممثلة بالشيخ ابن باز في ذات الوقت الذي تم فيه التوصل لاتفاق «أوسلو» في 13 أيلول/ سبتمبر 1993.

(3) هيئة النصيحة والإصلاح، البيان رقم 11، 29/ 12/ 1994، بعنوان: «رسالة مفتوحة إلى الشيخ ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود».

البريطانية أولا ثم الأمريكية، بل إن بن لادن حمّل الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية مسؤولية ضياع فلسطين[1].

على الرغم من تبدل رؤية بن لادن للنظام السعودي خلال هذه الحقبة، إلا أنه صبّ جام غضبه على الولايات المتحدة باعتبارها راعية للنظام السعودي وسائر الأنظمة العربية والإسلامية، فضلاً عن علاقاتها الوثيقة والإستراتيجية مع دولة الاحتلال الإسرائيلي، فبحسب بن لادن فإن المشكلة الأساسية هي مع حكومة الولايات المتحدة، أما النظام السعودي فهو مجرد فرع أو تابع لها[2]، الأمر الذي سوف يصبح عقيدة القاعدة الأساسية، إذ سيؤكد بن لادن على أنّ: عَدوّنا هو التحالف الصليبي الذي تقوده أمريكا وبريطانيا وإسرائيل، أي التحالف الصليبي - اليهودي، ومع ذلك فإن بعض الأنظمة في العالمين العربي والإسلامي قد انضمت لهذا التحالف، وهم بذلك يمنعون المسلمين من الدفاع عن مقدساتهم، فعداؤنا بالدرجة الأولى موجه إلى هؤلاء الكفار، وبحكم الضرورة أصبح موجهاً ضد الأنظمة التي أصبحت أدوات بيد هذا التحالف[3].

هكذا تشكلت سردية جهادية تختلف جذرياً عن سرديات الجهاد التضامني التي تستند إلى الدفاع عن البلدان العربية والإسلامية، وسرديات جهاد العدو المحلي القريب، ودخلت الجهادية في طور العالمية، حيث شرع بن لادن بفصل

---

(1) مقابلة مع مجلة نداء الإسلام، 1996، ضمن: توماس هيغهامر، الجهاد في السعودية، مرجع سابق، ص161.

(2) مقابلة بن لادن مع محطة السي إن إن، 1997، على الرابط:
https://tinyurl.com/khyurauf

(3) مقابلة بن لادن مع محطة أي بي سي، كانون أول/ ديسمبر 1998، على الرابط:
https://tinyurl.com/38vcdt8z

الملاذ الآمن الذي توفر في أفغانستان طالبان بالتواصل مع الحركات الجهادية وتأسيس المعسكرات والإعداد والتخطيط والتدريب، والتفرغ لزيادة فاعلية تنظيم القاعدة وبناء منظمة بيروقراطية مركزية معقدة[1]. وكانت أفغانستان تحت حكم طالبان قد شهدت هجرة ثانية للجهادين نهاية عام 1996 عقب فشل الجهاد المحلي مع العدو القريب، والجهاد التضامني في جبهات عديدة، وقد غلب على الجهاديين خلال هذه الحقبة صفة النخبة، كما أن عددهم لم يتجاوز في أحسن الحالات بضعة آلاف مع أسرهم.

كان بن لادن مصمماً على عولمة الحركة الجهادية، حيث أعلن في 23 شباط/ فبراير 1998 عن تأسيس «**الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين**»، مع عدد من قادة الجماعات الجهادية الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي، وهم: أيمن الظواهري زعيم جماعة الجهاد المصرية، ورفاعي طه أحمد رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية بمصر، ومنير حمزة سكرتير جمعية علماء باكستان، وفضل الرحمن أمير حركة الجهاد في بنجلاديش، وأصدروا فتوى تنص على أن حكم قتل الأمريكيين وحلفائهم مدنيين كانوا أم عسكريين فرض عين على كل مسلم[2].

---

(1) لمزيد من التفصيل حول بنية التنظيم خلال هذه الفترة، انظر: لورانس رايت، البروج المشيدة: القاعدة والطريق إلى 11 سبتمبر، ترجمة هبة نجيب مغربي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2011. ومايكل شوير، الفوقية الإمبريالية الأمريكية: لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب، ترجمة سيمة محمد عبدربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.

(2) نص بيان الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، على الرابط:
https://tinyurl.com/ja25ustf

عقب تأسيس الجبهة الإسلامية العالمية بدأ بن لادن الإعداد لضرب الولايات المتحدة، ونظراً لوجود شبكات ناجزة للقاعدة في «شرق إفريقيا» واليمن باشر التنظيم التحضير لمهاجمة المصالح الأمريكية هناك، حيث عملت خلية القاعدة في شرق إفريقيا التي اتخذت من مدينة نيروبي في كينيا مقراً لها الإعداد لضرب السفارات الأمريكية في كينيا وتنزانيا، تحت إشراف القائد العسكري للتنظيم أبو حفص المصري الذي خلف أبو عبيدة البنشيري. وفي 7 آب/ أغسطس 1998 نفذت القاعدة الاعتداءات على السفارتين الأميركيتين في نيروبي ودار السلام، أما خلية القاعدة في اليمن التي شكلت بؤرة اهتمام أسامة بن لادن، خلال محطة السودان فقد تمكنت من تنفيذ عملية انتحارية باستهداف المدمرة الأمريكية (يو إس إس كول) في 12 تشرين أول/ أكتوبر 2000 بينما كانت ترسو في ميناء عدن[1].

على الصعيد الأيديولوجي؛ عمل الظواهري خلال عام 2000، على تأطير التوجه الجديد للقاعدة وبلورته في كتابه «فرسان تحت راية النبي»، فقدم فيه الحجج والمستندات النظرية والعملية التي أدت إلى بروز الأيديولوجية الجهادية الجديدة واستعرض فيه مسارات الجهادية في طورها المحلي والتضامني، ومبررات تحولاتها إلى مواجهة العدو البعيد.

(1) سوف تستمر ملاحقة المسؤولين عن العملية، حيث اعتقل عبدالرحيم الناشري بدبي في نوفمبر/ تشرين الثاني 2002، وتم ترحيله إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث وضع في معتقل غوانتنامو، بينما اعتقلت السلطات اليمنية جمال أحمد البدوي ثم تمكن من الهرب من السجن السياسي في صنعاء مع 22 آخرين في 3 شباط/ فبراير 2006، أما محمد حمدي الأهدل فهو سعودي اعتقل في صنعاء في تشرين ثاني/ نوفمبر 2003، أما أبو علي الحارثي قائد سالم ثنيان الحارثي، فهو القائد العام لتنظيم القاعدة في اليمن، وقد قتل بطائرة بدون طيار أميركية مطلع تشرين ثاني/ نوفمبر 2002

باتت أيديولوجية الجهادية العالمية ناضجة على الصعيد النظري، إلا أنها بحاجة إلى حدث كبير على الصعيد العملي يبرهن على تحولاتها العميقة ويؤسس لمسار الجهادية العالمية المستقبلي، وبهذا بدأ بن لادن الإعداد لمهاجمة الولايات المتحدة في عقر دارها، وهو ما تحقق صبيحة يوم الثلاثاء 11 أيلول/ سبتمبر 2001، عندما شهد العالم انهيار برجي مانهاتن والهجوم على مقر وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون)، بعد أن قامت أربع طائرات خطفها 19 شخصاً باستهداف الرموز الاقتصادية والسياسية والعسكرية للقوة الأميركية العظمى في وقت واحد، اثنتين منها في برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك وثالثة في مقر البنتاجون بالعاصمة واشنطن، بينما تحطمت الطائرة الرابعة التي اختطفها انتحاريو القاعدة في حقل في بنسلفانيا بينما كانت في طريقها إلى واشنطن، وقد أسفرت الهجمات عن مقتل نحو 3 آلاف شخص[1].

5. مرحلة جديدة: انبثاق الفروع القاعدية

رداً على أحداث سبتمبر قامت الولايات المتحدة بغزو أفغانستان في 7 تشرين أول/ أكتوبر 2001، ولكن منذ سقوط كابول في تشرين ثاني/ نوفمبر 2001 بات من الواضح أن إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش تستغل الحرب ضد الإرهاب لتبرير إستراتيجية سياسية تقوم على التوسع، وقد ظهر ذلك في خطاب بوش يوم 29 كانون ثاني/ يناير 2002، مؤكدا أن «حربنا ضد الإرهاب

(1) لمزيد من التفصيل حول هجمات سبتمبر، والتعريف بأهم شخوص مُنفِّذي الهجمات، انظر: محمد محمود ولد محمدو، الهجمة المضادة للحملة الصليبية: جذور وتداعيات الحادي عشر من سبتمبر، ترجمه عن الفرنسية: أحمد صالح أحميِّد، عالم الكتب الحديث، إربدْ، الأردن، الطبعة الأولى 2010.

مازالت في بدايتها»، وأعلن بوش أنه بالإضافة إلى الهجوم المباشر على شبكات الإرهاب «فإن هدفنا الأساسي هو منع الأنظمة التي تساعد الإرهاب عن تهديد الولايات المتحدة أو أصدقاءها أو حلفاءها بأسلحة الدمار الشامل» وحدد إيران والعراق وكوريا الشمالية «كمحاور للشر»، لكن الأبعاد الكاملة لإستراتيجية للإدارة الأمريكية لم تتضح تماماً إلا بعد أن أعلن بوش مذهباً جديداً يستند إلى مبدأ «التحرك الوقائي»[1].

تمكنت سياسات «الحرب على الإرهاب» عقب أحداث سبتمبر من تحقيق نجاحات ملحوظة ساهمت بإضعاف القاعدة من خلال اعتقال واغتيال عدد من قيادات القاعدة؛ ففي الأول من آذار/ مارس 2003، تم إلقاء القبض على خالد شيخ محمد وهو القائد الرئيس للعمليات في تنظيم القاعدة ومهندس هجمات الحادي عشر من سبتمبر، الأمر الذي شكل انتكاسة للقاعدة، كما تمكنت الولايات المتحدة من اعتقال عدد من القيادات العليا من أمثال: أبو زبيدة، ورمزي بن الشيبة، وأبو الفرج الليبي، وغيرهم وأودعوا في معتقل «غوانتانامو». وتمكنت العمليات الأمريكية من اصطياد رؤوس قيادات كبرى تنتمي لتنظيم القاعدة؛ أمثال: أبو اليزيد المصري، وأبو حفص المصري، إلا أن هذه العمليات لم تتمكن من القضاء على تنظيم القاعدة، وإنما عملت على تحول التنظيم من الإدارة المركزية إلى نظام اللامركزية.

---

(1) لمزيد من التفصيل حول الإستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة ومبدأ الحرب الوقائية، انظر: بول ماري دو لا غورس، الحرب الوقائية، مفهوم استراتيجي خطير، على الرابط: https://tinyurl.com/5skwsw2d

على مدى سنوات، واصل المسؤولون الحكوميون والعديد من الباحثين والمحللين مناقشة مدى الترابط الذي يمكن أن تكون القيادة المركزية لتنظيم القاعدة قد حافظت عليه في إطار المعركة المستمرة ضد الإرهاب. وبعد قضاء القوات الأمريكية على الملاذ الآمن للقاعدة في أفغانستان في أواخر عام 2001، تحدث الكثيرون بأن القاعدة قد تحولت إلى منظمة لا مركزية مع القليل من التنظيم العمودي الهرمي، وأنها أصبحت «شكلاً من أشكال الأيديولوجية أكثر منها منظمة»[1]. ويبدو هذا الوصف صحيحاً خلال الأشهر التي تلت الإطاحة بحركة طالبان، ولكن يمكن القول بأن المفهوم القائل بأن قيادة القاعدة المركزية مبعثرة وغير فعالة قد تمت المبالغة فيه على مدى سنوات. وهكذا تم إغفال حقيقة أنه حتى في فترة الحضيض التي مرت بها الجماعة والتي امتدت من 2002–2004، كانت قيادة القاعدة قادرة على وضع المخططات الإرهابية الإقليمية والإيعاز بتنفيذها[2].

---

(1) دار جدل كبير داخل تنظيم القاعدة حول المركزية واللامركزية، فقد دعا المنظر الجهادي «أبو مصعب السوري» في كتابه «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية»، إلى ضرورة تبني نظام المقاومة على أساس اعتماد بنية تنظيمية لا مركزية، حيث وضع مبادئ وأصول وآلية العمل اللامركزي، انظر: أبو مصعب السوري (عمر عبدالحكيم): دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة 1425هـ/ ديسمبر 2004م، ص896.
أما المنظر الجهادي «أبو بكر الناجي» فقد شدد على أهمية البناء الهيكلي التنظيمي المركزي، انظر: أبو بكر ناجي: إدارة التوحش. بدون تاريخ، ص26.

(2) جارتينستين روس وكايل دابروزي، هل لا تزال القيادة المركزية للقاعدة مترابطة؟ ترجمة صادق أبو السعود، مركز القدس للدراسات السياسية، على الرابط:
https://tinyurl.com/vhxvt72n
قارن ذلك بـ: محمد أبو رمان، من القاعدة إلى القواعد: العوائد والضرائب، صحيفة الغد اليومية الأردنية، 25/ 7/ 2011.

في الوقت الذي كان تنظيم القاعدة يعاني فيه من فقدان الملاذات الآمنة، ويشهد تراجعاً، ويوشك على التفكك والانهيار، أطلق الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش حملته العسكرية على العراق في العشرين من آذار/ مارس عام 2003، والتي كان من المفترض أن تختتم فصول سياسة «الحرب على الإرهاب»؛ عبر الإطاحة بنظام صدام حسين «الاستبدادي»، واستبداله بنظام «ديمقراطي» موالٍ للولايات المتحدة تمهيداً لتدشين «شرق أوسط جديد» وفقا لحسابات المخيّلة الجامحة للمحافظين الجدد في واشنطن. لكن الإستراتيجية الأمريكية التي انبنت على وهم «الصدمة والترويع»، ساهمت بولادة جيل جديد من الجهاديين، وعملت على توفير ملاذات آمنة جديدة لتنظيم «القاعدة»، كما ساهمت بشيوع الفوضى كمناخ مفضل للجهاديين، وآذنت بولادة حركات مقاومة للقوات الأمريكية تسللت عبرها تنظيمات عابرة للحدود وفي مقدمتها تنظيم «القاعدة»، لتبدأ حقبة جهادية جديدة تندمج فيها الأبعاد القاعدية المحلية والعالمية.

عقب احتلال العراق، تقاربت التوجهات الجهادية، وأصبحت القاعدة تناهض الغرب والولايات المتحدة والأنظمة المحلية العربية والإسلامية معاً؛ عبر مجاميع وشبكات جهادية محلية وإقليمية أعادت تمركزها في المنطقة العربية، وطوّرت إستراتيجية تعتمد على دمج البعدين العالمي والمحلي في سياق الاحتلال.

لم يكن أبو مصعب الزرقاوي خلال هذه الفترة عضواً في تنظيم القاعدة، وعندما تشكلت الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين، كان الزرقاوي ومعظم الجهاديين خارج إطار الجبهة، فقد فشلت الجبهة في تشكيل تحالف دولي من المنظمات الإسلامية السنيّة، والمجموعات، ورجال الدين المسلمين الذين يشتركون في العقيدة السياسية والدينية والإستراتيجية العالمية للحرب الجهادية المعولمة.

استثمر بن لادن في المقابل سعي واشنطن لاحتلال العراق في محاولة إعادة بناء تنظيم القاعدة وتوسيع نطاق انتشاره، وبعثَ أيديولوجيته المتعلقة بقتال الصليبيين واليهود. فقد شدد على صوابية نهج القاعدة التي ترتكز على مواجهة الإمبريالية الأمريكية وحلفائها، ففي11 شباط/ فبراير 2003، أصدر كلمة دعا فيها إلى التصدي للمشروع الأمريكي، وذلك قبل الحرب التي قادتها الولايات المتحدة على العراق[1].

إبان حقبة الاحتلال الأمريكي للعراق أعاد تنظيم القاعدة تموضعه في العالم العربي عموماً والمشرق العربي خصوصاً، وبدأ بتأسيس فروع إقليمية، ونسج علاقات واسعة مع الحركات الجهادية المحلية التي بايعت لاحقاً تنظيم القاعدة، ومنها العراق، حيث برز تنظيم «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين» بتاريخ 8 تشرين الأول/ أكتوبر 2004، وفي اليمن ظهر تنظيم «قاعدة الجهاد في جزيرة العرب» بعد اندماج الفرعين اليمني والسعودي (في كانون الثاني/ يناير 2009)، بزعامة اليمني أبو بصير ناصر الوحيشي، وفي المغرب العربي برز تنظيم «قاعدة الجهاد في بلاد

(1) أصدر بن لادن شريطاً بعنوان «إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة»، جاء فيه «نتابع باهتمام شديد وحرص بالغ استعداد الصليبيين للحرب لاحتلال عاصمة الإسلام سابقاً، ونهب ثروات المسلمين، وتنصيب حكومة عميلة عليكم تتبع أسيادها في واشنطن وتل أبيب كسائر الحكومات العربية الأخرى الخائنة العميلة تمهيداً لإنشاء إسرائيل الكبرى» أسامة بن لادن، الرسالة الأولى إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة: (بشائر وتذكير وتحريض ومؤازرة) 10 ذو الحجة 1423هـ - 11 فبراير/ شباط 2003م، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين الشيخ أسامة بن محمد بن لادن، الإصدار الأول، الطبعة الأولى، 3 حزيران/ يونيو 2006.

المغرب الإسلامي» عام 2007 بإمارة أبو مصعب عبدالودود، وفي الصومال برزت «حركة الشباب المجاهدين» بإمارة مختار عبدالرحمن أبو الزبير، كأحد أذرع القاعدة الصلبة في شرق إفريقيا، وقد أعلنت الحركة في شباط/ فبراير 2012 عن انضمامها لتنظيم القاعدة وبيعة الظواهري.

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني

طريق القاعدة إلى المشرق:
من احتلال العراق إلى الربيع العربي

الشام هي أرض الطائفة المنصورة وفيها بيت المقدس أولى القبلتين، وهي الأرض المباركة أرض الملاحم وعندما تُذكر بلاد الشام نتذكر أرض فلسطين وبيت المقدس، ونرى احتلال الكفار اليهود لها حتى كاد بعض المسلمين ينسى أنها أرض للمسلمين، ففلسطين تحت الاحتلال الصليبي اليهودي منذ أكثر من تسعين سنة، بدأ احتلالها من قبل بريطانيا، ومكنت لليهود بعد ذلك لإقامة دولتهم فيها.

صالح القرعاوي
زعيم كتائب عبدالله عزام

لفهمٍ أفضل وأعمق لشروط وأسباب تطور «الحالة الجهادية السورية» من الضروري الإشارة هنا إلى أهمية مرحلة احتلال العراق والدور الذي قام به النظام السوري حينها من تسهيل لعملية انتقال الجهاديين هناك، في محاولة لإفشال المشروع الأمريكي في العراق، فقد أصبحت سوريا نقطة العبور الرئيسية للجهاديين، وبيئة نشطة للتعبئة والتجنيد، وبهذا تحولت سورية إلى أهم مركز تجمّع وعبور للجهاديين الراغبين بالانضمام إلى صفوف المقاومة العراقية[1].

---

(1) لم يمض وقت طويل بعد بدء العمليات العسكرية ضد العراق في آذار/ مارس 2003، حتى بدأت وزارة الدفاع الأمريكية بالتعبير عن قلقها من الدعم السوري للتمرد هناك، وفي مؤتمر صحفي عقد في بغداد عام 2004، قال الجنرال ريتشارد مايرز رئيس هيئة الأركان المشتركة آنذاك «هناك آخرون من المقاتلين الأجانب ونحن نعرف بعين الصواب أن الكثير منهم وجدوا طريقهم إلى العراق عبر سوريا بالتأكيد»، ووفقا لبعض التقديرات ربما 80 في المئة من الأجانب المقاتلين الذين تسللوا إلى العراق دخلوا عبر الحدود السورية، ووجد المحقق الإيطالي في تجنيد المقاتلين الأجانب أن «سوريا عملت كمركز لشبكة القاعدة».
انظر: مايكل روبن، الطريق السوري إلى الإرهاب الإسلامي، ميدل إيست فورم، شتاء 2010، على الرابط:

https://tinyurl.com/42ja9h87

في ظل تسهيلات النظام السوري لعبور المقاتلين، شكّل السوريون نسباً عالية من «الجيل الثالث» للجهاديين، ففي تحليل لخلفيات المتطوعين العرب في العراق استند إلى قوائم نشرت بأسمائهم على المنتديات الجهادية جاء السوريون في المرتبة الثانية بنسبة 13 ٪، بعد السعوديين بنسبة 53٪، ومن ثم الأردنيون بنسبة تقارب الـ 6 ٪، هذا وقد وجدت دراسة أخرى استندت على سجلات للقاعدة وجدت في سنجار شمالي العراق أن السوريين يشكلون نسبة 2 , 8٪ من المقاتلين العرب في العراق وقد حل السوريين مع كل من اليمنيين والجزائريين بالمرتبة الثالثة بعد السعوديين 41٪ والليبيين بنسبة 8 , 18٪[1].

وعلى الرغم أهمية المشرق العربي وبلاد الشام وخصوصية القضية الفلسطينية، عند تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن، إلا إن القاعدة فشلت في تأسيس هياكل وروابط جهادية في المشرق العربي وبلاد الشام قبل الاحتلال الأمريكي للعراق 2003، من هنا يتمتع أبو مصعب الزرقاوي بأهمية كبيرة في تحقيق طموحات القاعدة بالدخول إلى المشرق العربي ونقل مشروعها الطموح في بلاد الشام إلى من الإطار الفكري الأيديولوجي إلى المجال الواقع.

1. الزرقاوي.. مؤسس القاعدة في المشرق

لقد عمل أبو مصعب الزرقاوي على تأسيس شبكة جهادية خاصة قبل إعلانه الانضمام إلى تنظيم القاعدة في العام 2004، وتعود بدايات فكرة تأسيس

(1) انظر: مراد بطل الشيشاني، أبو مصعب السوري والجيل الثالث من السلفيين الجهاديين، مرجع سابق، ص123.

شبكة الزرقاوي الجهادية إلى الحقبة التي شهدت أزمة الخليج الثانية 1991، فقد شكل الحدث منعطفًا حاسمًا في تبلور السَّلفية الجهاديّة العالمية[1].

---

(1) بدأ سطوع نجم الزرقاوي الذي تبنّى الأيديولوجية السلفيّة الجهاديّة عام 1989، وسرعان ما انتقل من شخصٍ مغمورٍ في مدينة الزرقاء الأردنية إلى أحد أهم الشخصيات الجهادية في العالم، وذلك عندما قرر الذهاب إلى أفغانستان للمشاركة في الجهاد الأفغاني، عن طريق بيشاور في أفغانستان، عقب تأثره بخطب وكتابات عبدالله عزام، وكان منذ بداياته مشغولاً بتأسيس حركة جهادية في بلاد الشام، وخصوصاً الأردن وفلسطين حيث استقر في مدينة جلال آباد، وهي إحدى ضواحي بيشاور، التي تعتبر القاعدة الخلفيّة للمجاهدين العرب والأفغان، والتي يوجد فيها «بيت الأنصار» الذي يتبع تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن، وكذلك «مكتب الخدمات» الذي يتبع عبدالله عزام، وهي محطّات أولى لاستقبال المتطوعين.
شهد الزَّرقاوي اغتيال عبدالله عزام في بيشاور في 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 1989، وتسارعت الأحداث بدءًا من انسحاب السوفييت من أفغانستان، ونشوب الحرب الأهليّة بين فصائل المجاهدين، وبداية ملاحقة الأفغان العرب في بيشاور، وقد شارك الزرقاوي في الموجة الثانية من معارك الحرب الأهليّة الأفغانية، والتحق بمعسكرات قلب الدين حكمتيار، وتحديدًا إلى جانب جلال الدّين حقاني، وتدّرب في عدة معسكرات، وخاصة معسكر «صدى»، وعاد الزرقاوي إلى الأردن عام 1993، حيث باشر فور وصوله محاولة تأسيس حركة جهادية محلية، وشرع بالتواصل مع أحد أبرز منظري السلفية الجهادية أبو محمد المقدسيّ للعمل سويًّا على نشر الدّعوة السلفية الجهاديّة، وتأسيس جماعة جهادية عرفت أمنياً وإعلامياً باسم «بيعة الإمام»، وسرعان ما فككت الأجهزة الأمنية الأردنية التنظيم، واعتقل على أثرها إلى الأردن. وفي 29 آذار/ مارس عام 1994، وحكم عليه وعلى المقدسي مدة خمسة عشرة عاماً، وفي مرحلة السجن استطاع الزرقاوي أن يفرض نفسه أميراً للجماعة، إذ برزت شخصيته القيادية؛ انظر: أبو مصعب الزرقاوي، إفادة أسير: يا قوم مالي أدعوكم إلى الجنة وتدعونني إلى النار، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أسد الإسلام الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، ص8.

خرج الزرقاوي من السجن بعفو ملكي (كان متهماً في قضية إرهابية مع منظر التيار السلفي الجهادي، أبو محمد المقدسي ومجموعة من الجهاديين فيما عرف باسم قضية بيعة الإمام)، شمل كافة السُّجناء الأردنيين في 23 آذار/مارس 1999، وباشر فور خروجه من السّجن الاستعداد للرَّحيل إلى أفغانستان، وأقام في مدينة جلال آباد في محيط بيشاور بالقرب من الحدود الأفغانية، وعمل على إعادة بناء شبكته خلال فترة وجيزة، وساعده على ذلك علاقته السّابقة بابن لادن وأعضاء القاعدة، وبدأ العمل على إنشاء معسكره الخاص في منطقة «هيرات» على الحدود الأفغانية الإيرانيّة، فبرز كزعيم للجهاديين من الأردن وفلسطين وبلاد الشام، وتمكن من نسج علاقات واسعة مع جميع الأطراف الجهادية كالقاعدة وطالبان، وقد فوّض بن لادن والظواهري المسؤول الأمني في تنظيم القاعدة، سيف العدل بالتواصل مع الزرقاوي من أجل تأسيس معسكر تدريبي يكون نواة مستقبلية لتأسيس فرع للقاعدة في المشرق العربي ومنها بلاد الشام، وقد اقترح العدل على الزرقاوي إنشاء جماعة باسم «جند الشّام»[1].

---

(1) بحسب سيف العدل: فإن «المعلومات التي كانت لدينا تقول؛ أنه لا يوجد للقاعدة أو لفكرها في فلسطين والأردن أنصار كُثر، وكانت الخطة المتفق عليها بين الأخوة تعطي أهمية للتواجد والانتشار في الأردن وفلسطين، فالقضية الفلسطينية هي قلب الأمة الجريح النابض، ومن يكن في عمله على تماس معها يكون قريباً من مشاعر الأمة. وضرب الإسرائيليين والقضاء على دولتهم؛ مرتبط بالتغيُّر والتحرير في واقع الأمة، ولا تغيُّر ولا تحرير إذا لم تضعفْ إسرائيل ويقضي عليها، فالنظام الإقليمي المرسوم بالمنطقة يرتبط استمراره بوجود دولة إسرائيل، وهو موجود لخدمة أهدافها وتمهيد الطريق أمامها للتوسع والانتشار، والارتباط بين النظام العربي القائم حالياً ووجود دولة إسرائيل هو ارتباط جدلي، والمتفق عليه لدينا في هذا الخصوص أنه لا تحرير بدون تغير، ولا تغير =

كان معسكر «هيرات» الذي أسسه الزرقاوي بداية عام 2000، يضم حوالي 42 عضوًا مع عائلاتهم تحت إمرته، وقد شكَّل هؤلاء الجهاديون النواة الأساسية لشبكة الزرقاوي من الجهاديين العرب والأجانب، وفي مقدمتهم: خالد العاروري (أبو القسام)، وعبد الهادي دغلس (أبو عبيدة)، ورائد خريسات (أبو عبدالرحمن الشامي)، وعزمي الجيوسي، ونضال عربيات، ومعمر الجغبير، ومن سوريا: سليمان خالد درويش (أبو الغادية)، وعمل الزرقاوي على إيجاد قاعدة له في كردستان العراق، وأشرف على معسكرات التدريب في منطقة «سرغات».

لقد تمكن الزرقاوي من إنشاء شبكة جهادية عالمية تمتد إلى دول أوروبا، وأنشأ خلايا له في سورية، ونجح بتجنيد عددٍ من الجهاديين السوريين واللبنانيين والفلسطينيين، وكان ينشط في تفعيل شبكته في العراق وتحديداً في منطقة كردستان، ويتلقى دعماً من شبكات الجهاديين في أوروبا، فقد عقد الزرقاوي تحالفًا مع الجماعات الإسلامية في كردستان، ففي آب/ أغسطس 2001 عقد الزّرقاوي اجتماعاً مع مساعديه وفي مقدمتهم خالد العاروري وعبد الهادي دغلس من أجل تأسيس معسكراتٍ لهم في كردستان لاستقطاب أعدادٍ من الأفغان العرب والأردنيين، وكان قد وثّق علاقاته مع وريا صالح عبدالله (أبو عبدالله الشافعي) الذي أسَّس

= إذا لم تضعف إسرائيل، ولا ضعف لإسرائيل إذا لم تضعف الأنظمة العربية الخادمة لها من ناحية، وإذا لم ترفع حبال الدعم الغربي عنها وعن الأنظمة. لذلك فالنتيجة المنطقية تقول؛ لابد لنا من أن نتواجد في كل مكان على هذه الأرض، فكيف نترك هذه الفرصة السانحة للتواجد في فلسطين والأردن، وكيف نضيّع فرصة التعامل مع أبي مصعب وإخوته وأمثاله من سائر البلدان الأخرى. انظر: سيف العدل، تجربتي مع أبي مصعب الزرقاوي، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzlxvu3d

جماعة «جند الإسلام»، وكان الملا كريكار الذي انضم إلى الحركة الإسلاميّة في كردستان، وأصبح قائدها العسكري قد تحالف مع جماعة «جند الإسلام»، حيث ولدت جماعة «أنصار الإسلام»، ودخلت في صراع مع الأحزاب الكردية[1].

بعد احتلال العراق كان الزرقاوي ينظّم المجاهدين ويوسّع جماعته، ويؤسس لتنظيم سيتحول لاحقاً إلى كيان كبير، وله فروعه ومؤّيدوه في مختلف دول العالم، ويُحدث طفرة كبيرة على صعيد الجهادية العالمية. فقد دخلت الأيديولوجية الجهادية العالمية طوراً جديداً مع أبو مصعب الزرقاوي، عندما بايع أسامة بن لادن، في 8 تشرين الأول/ أكتوبر 2004، وبذلك الإعلان تمّ إلغاء العمل باسم جماعة التوحيد والجهاد، وظهرت «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»[2]، وقد تبنت القاعدة خلال هذه المرحلة نهجاً جديداً يعتمد إستراتيجية تقوم على دمج الأبعاد الجهادية المحلية والإقليمية والعالمية[3]، إذ شكّل الزرقاوي انعطافة هامة في تأسيس حركة جهادية عالمية تتبع القاعدة في المشرق العربي.

---

(1) انظر: جان شارل بريزار، أبو مصعب الزرقاوي: الوجه الآخر لتنظيم القاعدة، ترجمة هالة صلاح الدين لولو، الدار العربية للعلوم - ناشرون، الطبعة الأولى، 2006، ص125-126.

(2) انظر: بيان بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzw95596

(3) انظر: حسن أبو هنية، القاعدة واندماج الأبعاد.. ولادة ثالثة ونشأة مستأنفة، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/ye8chru8

استثمر الزرقاوي شبكته من السوريين، الذين رافقوه في معسكر هيرات في أفغانستان، وانتقلوا معه إلى كردستان شمال العراق، ومن ثم إلى بغداد ومدن العراق، ومن أبرزهم أبو الغادية سليمان خالد درويش كمنسق عملياتي، بين العراق وسوريا، وقد قتل على يد القوات الأمريكية في العراق 2006، وقد عمل أبو الغادية على تجنيد واستقطاب المقاتلين العرب والسوريين، وساعد في نجاح مهمته الموقف السوري الذي عملت أجهزته الأمنية على تنشيط الحالة الجهادية، عندما فتحت المجال واسعاً أمام الأئمة والوعاظ والدعاة في المساجد تحت ذريعة مقاومة الاحتلال الأمريكي للعراق، ويشار هنا أيضاً إلى الدور الذي قام به السلفي الحلبي أبو القعقاع، محمود قول آغاسي في مدينة حلب، إبان الاحتلال الأمريكي للعراق بخطابه السلفي الجهادي، وبتدريب مجموعات من أتباعه على القتال في العراق تحت سمع وبصر الحكومة، التي كانت تستخدمه لمصلحتها[1].

أسفرت جهود أبي القعقاع وغيره من الدعاة عن تجنيد عدد كبير من المقاتلين السوريين، مما أغرى الزرقاوي بإحياء مشروعه الأساس بإطلاق عمل جهادي في بلاد الشام، فسعى الزرقاوي لتأسيس فرع لتنظيم القاعدة في سوريا، وفي مطلع يونيو/ حزيران 2005، صرّح وزير الداخلية آنذاك غازي كنعان خلال اجتماع للجنة الأمم المتحدة المكلفة بمكافحة الإرهاب بأنه «ليس هناك على الإطلاق أي نشاط للقاعدة أو لحركة طالبان في الأراضي السورية»، إلا أنه بعد شهر واحد فقط، في 11 يوليو/ تموز 2005 أعلن النظام السوري عن صدام مسلح أسفر عن ضبط مجموعات «تكفيرية» تطلق على نفسها اسم «جند الشام

(1) انظر: رزان زيتونه: الإسلاميون السوريون وغواية الجهاد في العراق، ضمن كتاب الإخوان المسلمون في سوريا، المرجع السابق، ص271.

للجهاد والتوحيد» مرتبطة بتنظيم القاعدة، بعد صدام مسلح أدى إلى مقتل عدد من أعضائها[1].

2. كتائب عبدالله عزام.. طلائع القاعدة

عندما كان الزرقاوي يقاتل في العراق بقي مشروعه الخاص بتأسيس عمل جهادي في بلاد الشام حاضراً، وهو أحد المشاريع المشتركة مع تنظيم القاعدة المركزي، وفي ذروة صعوده في العراق عام 2004 كلّف السعودي صالح القرعاوي الذي كان إلى جانبه في الفلوجة بتأسيس «كتائب عبدالله عزام» التي يشمل نطاق عملها بلاد الشام، وأثناء تنقل القرعاوي بين العراق وسوريا قبضت عليه السلطات السورية عام 2005 وسلّمته إلى السعودية، وبعد أن أُطلق سراحه عام 2006، أعاد التواصل مع الزرقاوي، وتوجه إلى أفغانستان ومن هناك عاد إلى قيادة «كتائب عبدالله عزام»، وبهذا بات اسم الفرع الجديد للقاعدة «تنظيم القاعدة في بلاد الشام وأرض الكنانة/ كتائب الشهيد عبدالله عزام»، وتم تدشين مجموعة من السرايا العاملة في منطقة نفوذها وهي: سرايا زياد الجراح في لبنان وفلسطين، وسرايا محمد عطا في مصر، وسرايا يوسف العييري في جزيرة العرب، وأخيراً أُسست سرايا الحسين بن علي التي تعمل على استهداف إيران وحزب الله في لبنان وسوريا.

يشير القرعاوي في لقاء نشره «مركز الفجر للإعلام» التابع للقاعدة نهاية 2009، إلى رؤية مشروع القاعدة وكتائب عبدالله عزام لبلاد الشام عموماً وفلسطين خصوصاً بالقول: «الشام هي أرض الطائفة المنصورة وفيها بيت المقدس أولى القبلتين، وهي الأرض المباركة؛ أرض الملاحم، وعندما تُذكر بلاد الشام

(1) المرجع السابق، ص276-277.

نتذكر أرض فلسطين وبيت المقدس، ونرى احتلال الكفار اليهود لها حتى كاد بعض المسلمين ينسى أنها أرض للمسلمين، ففلسطين تحت الاحتلال الصليبي اليهودي منذ أكثر من تسعين سنة، بدأ احتلالها من قِبل بريطانيا، ومكنت لليهود بعد ذلك لإقامة دولتهم فيها، ونرى أن الأمة قد تأخرت كثيراً عن واجبها في نصرة أهلنا في فلسطين.. ولذا فنحن نرى جمع الأمة، وتوجيه طاقات المسلمين للعمل، وتجييشهم لحمل المسؤولية، وتوحيد الجهود لطرد اليهود من فلسطين، ومناجزتهم، وعدم تمكينهم واستقرارهم في بلادنا هذا أولى أولوياتنا في هذه المرحلة»[1].

نفذت كتائب عبدالله عزام عدة عمليات، ففي 23 يوليو/ تموز 2005، قامت بثلاث عمليات متزامنة في مواقع سياحية في شرم الشيخ، جنوبي سيناء، أسفرت العمليات عن مقتل حوالي 88 شخصا وجرح أكثر من 200 شخص، وفي 19 آب/ أغسطس 2005، أُطلقت من العقبة ثلاثة صواريخ كاتيوشا باتجاه مدينة إيلات وخليج العقبة، سقط أحد الصواريخ على مقربة من مطار جوي في إيلات، أما الصاروخان الآخران اللذان جرى إطلاقهما باتجاه سفينة أمريكية كانت في ميناء العقبة، فقد أخطآ الهدف، وأصاب أحد الصواريخ جنوداً أردنيين، مما أسفر عن مقتل جندي وجرح الآخر، وفي 28 كانون أول/ ديسمبر 2005، أُطلِقَت من الأراضي اللبنانية حوالي 10 صواريخ غراد باتجاه البلدات شمالي إسرائيل، وتزامن تنفيذ إطلاق الصواريخ في آن واحد من موقعين؛ وأُطلق عدد من الصواريخ باتجاه كريات شمونه من القطاع الأوسط، أما من القطاع الغربي،

(1) انظر: لقاء مركز الفجر للإعلام مع صالح القرعاوي القائد الميداني في كتائب عبدالله عزام، على الرابط:

https://tinyurl.com/yfemuan2

فقد أُطلق عدد من الصواريخ التي سقطت في منطقة بلدة شلومي، وعلى مقربة من بلدات أخرى على امتداد الحدود، وفي 2 أغسطس/ آب 2010 قام عناصر من الكتائب بقصف مدينتي إيلات والعقبة بخمسة صواريخ غراد أودت بحياة مواطن أردني، وفي اليوم نفسه تبنت سرية يوسف العييري التابعة للكتائب تفجيراً انتحارياً قام به أيوب الطيشان ضد ناقلة نفط يابانية «أم ستار» في مضيق هرمز قبالة السواحل الإماراتية دون أن يسبب التفجير بأي تسرب أو إصابات بشرية[1].

تراجع نشاط تنظيم كتائب عبدالله عزام غداة الربيع العربي، فبعد إصابة القرعاوي في غارة أميركية في أفغانستان في يونيو/ حزيران 2010، قطعت جراءها ساقيه ويده اليمنى، سلّم نفسه إلى السعودية، وحلّ مكانه السعودي ماجد محمد الماجد في قيادة كتائب عبدالله عزام، وتمت مبايعة الماجد «أميراً لكتائب عبدالله عزام» في حزيران/ يونيو 2012 في سوريا، ووضعت الولايات المتحدة «كتائب عبدالله عزام» على لائحة المنظمات الإرهابية في 24 مايو/ أيار 2012، وتشير الوثائق التي نشرها تنظيم القاعدة عام 2011 إلى المراسلات التي جرت بين زعيم كتائب عبدالله عزام ماجد الماجد، وعطية الله الليبي الرجل الثالث في تنظيم القاعدة، والمسؤول عن الفروع الإقليمية (قتل الأخير بصاروخ موجه من طائرة بدون طيار في وزيرستان في 22 آب/ أغسطس 2011)، وتؤكد المراسلات على أن الرجل الثاني في كتائب عبدالله عزام هو أبو محمد الفلسطيني وينشط في سوريا[2]،

(1) انظر: كتائب عبدالله عزام، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/ye8zhku9

(2) انظر: مجموع مراسلات الشيخين عطية الله الليبي وماجد الماجد، مؤسسة نخبة الفكر، على الرابط:

https://tinyurl.com/ygzrgpkq

ومن أبرز عمليات «كتائب عبدالله عزام»، في هذه المرحلة إعلان مسؤوليتها عما أسمته «غزوة السفارة الإيرانية»، في 19 تشرين ثاني/ نوفمبر 2013 والتي كانت من أضخم العمليات التي قامت بها الكتائب، والتي أسفرت عن مقتل 23 شخصاً، بينهم المستشار الثقافي في السفارة، وفي 26 ديسمبر/ كانون الأول 2014 أوقف الأمن اللبناني الماجد في أحد المستشفيات بعد دخوله للعلاج بسبب الفشل الكلوي، وبعدها بأيام في 3 كانون الثاني/ يناير 2014 فارق زعيم كتائب عبدالله عزام الحياة وهو رهن الاعتقال بسبب تفاقم مرضه[1].

عقب وفاة الماجد دخلت كتائب عبدالله عزام في سوريا في حالة من السكون، وتوقف نشاطها بسبب الانقسامات والخلافات داخلها، حيث انقسم أتباعها بين تنظيمي الدولة الإسلامية وجبهة النصرة، وفي تشرين ثاني/ نوفمبر 2019 أعلنت كتائب «عبد الله عزام» أنها حلت نفسها داخل سوريا، وجاء في بيان المجموعة: «نحن في كتائب عبدالله عزام في سوريا بعد الدراسة والتشاور، ولصالح الجمهور المسلم نعتقد أنه من الصواب الإعلان عن الحل الكامل لكتائب عبدالله عزام في أرض الشام» داعياً أعضاءها ومؤيديها لـ«مواصلة طريق الجهاد»[2].

كشف أبو عبدالله الشامي المسؤول الشرعي لجبهة النصرة، في كتابه «في ظلال دوحة الجهاد» أن بلاد الشام كانت بمثابة «الحلم الكبير» الذي طالما انتظره

---

(1) انظر: ماجد الماجد يموت على سرير اعتقاله بالمستشفى العسكري في بيروت، فرانس 24، على الرابط:

https://tinyurl.com/yf9fh8nt

(2) انظر: «ألوية عبدالله عزام» تحلّ نفسها في سوريا، ترجمة نداء سوريا، موقع «لونغ وور جورنال»، على الرابط:

https://tinyurl.com/yjbmf3a4

تنظيم «القاعدة» وحاول الوصول إليه طوال العقود الماضية. وقد اقترب من حلمه أكثر من أي وقت مضى مع الغزو الأميركي للعراق، ويؤكد الشامي أن المشروع الحقيقي للزرقاوي كان الانتقال إلى الشام بعد توطيد العمل في العراق، وبالفعل، أنشأ الزرقاوي فرعاً سرياً له في سوريا و«دعمه بالأموال استعداداً لبداية المشروع»، إلا أنه سرعان ما قُتل بعد ذلك، وتعرض فرع التنظيم في سوريا إلى «ضربات أمنية متتالية جعلت قيادات التنظيم بين قتيل أو أسير بين عامي 2005-2008» لكن ذلك لم يوقف طموحات «القاعدة»، ففي عام 2008 أرسل أسامة ابن لادن مندوباً عنه إلى الشام، من أهل الشام، لتأسيس فرعٍ للتنظيم، ولإعادة دراسة المسألة، لكن المندوب وقع في الاعتقال، مشيراً إلى أنه خرج من المعتقل بعد سنوات عديدة[1].

في الأثناء وقع تغيير كبير في موقف النظام السوري من موضوع الجهاديين العرب، فقد توجهت الاتهامات للنظام باغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق رفيق الحريري (في 14 شباط/ فبراير 2005)، وشهد لبنان ثورة سياسية وشعبية عصفت بالوجود السوري في لبنان، وانتهت يوم السادس والعشرين من شهر نيسان/ أبريل من العام نفسه بخروج الجيش السوري من لبنان. وبات النظام السوري في حالة من النبذ والعزلة الدولية، وشعر بتضييق الخناق عليه، فبدأ بإعادة تأهيل نفسه من ذات المدخل باعتباره شريكاً في حرب الإرهاب، إذ تغيرت الحسابات السياسية للنظام السوري، وشرع بفرض قيود على حركة عبور المقاتلين،

(1) انظر: أبو عبدالله الشامي، في ظلال دوحة الجهاد، الطبعة الأولى، 2016، جامع الكتب المصورة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4aj97ncb

وانتهى الأمر باغتيال أبو القعقاع في ظروف غامضة في 28 أيلول/ سبتمبر 2007، بعد أن دخل 85-90٪ من المقاتلين الأجانب إلى العراق عبر الحدود السورية، وبهذا أصبحت الشبكة الجهادية السورية امتداداً جوهرياً لشبكات العراق، وصارت تعمل بلا دعم مباشر من نظام الأسد، وإن كان ذلك بعلمه[1].

في سياق تبدل الموقف السوري تجاه تشجيع عبور المقاتلين إلى العراق، بدأ بشن حملة اعتقالات واسعة في صفوف الإسلاميين عموماً والجهاديين خصوصاً، ما رفع عدد السجناء الإسلاميين في سجن «صيدنايا» بين العام 2004 والعام 2008، من 200 معتقل إلى ما يقارب 1460، معظمهم محسوبون على التيارات الجهادية، بمختلف تصنيفاتها، ولم يتجاوز عدد السجناء الآخرين 200 شخصٍ من مختلف التُهَم: إخوان مسلمون، حزب التحرير، نشطاء حقوق إنسان، نشاط سياسي معارض للنظام، نشطاء الأحزاب والتنظيمات الكردية، حزب العمال الكردستاني، والتعامل مع إسرائيل، بحيث تحوّلَ سجن «صيدنايا» بعد العام 2005 إلى مصنع لإنتاج التطرف بكل ما تعنيه الكلمة، فقد عمل النظام على الزجّ بكل عائدٍ من حرب العراق في السجن[2].

(1) انظر: حسن أبو هنيّة ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، مرجع سابق، ص75-76.

(2) انظر: دياب سرية، أكاديمية سجن صيدنايا العسكري، صناعة التطرف، الجمهورية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/23prjc2y

3. الربيع العربي وتحولات القاعدة الأيديولوجية

شكلت ثورات الربيع العربي السلمية التي انطلقت شرارتها الأولى في تونس في السابع عشر من كانون أول/ ديسمبر 2010، ثم عمّت معظم بلدان العالم العربي، تحدياً لتنظيم القاعدة والجهادية العالمية، فقد أصابتها الاحتجاجات السلمية بالارتباك والتشوش والحيرة، فقد استقرت الأطروحة الأيديولوجية للجهادية العالمية على مسلمة التغيير الجهادي العنيف واستحالة التغيير السلمي.

كان نجاح الاحتجاجات العربية السلمية للوهلة الأولى، ودخولها آفاق التحولات الديمقراطية برهاناً ساطعاً على فشل أيديولوجية القاعدة والجهادية العالمية المعادية للديمقراطية والتعددية، واستراتيجيتها التغييرية القتالية العنيفة المناهضة للانتفاضات الثورية السلمية، وعلى الرغم من انتكاسة الربيع العربي من خلال الثورات المضادة، وبعد قطع مسارات سلمية الانتفاضات وعسكرتها لاحقاً، كما حصل في ليبيا وسوريا واليمن بطرائق مختلفة، فقد بشر خبراء ومحللون (في ذلك الوقت) بهزيمة أيديولوجيا «تنظيم القاعدة» العنيفة وأفول برادايم «السلفية الجهادية» المتشدد[1].

---

(1) دفعت ثورات الربيع العربي ومقتل بن لادن بعض الخبراء والباحثين إلى استنتاجات خاطئة تبشر بنهاية تنظيم القاعدة، انظر نموذجا لهذه الكتابات، الدكتور فواز جرجس، القاعدة الصعود والأفول: تفكيك نظرية الحرب على الإرهاب، ترجمة الدكتور محمد شيتا، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، الطبعة الأولى، 2012. ومانيولا لميدا، هل وفاة الشيخ نهاية لتنظيم القاعدة، ضمن: القاعدة بعد بن لادن، مجموعة مؤلفين، المسبار، دبي، الطبعة الأولى، 2012، ص22-23.

تعززت فرضيات أفول الجهادية العالمية وتنظيم القاعدة مع نجاح الولايات المتحدة بقتل أسامة بن لادن في أيار/ مايو 2011، عبر عملية خاصة نفذها فريق من أفراد الجيش (وحدة سيلز) والمخابرات الأمريكية (سي أي إيه) داخل منزله في منطقة «أبوت آباد» في باكستان، وكان بن لادن قبل وفاته قد تفاعل مع ثورة الربيع العربي، وأصدر كلمة صوتية وحيدة تتعلق بالربيع العربي، نشرت بعد مقتله بعنوان «كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمته المسلمة»، وكانت قد سجلت في 20 نيسان/ إبريل 2011، إذ رحب بن لادن بالثورات التي أطاحت برئيسين مستبدين في مصر وتونس، ودعا إلى تطبيق الشريعة[1].

تزامن مقتل بن لادن مع تحقيق الثورات العربية لنجاحات وانتصارات باهرة في عدة بلدان، وقد جاء في بيان تأكيد مقتله الذي أصدره تنظيم القاعدة، إشارة إلى سروره وفرحه واحتفائه بإدراك عصر الثورات[2]، وقد بادر تنظيم

(1) وفي أحد الرسائل التي تضمنتها «وثائق أبوت آباد» (الوثيقة رقم 10) والتي كتبت في 25 نيسان/ إبريل 2011، وهي موجهة لقائد عمليات تنظيم القاعدة عطية الله الليبيي (جمال إبراهيم شتيوي المصراتي)، هنأ بن لادن الذين شاركوا في الثورات التي حققوها، لكنه نبههم أن يكونوا «حذرين من الحوار»، وقال إن الثورات تكاد تكون فرصةً لنهوض الأمة، والتحرر من هوى الحكام، والقوانين البشرية، والسيطرة الغربية. انظر: تنظيم قاعدة الجهاد - القيادة العامة، كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمته المسلمة، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، 17 جمادى الثانية 1432 هـ،20/ 5/ 2011 م، على الرابط:
https://www.youtube.com/watch?v=UkiGwWG3xuw

(2) تنظيم قاعدة الجهاد - القيادة العامة، عشتَ حميداً ومتَّ شهيداً، بيان بشأن ملحمة الإباء، واستشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، مركز الفجر للإعلام، الثلاثاء 29 جمادى الأولى 1432هـ الموافق: 3 مايو 2011م، على الرابط:
https://archive.org/details/Qaeda_BenLaden2

القاعدة بتنصيب أيمن الظواهري زعيماً جديداً للتنظيم (في 16 حزيران/ يونيو 2011)[1]، الذي بدوره ورث تركة قاعدية ثقيلة في ظروف تاريخية استثنائية، تمثلت بخسارة بن لادن ونجاح ثورات الربيع العربي السلمية آنذاك.

عقب فشل ثورات الربيع العربي، سرعان ما تماهت الجهادية العالمية وممثلها الأبرز تنظيم القاعدة مع التحولات الجديدة، ودخلت في ديناميكية جديدة عبر سلسلة من عمليات «التكيّف الأيديولوجي»، وحولت الاحتجاج العربي إلى ربيع جهادي؛ فقد توصلت القاعدة إلى خلاصة أساسية تنص على ضرورة التكيّف مع التحولات البنيوية عبر الانتقال من «النخبوية» إلى «الشعبوية»، من خلال نظرية «أنصار الشريعة»، فقد أدرك تنظيم القاعدة منذ بداية «الانتفاضات» العربية التغيرات الموضوعية والفائدة الحيوية للتحولات وعمل على استثمارها والربط بين أهدافه الأيديولوجية والحراك الشعبي، ودخل إلى رحم تلك الفعاليات وأصبحت رايات الجهاديين «السوداء» جزءًا من المشهد العام، بل إنّ القاعدة قد ادّعت بأن مناوشة العدو «القريب» والصراع مع العدو «البعيد» مهدت الطريق لـ«الثورات» العربية.

ظهرت تسمية «أنصار الشريعة» ابتداءً في اليمن مع مرحلة مبكرة من بدء الانتفاضات في العالم العربي، ودخول اليمن فعالية ثورة 11 فبراير 2011، وهي إحدى تكيفات تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب» الفرع الإقليمي الأقوى والأكثر نشاطاً بين الفروع الأخرى آنذاك، بل من التنظيم المركزي في باكستان منذ توحد الفرع اليمني والسعودي بداية 2009، فبحسب المسؤول الشرعي لتنظيم القاعدة

(1) تنظيم قاعدة الجهاد/ القيادة العامة، بيان بشأن خلافة الشيخ أسامة بن لادن في إمارة جماعة قاعدة الجهاد، مركز الفجر الإعلامي، على الرابط:
https://archive.org/details/nvbdspocez

في جزيرة العرب؛ عادل بن عبدالله بن ثابت العباب المكنى بالشيخ «أبو الزبير» أُعلن في الثاني والعشرين من إبريل/ نيسان 2011 عن تأسيس «أنصار الشريعة»، إذ يقول: «أطلقت هذه التسمية لتحبيب الناس بالشريعة في المناطق التي تسيطر عليها القاعدة»، وتعتمد على جذب القبائل والسكان المحليين في اليمن إلى أيديولوجية القاعدة أو التيار السلفي الجهادي عبر «تحويل تحكيم الشريعة من عمل نخبوي إلى عمل شعبوي»[1].

4. الانتشار في المشرق العربي

استثمر تنظيم القاعدة اندلاع الحركة الاحتجاجية السلمية في سوريا منتصف آذار/ مارس 2011، لتأسيس هياكل تنظيمية مستدامة وإنشاء فرع إقليمي للقاعدة في سوريا وبلاد الشام، ومع تحول الاحتجاجات السلمية في سوريا إلى حالة عسكرية مسلحة، دخل تنظيم «القاعدة» في فترة مبكرة إلى الساحة السورية لتنفيذ مشروعه الواسع الخاص ببلاد الشام، فقد عملت «القاعدة» على استثمار حالة الفراغ والفوضى وعجز النظام عن فرض سيطرته على أراضيه، بإنشاء هياكل تنظيمية جهادية متعددة وملاذات آمنة، بعد أن كانت عاجزة قبل ذلك عن تأسيس كيانات جهادية راسخة في سوريا.

في لحظة الربيع العربي 2011 عمل نظام الأسد على ترويج خطاب «الخوف»، محلياً وإقليمياً ودولياً، وذلك من خلال تصوير الحراكات في سوريا باعتبارها «إرهابية»، و«طائفية»، ولم يقتصر سلوك النظام السوري على صعيد

(1) انظر: مراد بطل الشيشاني، من هم «أنصار الشريعة» في اليمن، على الرابط:
https://tinyurl.com/s74hkmvw

الخطاب، بل عمل على بناء إستراتيجية عملية من خلال جملة من الإجراءات والقرارات والممارسات، ففي منتصف عام 2011، عقب تصاعد الحركات الاحتجاجية الشعبية السلمية، أصدر النظام عفواً رئاسياً عن معتقلي سجن «صيدنايا» (بتاريخ 31 أيار/مايو 2011)[1]. وقد شكل نزلاء سجن «صيدنايا» فور إطلاق سراحهم، العمود الفقري للمعارضة الإسلامية المسلحة، إذ برزت أسماء ثلاث شخصيات تولت قيادة أبرز الفصائل الجهادية، وهم: زهران علّوش، الذي قام بتأسيس وقيادة «لواء الإسلام»، الذي تحول إلى «جيش الإسلام»، وحسّان عبّود (الملقّب بأبي عبدالله الحموي)، الذي برز كقائد لـ «حركة أحرار الشام»، وعيسى الشيخ، الذي أصبح قائداً لـ «لواء صقور الإسلام» (وكانوا جميعا قد اعتقلوا خلال عام 2004)[2].

عزز من سرعة نمو الحالة الجهادية السورية بعد الربيع العربي أنّه خلال سنوات ما قبل الانتفاضة الشعبية في سورية، تشكلت قناعة لدى نظام الأسد وأجهزة مخابراته بإمكانية رعاية الجماعات والمجموعات الجهادية والتلاعب بها وتوظيفها لخدمة النظام، حين اندلع النزاع الحالي في سوريا، لم يكن مدهشاً أن

(1) لمزيد من التفصيل حول تاريخية ووظيفة سجن صيدنايا، انظر: هيثم مناع، سجن صيدنايا: بين الحقيقة والتوظيف، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/48nk4aec

(2) انظر: باسل الجنيدي، قصّة «أصدقاء صيدنايا»: أقوى ثلاثة رجال في سوريا اليوم!، الجمهورية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/yw84xaay

تظهر الجماعات الجهادية أول الأمر في المناطق الشرقية، حيث نقاط العبور الرئيسية إلى العراق[1].

ومع دخول الثورة السورية آفاق العسكرة وتنامي العمل المسلح بعد ثلاث شهور، بات مصطلح «الجهاد» الأكثر تداولاً، وبدأت الجماعات الجهادية ذات الصبغة السلفية تعلن عن وجودها، ومن أهمها: «كتائب عبدالله عزام»، وجماعة «فتح الإسلام»، وجماعة «جيش الصحابة في بلاد الشام»، وبرزت «كتائب أحرار الشام»، وبمراجعة بياناتها أصبحت «الطائفية» أحد أهم مفرداتها إلى جانب «الجهاد»[2].



(1) انظر: بيتر نيومان، جهاديوا في سوريا: لا يلومن الأسد إلا نفسه، ترجمة ياسر الزيات، الجمهورية نت، على الرابط:
https://tinyurl.com/266f37pp

(2) لمزيد من التفصيل حول ظهور الجماعات السلفية الجهادية قي سوريا منتصف 2011 وبداية 2012، انظر: د. أكرم حجازي، الثورة السورية ومسارات التدويل (6)، خريطة القوى المسلحة، موقع زمان الوصل على الرابط:
https://tinyurl.com/ydka6v9r

الفَصْلُ الثَّالِثُ

الشام في المنظور الأيديولوجي والإستراتيجي للقاعدة

أمتي المسلمة لا يخفى عليكِ أن أقرب ميادين الجهاد اليوم لنصرةِ أهلنا في فلسطين هو ميدان العراق، ينبغي الاهتمام به والتركيز عليه ونصرته، وإن واجب النصرة أشد ما يكون على المسلمين في دول الجوار وينبغي على أهل الشامِ كل الشام، أهل الأرض المباركة أن يستشعروا عظم فضل الله عليهم، ويقوموا بما يجب عليهم من نصرة لإخوانهم المجاهدين في العراق

أسامة بن لادن

قبل الانتقال إلى التطور الواقعي المهم مع عبور القاعدة إلى سورية والدول الأخرى، من الضروري أن نتوقف مع الاعتبارات الأيديولوجية والإستراتيجية لمنطقة المشرق العربي في أدبيات القاعدة الدينية والأيديولوجية والإستراتيجية، بخاصة سوريا وفلسطين.

فبالرغم من أنّ القاعدة -كما ذكرنا سابقاً- لم تجد لها حضوراً ملموساً قبل احتلال العراق 2003، وتمكن الزرقاوي من تأسيس تنظيم جهادي، انضم للقاعدة لاحقاً، وبالرغم كذلك من أنّ الجماعات الجهادية عموماً كانت تركّز على «العدو القريب»، أي الأنظمة العربية، قبل الوصول إلى أولوية القضية الفلسطينية، إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّ منطقة الشام، بخاصة فلسطين، لم تحظ بأهمية دينية ورمزية وإستراتيجية في أدبيات الجهاديين، والتي اكتسبت أهمية أكبر مع تحولاتهم الأيديولوجية، مروراً بعولمة الجهاد، ووصولاً إلى أحداث 11 سبتمبر 2001.

ثمة روافد عديدة لتلك القيمة الرمزية والتاريخية والدينية لبلاد الشام وفلسطين خصوصاً، في رؤية قيادات القاعدة، منهم أبو مصعب الزرقاوي، لأسباب دينية باعتبارها «مباركة»، و«أرض الحشد والرباط»، و«معقل الطائفة المنصورة»، و«الفرقة الناجية»، وقد أضفى الصراع العربي - الإسرائيلي والقضية الفلسطينية، منذ 1948، أهمية حيوية وإستراتيجية مضاعفة لمنطقة المشرق العربي ومنها بلاد الشام، كمدخل وبوابة رئيسية لتحرير فلسطين من خلال نظرية

«الجهاد». إذ تؤكد التيارات الجهادية، عموماً، على النظر إلى فلسطين من زاوية دينية إسلامية شرعية، تستند إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية[1].

1. فلسطين في الأدبيات الجهادية سابقاً

توصلت الحركات الجهادية المحلية في مرحلة مبكرة إلى أن تحرير فلسطين يمر عبر قتال «العدو القريب» الذي يتمثل بالأنظمة العربية، فبحسب عبدالسلام فرج[2] في كتابه «الجهاد: الفريضة الغائبة»، الذي كتبه بداية 1981، على وَقع

(1) انظر: د. أكرم حجازي، رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية: القاعدة نموذجاً، ص33-35، على الرابط:

https://tinyurl.com/yg2bpxhd

فقد وردت آيات قرآنية عدة في وصف فلسطين كجزء من بلاد الشام باعتبارها أماكن مقدسة، إذ توصف بكونها «أرض الإسراء والمعراج» أو «أرض الأنبياء» أو «أرض الرباط» أو «أرض بيت المقدس» أو «بيت المقدس»، وتتكاثر الأحاديث النبوية التي تتحدث عن فضائل بلاد الشام كمنطلق للحشد والرباط والجهاد، باعتبار الشام موطن البركة والأمن ونصرة الدين، وباعتبارها موطن الطائفة المنصورة، وتروي الأحاديث النبوية عن ثلاثة أجناد محددة هي جند الشام وجند اليمن وجند العراق، وباركت في اليمن والشام، ولكنها فيما يخص القتال والنصرة وخيرة بني البشر ركزت على الشام وبيت المقدس دون غيرهما، كما أن الأحاديث النبوية اختصت الشام برحمة الله وكفالته وفي رواية أخرى بحماية الملائكة لها، وتبشر الأحاديث بالشام كملجأ آمن حيت تقع الفتن والملاحم في آخر الزمان.

(2) محمد عبدالسلام فرج (1942-1982) مصري الجنسية، من مواليد «قرية الدلنجات محافظة البحيرة»، وقد تخرج من كلية الهندسة، جامعة القاهرة، وعمل في الجامعة نفسها، وتولى منصب أمير تنظيم الجهاد في مصر منذ عام 1979، واستطاع أن يضم خالد الإسلامبولي لتنظيم الجهاد عام 1980، وقام بالتخطيط معه لاغتيال الرئيس السادات في 6 تشرين أول/ أكتوبر عام 1981، وقد أعدم فرج في نيسان/ إبريل عام 1982.

توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل (كامب ديفيد) عام 1979، والذي يعتبر الأساس النظري الذي مهد لاغتيال الرئيس المصري أنور السادات (في 6 تشرين أول/ أكتوبر 1981)، فإن «هناك من يقول بأن ميدان الجهاد اليوم، هو تحرير القدس كأرض مقدسة، والحقيقة إن تحرير الأراضي المقدسة أمر شرعي، واجب على كل مسلم، ولكن يجب توضيح أن قتال العدو القريب، أولى من قتال العدو البعيد»[1]، ويؤكد أيمن الظواهري في مرحلة مبكرة على «أن المعركة في فلسطين والجزائر والبوسنة والشيشان معركة واحدة تدور على جبهات مختلفة، وإن المعركة في فلسطين... بميزان الأسباب لن تحسم ولن تفتح القدس إلا إذا حسمت المعركة في مصر والجزائر... وإلا إذا فتحت القاهرة»[2]، وقد كان الجدل خلال هذه الحقبة داخل الحركات الجهادية في تعريف العدو القريب والبعيد وتحديده وأولوية قتاله بين من يعتبر الأنظمة المحلية العدو الأولى بالقتال، وبين من يعتبر قتال إسرائيل كأولوية.

كانت فلسطين أحد المحركات الأساسية للحالة الجهادية منذ بداياتها الأولى، ولا غرابة في كون أبرز المنظرين الجهاديين من أصول فلسطينية، إذ يعتبر الدكتور صالح سرية[3] من أوائل الفلسطينيين الذين آمنوا بالنهج الجهادي

---

(1) انظر: محمد عبدالسلام فرج، الجهاد: الفريضة الغائبة، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: https://tinyurl.com/yjjfyy2r

(2) انظر: أيمن الظواهري، الطريق إلى القدس يمر عبر القاهرة، مجلة المجاهدون، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: https://tinyurl.com/yzvckd6g

(3) صالح سرية (1937-1976)، فلسطيني ولد في قرية إجزم قضاء يافا في فلسطين عام 1937، وعاصر أحداث أيلول في الأردن 1970، التي أسفرت عن خروج التنظيمات =

العالمي، فقد عمل على تأسيس تنظيم إسلامي جهادي في مصر باسم «الفنية العسكرية» وتم القضاء عليه عام 1974 وانتهى بإعدامه، وكان يهدف إلى قلب نظام الحكم باعتباره خطوة على طريق تحرير فلسطين، وفق تدشين رؤية تقوم على الاعتقاد بأولوية قتال «العدو القريب» ممثلا بالأنظمة العربية التي تحول دون قتال «العدو البعيد» ممثلاً بإسرائيل، وقد وضع سرية خلاصة أفكاره في وثيقة وحيدة بعنوان «رسالة الإيمان»، كتبها سنة 1973، الأمر الذي سوف يتطور مع الفلسطيني محمد سالم الرحال الذي ساهم في تأسيس فكر حركة «الجهاد» في مصر.

على الرغم من ارتباط د. عبدالله عزام -كما ذكرنا سابقاً- بمفهوم الجهاد التضامني، وخصوصاً في أفغانستان، لكن فلسطين كانت المحرك الأساس لأيديولوجيته وسلوكه وخطاباته، فبالنسبة له كان تحرير فلسطين واجباً دينياً محتوماً.

= الفلسطينية من الأردن، واستقرارها في بيروت، بعد صدام مسلح، ولم يشارك سرية في هذه الأحداث، ثم انتقل بعدها إلى العراق ونشط مع جماعة الإخوان المسلمين هناك، حيث فر منها إلى مصر سنة 1971، هرباً من حكم غيابي بالإعدام، على خلفية اتهامه بتكوين خلية لحزب التحرير، ومناهضة النظام الحاكم، وفي مصر عمل في مقر جامعة الدول العربية، وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة عين شمس، وقد أسس سنة 1973، تنظيم «شباب محمد»، الذي عرف باسم «الفنية العسكرية»، ودبر انقلاباً فاشلا في 18 نيسان/ إبريل 1974، وقد أصدرت المحكمة في 31 أيار/ مايو 1975 حكما بإعدام سرية وكارم الأناضولي وحكم بسجن 29 عضواً وبراءة 60 آخرين، ونفد حكم الإعدام سنة 1976، ولا صلة له تنظيميا بحزب التحرير، وإن كان قد اطلع على تراث الشيخ تقي الدين النبهاني.

وقد كان عزام يؤكد على أن «قضية فلسطين قضية عقيدة»، وكان يرثي مراراً، حقيقة أنه كان عليه أن يترك الجهاد في فلسطين بعد «أحداث أيلول» عام 1970، وأعلن: «لن يهدأ لنا بال ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين».

بالنسبة لعزام، لم تكن فلسطين مهمة فحسب؛ بل كانت لها الأولوية فوق كل النضالات في العالم المسلم، حتى وهو في خضم الجهاد الأفغاني، أقر بشكل واضح أن «فلسطين أولى من أفغانستان»، وأن كابُل وسيلة لهدف طويل الأمد وطريق لتحرير القدس، وقد برر عزام الانتقادات التي وجهت إليه بترك الجهاد في فلسطين وذهابه إلى أفغانستان، بهيمنة المنظمات اليسارية العلمانية على القضية الفلسطينية، وأن ميدان القتال كان متعذراً الوصول إليه عملياً منذ السبعينيات، فلم تكن إسرائيل فقط هي التي تحرس حدودها جيداً للغاية، بل إن جيرانها المباشرين: مصر والأردن وسوريا ولبنان منعوا المقاتلين المحتملين من الوصول حتى إلى مسافة ضرب إسرائيل[1].

2. فلسطين في أيديولوجيا القاعدة

سوف تنقلب أولوية القتال في الأجندة الجهادية من التضامني إلى العولمي، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المنظومة الاشتراكية، وصعود العولمة العسكرية الأمريكية، وظهور الجهادية العالمية وتأسيس تنظيم القاعدة إلى أولوية مواجهة «العدو البعيد»، كما أشرنا سابقاً[2].

---

(1) انظر: توماس هيغهامر، القافلة: «عبد الله عزام وصعود الجهاد العالمي» ترجمة عبيدة عامر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2021، ص66-68.

(2) انظر: أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط: https://tinyurl.com/yjekec9s

لقد قامت القاعدة لاحقاً، مع الدخول في الطور الأيديولوجي الجديد، الذي يقوم على «عولمة الجهاد»، بإعادة موضعة القضية الفلسطينية لتصبح جزءًا رئيسياً في خطاب التنظيم السياسي والإعلامي، بل وضمن مخططاته الإستراتيجية. فقد عملت القاعدة على بناء سردية قتالية محورها فلسطين، ومنذ العام 1998 (تأسيس الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين) أصبحت فلسطين ثيمة أساسية في فكر وخطابات بن لادن[1]، وفي أعقاب هجمات 11 أيلول/ سبتمبر 2001 أطلق قسمه الشهير « أقسم بالله العلي العظيم لن تنعم أمريكا ولا من يعيش في أمريكا بالأمن حتى نعيشه واقعاً في فلسطين، وحتى تخرج جميع الجيوش الكافرة من أرض محمد ﷺ»[2].

ترتكز فكرة الجهاد العالمي لتحرير فلسطين عند بن لادن على أسس دينية وإستراتيجية، من خلال خلق فضاء جهادي في بلاد الشام يشكل عمقاً استراتيجياً ضرورياً لتحرير فلسطين، إذ يقول بن لادن: «أمتي المسلمة لا يخفى عليكِ أن أقرب ميادين الجهاد اليوم لنصرةِ أهلنا في فلسطين هو ميدان العراق، ينبغي الاهتمام به والتركيز عليه ونصرته، وإن واجب النصرة أشد ما يكون على المسلمين في دول الجوار وينبغي على أهل الشامِ كل الشام، أهل الأرض المباركة أن يستشعروا عظم فضل الله عليهم، ويقوموا بما يجب عليهم من نصرة لإخوانهم المجاهدين في العراق، وإنها لفرصةٌ عظيمة وواجبٌ كبير على إخواني المهاجرين

---

(1) انظر: ضياء رشوان، فلسطين في رؤية أسامة بن لادن، دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، الطبعة الأولى، يناير 2006، الفصل العاشر.

(2) انظر: د. أكرم حجازى، دراسات فى السلفية الجهادية، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2013، ص193–216.

من أهل فلسطين، الذين حيل بينهم وبين الجهاد على ربى القدس أن ينفضوا عنهم أوهام الأحزاب والجماعات الغارقة في خدعة الديمقراطية الشركية، وأن يسارعوا بأخذ مواقعهم في صفوف المجاهدين في أرض الرافدين فتكون المؤازرة وحسن التوكل على الله ونصرته لينصرهم بإذنه تعالى، ثم يكون الانطلاق إلى الأقصى المبارك حوله فيلتقي المجاهدون من الخارج مع إخوانهم في الداخل فيعيدوا لنا بإذن الله ذكرى حطين وتقر أعين المسلمين بالنصر المبين»[1].

شكّلت القضية الفلسطينية أحد أهم نقاط الاتفاق بين الزرقاوي وبن لادن، فقد تطورت السردية الجهادية العالمية الخاصة ببلاد الشام عموماً، وفلسطين خصوصاً، وبات قسم بن لادن زعيم تنظيم القاعدة المركزي بخصوص فلسطين، وعبارة زعيم القاعدة في بلاد الرافدين أبو مصعب الزرقاوي الشهيرة والتي وردت في خطابه المرئي الأول «هذا بلاغ للناس»: «نقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس»، ثيمة راسخة في خطابات الجهادية العالمية، بحيث أصبحت فلسطين حاضرة في كافة إعلانات تأسيس الفروع الإقليمية للقاعدة، ففي خطاب الإعلان عن تأسيس قاعدة الجهاد في جزيرة العرب بعد اندماج الفرعين السعودي واليمني بداية 2009 كان عنوان الشريط الذي صدر عن مؤسستها الإعلامية «الملاحم»: «من هنا نبدأ وفي الأقصى نلتقي».

كما أن الأشرطة المرئية لمؤسسة «السحاب» التابعة لتنظيم القاعدة المركزي، تَغيّر نهجها منذ الحرب على غزة 2009، وأصبحت تضع صورة المسجد الأقصى

(1) انظر: أسامة بن لادن، كلمة صوتية، السبيل لخلاص فلسطين، مؤسسة السحاب، على الرابط:

https://tinyurl.com/yhysjb8x

خلفية لبداية أشرطتها، وكذلك فعلت كافة الفروع الإقليمية، كقاعدة المغرب الإسلامي، ومؤسستها الإعلامية «الأندلس» التي ظهرت في أشرطتها منذ 2009 قبة الصخرة في بداية الشريط كخلفية ومرفقة بنشيد «عذرا فلسطين»، وكذلك في شريط: «غزوة الشريعة» حيث ظهرت قبة الصخرة في مطلعه يرفقه بنشيد «صبرا يا أقصى»[1].

على صعيد التخطيط الاستراتيجي؛ تشير إحدى الوثائق الإستراتيجية لتنظيم القاعدة، إلى مركزية فلسطين وبلاد الشام في المشرق العربي، في رؤية خطط التنظيم، ففي المرحلة الثالثة التي تطلق عليها الوثيقة «مرحلة النهوض والوقوف على القدمين»، لإحداث نقلة نوعية مهمة في عملية التغير في المنطقة المحيطة بالعراق، حيث سيتم التركيز في البداية على الشام.

لم يكن اختيار الشام عشوائياً بالنسبة للقاعدة، فهي تستند إلى الأحاديث النبوية التي تتحدث عن حصار الشام بعد العراق، وتشدد الوثيقة على الدور الذي ستلعبه طلائع «جند الشام» التي تتهيأ لشن هجمات داخل سوريا، ووفقا للمرحلة الثانية «فتح العيون 2003-2006» من خطتها، إذ تسعى القاعدة إلى تحقيق هدفين مركزيين بخصوص فلسطين، حيث تتوجه فيه القاعدة أولاً إلى تحقيق المزيد من الحشد والرباط في المناطق المحيطة ببيت المقدس، فإذا تفتحت عيون المسلمين على واقعهم الذي آلوا إليه وازداد التيار توسعاً وانتشاراً وقوة حينها يبدأ الاشتباك المباشر مع دولة اليهود في فلسطين، تمهيداً لإعادة الخلافة التي مركزها القدس[2].

(1) انظر: حسن أبو هنيّة، هل دخلت الجهادية العالمية فلسطين، موقع عربي 21، على الرابط: https://tinyurl.com/ydkfqz3l

(2) انظر: فؤاد حسين، الزرقاوي: الجيل الثاني للقاعدة، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005، ص204-206.

الفَصْلُ
الرَّابِعُ

جبهة النصرة: وجه القاعدة الجديد في المشرق العربي

«إخواننا وأهلنا في شام الرباط والجهاد، يعلم الله أنه لولا الحرب المستعرة التي نشتبك فيها مع الصليبية المعاصرة، ولولا السدود والحدود التي رسمها سايكس وبيكو ثم قدّسها حكامنا؛ لولا ذلك لكنت وإخواني اليوم بينكم ووسطكم نذود عنكم بنحورنا وندفع عنكم بصدورنا، ولكن يعزينا أنّ في شام الإسلام والاستشهاد من المجاهدين والمرابطين ما يكفي ويزيد».

أيمن الظواهري
زعيم تنظيم القاعدة

لم يكن مشهد العمل الجهادي في سوريا بعيداً عن نظر تنظيم القاعدة، وفرعه العراقي القريب، فمنذ شهر تموز/يوليو 2011، بدأت الاتصالات بين الجهاديين السوريين في ساحات القتال وخصوصاً العراق مع تنظيم القاعدة المركزي[1].

مثّلت جبهة النصرة التوجه الجديد البارز لتنظيم القاعدة في الشام، عندما بدأ الجهاديون بالتوافد إلى سوريا بتنسيق مع تنظيم القاعدة المركزي، وبإشراف مباشر من الفرع العراقي للقاعدة، دون الإشارة إلى علاقة الحالة الجهادية بالمركز أو الفرع العراقي، تجنباً للأخطاء التي وقع فيها التنظيم في العراق، وتعمية على الأجهزة الاستخبارية، ولتيسير العمل مع الفصائل المسلحة الأخرى وفق نهج

(1) أصدر الظواهري كلمة مرئية بعنوان «عز الشرق أوله دمشق»، قال فيها: «إخواننا وأهلنا في شام الرباط والجهاد، يعلم الله أنه لولا الحرب المستعرة التي نشتبك فيها مع الصليبية المعاصرة، ولولا السدود والحدود التي رسمها سايكس وبيكو ثم قدّسها حكامنا؛ لولا ذلك لكنت وإخواني اليوم بينكم ووسطكم نذود عنكم بنحورنا وندفع عنكم بصدورنا، ولكن يعزينا أنّ في شام الإسلام والاستشهاد من المجاهدين والمرابطين ما يكفي ويزيد».
انظر: أيمن الظواهري، كلمة مرئية بعنوان: عز الشرق أوله دمشق، بتاريخ 28/ 7/ 2011، مؤسسة السحاب، على الرابط:
https://tinyurl.com/yg46ekm2

«أنصار الشريعة» الذي توصل له تنظيم القاعدة عقب الحراكات الاحتجاجية في العالم العربي 2011 للتكيف مع التحولات والمتغيرات في المنطقة[1] ؟

يكشف الظواهري عن طبيعة نشأة وتأسيس جبهة النصرة عبر تفاهمات مسبقة حول العمل الجهادي في سوريا بين تنظيم القاعدة المركزي والفرع العراقي المعروف بتنظيم «دولة العراق الإسلامية»، فقد صرح الظواهري عن إستراتيجية القاعدة خلال هذه المرحلة، بالقول: «كان التوجيه من القيادة العامة ألا نعلن أي وجود علني للقاعدة في الشام وكان هذا الأمر محل اتفاق حتى مع الإخوة في العراق»[2].

1. جبهة النصرة: بين المحلية والأممية

كانت نشأة جبهة النصرة في سوريا ملتبسة على صعيد الهوية والأيديولوجية، وتنطوي على سلطتين مرجعيتين ومنهجين مختلفين، إحداها تنتمي إلى نهج تنظيم القاعدة المركزي السياسي، وتكيفاته الأيديولوجية عقب ثورات الربيع العربي التي تستند إلى حروب «الأنصار»، وثانيهما نهج الفرع العراقي الهوياتي، الذي يتمتع بنوع من الاستقلالية النسبية ويتمسك بموضوعة حروب «الهوية»، فقد ظهر

(1) ظهرت تسمية «أنصار الشريعة» ابتداء في اليمن في مرحلة مبكرة من بدء الانتفاضات في العالم العربي، وهي أحد اجتهادات تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب»، انظر: محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، «أنصار الشريعة»: أشكال استجابة «القاعدة» للتحول الديمقراطي في العالم العربي، المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات، على الرابط:
https://tinyurl.com/yzcxx37c

(2) أيمن الظواهري، الواقع بين الألم والأمل، لقاء صوتي مفرغ أجرته مؤسسة السحاب السابع، في أيار/ مايو 2014، على الرابط:
https://tinyurl.com/ye69hgbb

الالتباس في هوية التنظيم الجديد بصورة واضحة منذ الإعلان رسمياً عن تأسيس «جبهة النصرة لأهل الشام» في سوريا من خلال تسجيل مرئي بعنوان: «شام الجهاد» (بتاريخ 24 كانون ثاني/ يناير2012)، بزعامة أبو محمد الجولاني[1]، على الرغم من وجود التنظيم منذ شهر تموز/ يوليو 2011، بدون تسمية، بعد أن أرسل أبو بكر البغدادي زعيم الفرع العراقي للقاعدة مجموعة على رأسها حجي عبدالناصر قرداش وحجي بكر الخليفاوي وأبو علي الأنباري وأبو محمد الجولاني وأبو محمد العدناني لتشكيل النواة الأولى لنشر أفكار القاعدة في سوريا وتأسيس فرع القاعدة في بلاد الشام[2].

رغم عمليات التمويه والتعمية، فقد كانت العلاقة بين جبهة النصرة وتنظيم القاعدة المركزي واضحة، حيث ظهر زعيم القاعدة أيمن الظواهري عقب الإعلان عن تأسيس النصرة في شريط مصور بعنوان: «إلى الأمام يا أسود الشام»، أصدرته مؤسسة السحاب الإعلامية التابعة للقاعدة في 12شباط/ فبراير 2012، دمج فيه الظواهري بين السياسي والهوياتي في وصف النظام السوري، وأكد على نهج القاعدة الأساس بمواجهة الولايات المتحدة وحلفائها وإسرائيل، إذ يقول: «ومع ازديادِ إجرام النظام البعثي العلماني الطائفي يزدادُ أهلُنا الأبطالُ الأشاوسُ المجاهدون كلَ يومٍ ثباتًا وصبرًا وصمودًا واستبسالًا، ويخوضون معركةَ العزةِ

(1) انظر: إعلان تشكيل جبهة النصرة في بلاد الشام، على الرابط:

https://tinyurl.com/yg2fvase

(2) انظر: العربية نت تنفرد بحوار مع أهم قادة داعش في العراق (عبد الناصر قرداش)، العربية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/ya3dmyu5

والكرامةِ ضد النظامِ العلماني الطائفي، واستحضروا نيةَ تحريرِ بيتِ المقدسِ»[1]. ولم تكن التعمية على هوية وانتماء النصرة للقاعدة ناجحة، فلم تنتظر الولايات المتحدة طويلاً على محاولة «جبهة النصرة» التعمية على هويتها وانتمائها، فقد أدرجتها على قائمة الإرهاب في 11 كانون أول/ ديسمبر 2012، واعتبرتها امتداداً للفرع العراقي للقاعدة والمعروف باسم «دولة العراق الإسلامية»[2].

أخذت جبهة النصرة بالتكيّف مع تطورات الحالة السورية، وكانت تتجه إلى مزيد من البراغماتية، وبدأت تنأى بنفسها تدريجياً عن نهج الفرع العراقي للقاعدة، وشرعت بالتقارب بصورة جلية واضحة من نهج القاعدة المركزي الجديد وتكيفاته الموسومة بـ«أنصار الشريعة» والاندماج مع الشأن المحلي، فبحسب تشارلز ليستر: «منذ منتصف إلى أواخر العام 2012، أظهرت المجموعة مستويات عالية من البراغماتية من حيث اعتدال سلوكها، وحدّها من إظهار أهدافها الأيديولوجية المباشرة، فبالإضافة إلى ولائها لتنظيم القاعدة، تهدف جبهة النصرة على المدى الطويل إلى إقامة دولة إسلامية في سوريا كنقطة انطلاق لتحرير القدس وإقامة الخلافة الإسلامية، أما على المدى القصير فتعمل المجموعة على مستوى محلي مع إيلاء اهتمام خاص للحفاظ على علاقات طيبة مع المدنيين

(1) أيمن الظواهري، «إلى الأمام يا أسود الشام»، مؤسسة السحاب في 12شباط/ فبراير 2012، على الرابط:
https://tinyurl.com/ygqgwso6

(2) انظر: أمريكا تعتبر جبهة النصرة السورية المعارضة منظمة إرهابية، رويترز، على الرابط:
https://tinyurl.com/yh6kctww

والمتمردين المعتدلين، كما أنها حظرت فرض عقوبة «الحدود» خلال الحرب»[1]، وخلال السنوات اللاحقة كانت إستراتيجية جبهة النصرة تتجه نحو «سورنة» التنظيم أولاً، و«شومنته» ثانياً، أما البعد العالمي فقد كان يضمر ويضعف على حساب البعد المحلي»[2].

تنامت الخلافات بين جبهة «النصرة» وتنظيم «الدولة الإسلامية» بسبب التباس المرجعية الفكرية النظرية للنصرة، وتضارب الخيارات الإستراتيجية العملية، ففي الوقت الذي كانت فيه مرجعيات الفرع العراقي تستند فقهياً إلى أبي عبدالله المهاجر، وعملياً إلى أطروحات أبي بكر ناجي، كانت جبهة النصرة تفتقر إلى التجانس الأيديولوجي، وتتوافر على خلافات وانقسامات، فالجولاني يستند نظرياً وعملياً إلى أطروحات أبي مصعب السوري، وأما المسؤول الشرعي السابق للنصرة أبو مارية القحطاني، فينحاز إلى أطروحات ومراجعات المنظّر الاستراتيجي القاعدي عطية الله الليبي، بينما يستند سامي العريدي المسؤول الشرعي إلى تراث عبدالله عزام وأبي محمد المقدسي، وعلى الصعيد العملي التنظيمي العسكري، شكّل الخلاف حول آلية العمل أحد خطوط التصدع والاختلاف، كما

(1) انظر: تشارلز ليستر، الأزمة مستمرة، تحليل المشهد العسكري في سوريا، مركز بروكنجز الدوحة، موجز السياسة، مايو 2014، ص2، على الرابط:
https://tinyurl.com/yhjadd66

(2) انظر: حسن أبو هنيّة ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، مؤسسة فريدريش أيبرت، عمان، الطبعة الأولى، 2015، ص88-89.

مثلت موضوعة مركزية التنظيم[1] التي كان يدافع عنها «أبو بكر الناجي» في كتابه «إدارة التوحش»[2]، وتبناها تنظيم الدولة الإسلامية، ولا مركزيته التي تبناها «أبو مصعب السوري» في كتابه «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية»[3]، التي انحازت إليها جبهة النصرة، إحدى الإشكاليات الخلافية بين الطرفين.

وصلت الخلافات بين تنظيمي الدولة الإسلامية وجبهة النصرة مرحلة حاسمة من القطيعة، فقد فشلت الوساطات في التوصل إلى حلول عملية، ولم تفلح رسائل الظواهري في حسم النزاع، فقد كانت جبهة النصرة تتجه نحو مزيد من البراغماتية، وتتكيّف مع الشأن المحلي السوري، بينما كان الفرع العراقي يتجه نحو مزيد من التصلب الأيديولوجي والتشدد الهوياتي السني، الأمر الذي دفع بأبي بكر البغدادي زعيم «دولة العراق الإسلامية « في التاسع من نيسان/ إبريل 2013، إلى الإعلان عن ضم «جبهة النصرة» في سوريا إلى «دولته» الناشئة في العراق

(1) لمزيد من التفصيل حول تفضيل المركزية واللامركزية لدى الجهاديين، انظر: ديفيد جارتينستين روس وكايل دابروزي: هل لا تزال القيادة المركزية للقاعدة مترابطة؟ ترجمة صادق أبو السعود، مركز القدس للدراسات السياسية، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzr99u5z

(2) أبو بكر ناجي، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، بدون تاريخ، ص26، على الرابط:

https://tinyurl.com/ydnzkprm

(3) أبو مصعب السوري (عمر عبدالحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة 1425هـ/ ديسمبر 2004م، ص896. على الرابط:

https://tinyurl.com/yf99gduo

لتصبح «الدولة الإسلامية في العراق والشام»[1]، وقد كشف الإعلان عن الخلافات التاريخية بين الفرع العراقي والمركز في خراسان، والتي تم احتوائها إبان زعامة الزرقاوي وبن لادن، إذ تطور الخلاف بعد أن أصدر زعيم «جبهة النصرة» أبو محمد الجولاني في اليوم التالي لإعلان الدمج في العاشر من نيسان/ إبريل خطاباً يرفض فيه الامتثال لإعلان الدمج والانضمام لتنظيم «الدولة»، ومعلناً ارتباطه المباشر بالتنظيم المركزي للقاعدة وتقديم بيعته الصريحة للظواهري[2]، وباتت التسمية الرسمية لتنظيم النصرة: «جبهة النصرة، تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الشام».

2. بروز الخلافات الأيديولوجية على السطح

حاول الظواهري السيطرة على الخلافات بين الفرع العراقي والسوري، ورأب الصدع بين الطرفين، واحتواء الخلاف بين الفرعين، فقد بعث برسالة اتخذ فيها سلسلة من القرارات الحازمة في التعامل مع تمرد الفرع العراقي، فقد أصدر قراراً يقضي بتحديد الولاية المكانية للفرعين في 9 حزيران/ يونيو 2013، وفصل ببطلان الدمج وحل «الدولة الإسلامية العراق والشام « مع بقاء «جبهة النصرة» و«دولة العراق الإسلامية» كفرعين منفصلين يتبعان تنظيم القاعدة[3]، ولكن

---

(1) انظر: أبو بكر البغدادي، كلمة صوتية بعنوان: وبشر المؤمين، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

https://tinyurl.com/yer2gyuq

(2) انظر: جبهة النصرة السورية تبايع الظواهري زعيم القاعدة، رويترز، على الرابط:

https://tinyurl.com/yeusg4yn

(3) انظر: الظواهري يلغي دمج «جهاديي» سوريا والعراق، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/yjzma9x6

سعي الظواهري باء بالفشل، فقد خرج تنظيم الدولة دون رجعة عن تبعيته للقاعدة، وأسس لنمط آخر من الجهادية.

دشنت بيعة الجولاني لتنظيم القاعدة مرحلة جديدة في مسيرة التيار الجهادي، مرحلة ستتسم بالانقسام والصراع والتنافس على الشرعية وصولاً إلى الاقتتال وتبادل تهم التكفير والتبديع بين عناصر وجماعات التيار ومرجعياته. كما أن تبعية جبهة النصرة للقاعدة فَجّر جدالاً محموماً داخل الثورة السورية بكل فصائلها ومكوناتها، إذ عبّر الكثير من رموزها وقادة فصائلها عن رفضهم لخطوة الارتباط بالقاعدة لما سيجره ذلك على الثورة من وصْم بالإرهاب والتطرف، خصوصا وجبهة النصرة ليست فصيلاً صغيراً يمكن عزله واحتواؤه أو الاستغناء عنه، بل كانت من أكبر الفصائل، ويقع على عاتقها الجزء الأكبر من المجهود الحربي الموجه ضد نظام بشار الأسد.

لم تخفت الأصوات المطالبة بفك ارتباط جبهة النصرة بالقاعدة منذ اللحظة الأولى لإعلان البيعة. ولا يتردد قادة الفصائل في التصريح كل مرة أن تبعية جبهة النصرة للقاعدة هي العائق الوحيد أمام مشروع التوحد والاندماج الذي ما انفكت المظاهرات تخرج مطالبة به خصوصاً بعد خروج الفصائل من مدينة حلب وسيطرة النظام عليها. وأمام الضغط الشعبي المتزايد ورغبة من قيادة جبهة النصرة في إنجاح فكرة توحد الفصائل في جسم عسكري واحد فقد قررت الشروع في فك ارتباط جبهة النصرة بتنظيم القاعدة[1].

---

(1) انظر: عبدالغني مزوز، تنظيم حراس الدين: إشكاليات النشأة والتفكيك، المعهد المصري للدراسات، على الرابط:

https://tinyurl.com/4732ubsy

على الرغم من تنامي المخاوف من سلوك جبهة النصرة، إلا أن المحاولات الإقليمية التركية القطرية على وجه الخصوص لم تنقطع في سبيل دفع جبهة النصرة نحو مزيد من الاعتدال، وذلك من خلال التنسيق مع القوى المعتدلة ضمن فصائل الثورة السورية، والمطالبة بفك الارتباط مع تنظيم القاعدة، إلا أن مطلب الاعتدال كان يصطدم بصراع الأجنحة داخل النصرة وخصوصاً الجناح المعولم الذي أُطلق عليه «مجموعة خراسان»، ولذلك لم تتمكن النصرة من تجاوز نسقها البنيوي والدخول في أفق ونسق جديد، ولذلك جاءت تصريحات أبي محمّد الجولاني زعيم جبهة النصرة (قاعدة الجهاد في بلاد الشام) من خلال لقاء مطول في جزأين على قناة «الجزيرة» (بث الجزء الأول في 27 أيار/ مايو 2015، وبث الجزء الثاني في 3 حزيران/ يونيو 2015)، في سياق الكشف عن موضوعة الاعتدال وإمكانية الاستدخال الملتبسة، فقد خيبت توقعات داعميها الراغبين بتدشين تحولات جذرية تقطع مع مسلمات الخطاب الجهادي السلفي وأيديولوجيته المتصلبة المتعلقة بالدولة والمجتمع وقضايا الديمقراطية والتعددية والمواطنة، فتلك مسائل مقطوعة في النظر الجهادي السلفي باعتبارها تقع في دائرة الكفر والردة.

أما بالنسبة للتيار الجهادي المرتبط بتنظيم القاعدة فإن تصريحات الجولاني تعتبر تحولاً كبيراً ونقلة مذهلة في أبجديات البناء الأيديولوجي التاريخي لتنظيم القاعدة الذي تقوم أولويته على قتال «العدو البعيد» ممثلاً بالغرب عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً.

إحدى أهم المسائل التي أثارها الجولاني تتعلق بالعلاقة مع تنظيم القاعدة، وهي تؤشر على تحول لافت، فبالرغم من تأكيد الجولاني على ارتباط النصرة بالقاعدة ونفيه ضمنياً مسألة فك الارتباط مع تنظيم القاعدة، إلا أن تصريحات

الجولاني تقطع مع الأيديولوجية التاريخية للقاعدة بأولوية قتال العدو البعيد، لكن الجولاني استند بالتخلي عن سردية القاعدة إلى توجيهات من زعيم القاعدة أيمن الظواهري، فقد ادعى الجولاني أنه: «جاءتنا إرشادات بعدم استخدام الشام لشن عمليات ضد الغرب»، لكنه شدد على أن «الخيارات مفتوحة إذا استمرّ قصف التحالف»، وبعث رسالة تطمينية إلى الغرب أكّد فيها على أن توجيهات الظواهري تقضي «أن النصرة مهمتها إسقاط النظام ورموزه وحلفائه، والتفاهم مع الفصائل لإقامة حكم إسلامي راشد»[1].

3. السياسات الدولية ولعبة الجيوبوليتيك

شكّل تدخل روسيا في 30 سبتمبر/ أيلول 2015 في سوريا تحت ذريعة محاربة تنظيم «الدولة الإسلامية» والإرهاب، تحولاً في مسار الأزمة السورية ومصائر الجهاديين، وباتت روسيا إلى جانب تركيا اللاعب الأهم، وعقب توتر العلاقات الروسية التركية بعد تدمير تركيا طائرة روسية من نوع سوخوي، في 24 نوفمبر/ تشرين الثاني 2015، سرعان ما تم نزع فتيلها بفضل اتخاذ البلدين خيار تجزئة الحوار بينهما والتقليل من الملفات الخلافية، وجرت مصالحة بين البلدين في 9 أغسطس/ آب 2016، عندما قابل رجب طيب أردوغان فلاديمير بوتين بسانت بطرسبرغ، وقد عزّزت الإدانة الشديدة التي وجهها الرئيس الروسي لمحاولة الانقلاب التي وقعت في تركيا في 15 يوليو/ تموز 2016 هذا التقارب، في الوقت الذي كانت فيه ردود فعل معظم القادة الغربيين متأخرة وغامضة، وسمحت هذه المصالحة لتركيا بالتدخل عسكرياً في سوريا (عمليات «درع الفرات») ابتداءً من

---

(1) انظر: بلا حدود: أبو محمد الجولاني أمير جبهة النصرة، الجزيرة، على الرابط:
https://tinyurl.com/yhxe5z9l

أغسطس/آب 2016، و«غصن الزيتون» في يناير/كانون الثاني 2018، و«نبع السلام» في أكتوبر/تشرين الأول 2019) لكبح تقدم الاتحاد الديمقراطي الكردي في شمال سوريا، وغضت روسيا النظر أمام الأمر اعتباراً لروابط تركيا مع العديد من الجماعات المتمردة (الجيش السوري الحر، والجماعات السنية أو حتى الجهادية المتطرفة، والجماعات التركمانية)، وإذا كانت السلطات الروسية قد فهمت أنها لا تستطيع حل النزاع دون قدر أدنى من التعاون التركي، فإنها تظل في موضع قوة تجاه أنقرة ولا تنوي تقديم تنازلات كبيرة، لا سيما بشأن مستقبل النظام السوري[1].

وبفضل التفاهمات الروسية التركية تحاشت محافظة إدلب الواقعة في شمال غرب سورية والمناطق المحيطة بها هجوماً عسكرياً شاملاً، وهي المنطقة التي انحسر إليها نفوذ الحركات الجهادية، بعد أن كانت تمتد على مساحات واسعة من سوريا، ويقطن هذا المعقل الأخير للمعارضة نحو ثلاثة ملايين نسمة، معظمهم مدنيون.

أظهرت جبهة النصرة منذ تأسيسها نزعة براغماتية، بالتكيّف مع الشأن المحلي، وفي الوقت الذي خسرت القاعدة فرعها العراقي بعد استقلاله بتأسيس الدولة الإسلامية في العراق والشام عام 2013، أعلنت النصرة تبعيتها للقاعدة للتخلص من هيمنة المنظمة الصاعدة للجهادية العالمية، وقد تعرضت جبهة النصرة بعد بيعتها لتنظيم القاعدة لضغوطات وإغراءات دولية وإقليمية لحثها على

(1) انظر: ديدييه بيّون، ألعاب ماكرة ومصالح مشتركة: العلاقة التركية-الروسية بين التحالف المستحيل والقطيعة غير المحتملة، ترجمة هشام المنصوري، مجلة أورينت xxi على الرابط:

https://tinyurl.com/yhtvhm6q

فك ارتباطها بتنظيم القاعدة لاستدخالها في سياق الاعتدال والتخلص من وصمة الإرهاب واستثمارها كقوة معتدلة فاعلة لمواجهة النظام السوري وحلفائه الإيرانيين، **لكن القاعدة تعرضت بسرعة لخسارة الفرع الجديد في سوريا بعد عملية متدرجة من الابتعاد عن نهج القاعدة، بدأت بإعلان جبهة النصرة فك الارتباط بالقاعدة وتأسيس «جبهة فتح الشام» في 28 تموز/ يوليو 2016**، والذي كان من المفترض أن يكون شكلياً، وبات حقيقياً مع الإعلان عن تشكيل «هيئة تحرير الشام» في 28 كانون ثاني/ يناير 2017، وهو ما سيفضي إلى تأسيس جماعة جديدة تتبع القاعدة في سوريا من الجناح المعولم داخل النصرة.

ومن الضروري الإشارة هنا إلى لقاء زعيم النصرة أبو محمد الجولاني مع قناة «الجزيرة» فقد كشف عن عمق أزمة الهوية داخل صفوف النصرة، وأن الجولاني ممزق بين توجهين أحدهما يصر على الاندماج الكامل مع القاعدة والجهادية المعولمة، والآخر يدفع باتجاه التكيّف محلياً وسورنة النصرة، كما أفصحت عن حدود الاعتدال الذي يمكن أن تذهب إليه جبهة النصرة، وعن مدى قبول التحالف الإقليمي الجديد لدور النصرة في سوريا مرحلياً، ومحاولة دفعها لمزيد من البراغماتية والتكيّفية المحلية السورية تمهيداً لمحاولة استدخالها دولياً، إلا أن الولايات المتحدة تصر على استحالة استدخال النصرة كلاعب رئيسي في سوريا ما بعد الأسد، ولذلك فإن تصريحات الجولاني خيّبت آمال أنصاره وخصومه معاً. وبات واضحاً أن النصرة تتوافر على انقسامات واجتهادات متناقضة[1].

* * *

(1) انظر: بلا حدود – أبو محمد الجولاني أمير جبهة النصرة، مرجع سابق.

الفصل الخامس

انشطار القاعدة الاتجاهات الأيديولوجية

الموقف من الجماعات الإسلامية الأخرى- نتعاون فيما اتفقنا فيه، وينصح بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه- الأولوية في المواجهة مع أعداء الإسلام وخصومه، ولذا لا يجب أن يخرجنا الخلاف مع الجماعات الإسلامية الأخرى إلى الانصراف عن مواجهة أعداء الإسلام وخصومه.

أيمن الظواهري

استطاع تنظيم القاعدة -إبان حقبة زعيمه أسامة بن لادن- أن يفرض نفسه كحركة جهادية سلفية عالمية، وتمكّن بعد أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001 من التمدد والانتشار من خلال تأسيس شبكة جهادية عالمية تتبعها مجموعة من الفروع الإقليمية.

وعلى الرغم من الضربات الدولية والمحلية المتلاحقة في إطار الحرب العالمية على الإرهاب، والضغوطات المستمرة والصعوبات والتحديات التي تعرضت لها القاعدة، نجح بن لادن في الحفاظ على منظمة موحدة أيديولوجياً وتنظيمياً، وعقب مقتله في أيار/ مايو 2011، وتولي نائبه أيمن الظواهري برزت اختلالات في قيادته للقاعدة، على صعيد التحدي المنهجي الأيديولوجي والمشكل التنظيمي الهيكلي، ودخلت القاعد في حالة من الارتباك وفقدان السيطرة المركزية على فروعها الإقليمية، وسرعان ما تمرد الفرع العراقي وانفصل عن القاعدة، ثم تبعه تمرد وانشقاق الفرع السوري. وعلى خلاف بن لادن الذي تمكن بشخصيته الكاريزمية من الحفاظ على منظمة بيروقراطية متماسكة، وخطاب أيديولوجي صلب؛ فإن الظواهري افتقر إلى الجاذبية، وفشل في الحفاظ على وحدة التنظيم، وكثرت في عهده الانشقاقات، وتنامت ديناميكية التمرد والعصيان وشهدت خطاباته تناقضات وتحولات واضطرابات.

في هذا الفصل سنقطع المسار التاريخي، الذي تركناه في الفصل السابق عند لحظة تحول جبهة النصرة إلى هيئة تحرير الشام، وما يحمله من دلالات الانفصال

والابتعاد عن القاعدة المركزية، لنناقش البعد الأيديولوجي في مسارات القاعدة، وما آلت إليه الخلافات الفكرية بين المدارس التي انشطرت إليها القاعدة، بداية من الخلاف بين التنظيم المركزي ومعه جبهة النصرة من جهة وتنظيم الدولة الإسلامية من جهةٍ أخرى، ثم الخلاف اللاحق بين التنظيم المركزي وجبهة النصرة.

مثل هذه التطورات الكبيرة في أوساط الجهادية العالمية ارتبطت بأكثر من سبب مهم ورئيس؛ أولاً السياقات التي أفضت إلى هذه الانشقاقات والتحولات، وتشظي القاعدة إلى مجموعات متباينة، بل متنازعة، وثانياً الاختلافات الزمكانية، التي حكمت البيئة السياسية والمجتمعية التي تحرك فيها كل تنظيم من التنظيمات الثلاثة، وثالثاً الاعتبارات والخلفيات الأيديولوجية لكل منها، وخلفية القيادات التي قادت هذه الجماعات فانتهت الأمور إلى بروز ثلاثة اتجاهات، كما سنبين في الفقرات التالية.

1. زعامة الظواهري .. ومراجعات القاعدة

مع بدء الربيع العربي، كان كبار قادة القاعدة في خضم المداولات الداخلية المكثفة حول أسباب فشل الحركة الجهادية حتى ذلك الحين في بناء دولة إسلامية ذات مصداقية وشعبية والحفاظ عليها. كما أوضحت محاولة قصيرة من تنظيم القاعدة في العراق لإقامة الدولة الإسلامية في العراق من خلال داعش في الفترة من 2006–2007 للعديد من القادة الجهاديين، أن الإستراتيجية المصممة بعبارات أيديولوجية استبدادية وفرضها بقوة على المجتمع كان مصيرها الفشل. سواء كانت من خلال ميل القاعدة في العراق إلى الأساليب المروعة والعنف العشوائي، أو حظر التبغ وبيعه، إذ أن الحماس الأيديولوجي لتنظيم القاعدة أثار استياء السكان العراقيين المحليين وساهم في النهاية في تقويض مشروعها. وخلص بعض

القادة الجهاديين الرئيسيين إلى أن هذه الإستراتيجية المتحمسة المتمثلة في فرض الحكم الإسلامي لم تكن قابلة للتطبيق[1].

يبدو أن دعم الظواهري لمقاربات طويلة الأمد ذات التركيز على الشأن المحلي بهدف بناء مشروعات جهادية مستدامة، جاءت استجابة لضغوطات الفروع الإقليمية، عقب اندلاع ثورات الربيع العربي، فقد توصلت فروع القاعدة إلى ضرورة التكيّف مع التحولات عبر الانتقال من «النخبوية» إلى «الشعبوية»، عن طريق نظرية «أنصار الشريعة» التي اقترحها تنظيم «القاعدة في جزيرة العرب»، حيث أعلن الفرع الإقليمي الأقوى آنذاك في الثاني والعشرين من إبريل/ نيسان 2011 عن تأسيس «أنصار الشريعة»[2]:

وكان عبدالملك دروكدال الملقب بأبي مصعب عبدالودود، زعيم فرع القاعدة في المغرب الإسلامي،قد توصل إلى النتيجة ذاتها، عندما أصدر رسالة (في تموز/ يوليو 2012) بعنوان «توجيهات عامة بخصوص المشروع الإسلامي الجهادي بأزواد» في إشارة إلى شمال مالي الذي يطلق عليه الطوارق اسم أزواد، ويقول فيها، إن «القوى الكبرى المهيمنة على الواقع الدولي رغم ضعفها وتراجعها نتيجة الإنهاك العسكري والأزمة المالية، إلا أنها ما زالت تملك الكثير من الأوراق

---

(1) انظر، تشارلز ليستر، تأثيرات الأزمة السورية وانكسار القاعدة، ترجمة هبه المنسي، الوطن العربي، على الرابط:

https://tinyurl.com/294j3vfv

(2) لمزيد من التفصيل حول ظاهرة «أنصار الشريعة»، ومنظوراتها الإستراتيجية عند منظري القاعدة، انظر: حسن أبو هنية، الجهادية العربية: اندماج الأبعاد – النكاية والتمكين بين «الدولة الإسلامية» و«قاعدة الجهاد»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، الطبعة الأولى، 2018، ص135–163.

التي تؤهلها لمنع قيام دولة إسلامية في أزواد يحكمها جهاديون أو إسلاميون»، ويضيف إنه «من المتوقع جداً، وربما من المؤكد، أن يحدث تدخل عسكري سواء مباشر أو غير مباشر أو أن يفرض حصار اقتصادي وسياسي عسكري كامل وضغوط متعددة ستصب في النهاية إما إلى إجبارنا على التراجع لقواعدنا الخلفية أو إثارة الشعب علينا نتيجة التجويع وقطع الإمدادات والرواتب أو تأجيج الصراع بيننا وبين بقية الحركات السياسية المسلحة في الإقليم»، وبناء عليه يقترح عبدالودود على أتباعه عدم الظهور في الحكم بل تعيين سلطة صورية من الطوارق، وكذلك أيضاً عدم المسارعة الى التشدد في تطبيق أحكام الشريعة، بل إلى التساهل في تطبيق هذه الأحكام حتى لا ينقلب السكان على الحكم الجديد[1].

إن ديناميات الانشقاق عن القاعدة واستقلالها بتأسيس حركات جهادية جديدة، ظاهرة معروفة تقع في السياق التاريخي لكافة الأيديولوجيات المتصلبة دينية كانت أم وضعية، إبان صيرورة تحولاتها وتكيّفاتها مع الوقائع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فالتصلب الأيديولوجي يدفع الحركة أمام مواجهة التحديات إما إلى مزيد من التشدد والتصلب، أو إلى مزيد من التساهل والاعتدال، وهو ما حصل مع الفروع الإقليمية للقاعدة في المشرق العربي، حيث عانت هذه الجماعات والتنظيمات الجهادية، كغيرها من التنظيمات، من الانشقاقات والنزاعات والصراعات بينها وبين التنظيم الأم، ودخلت في نزاعات على تمثيل منهج الجهادية وصلت إلى مستوى الصراعات العسكرية المسلحة والاقتتال على النفوذ والهيمنة.

---

(1) انظر: أبو مصعب عبدالودود، توجيهات عامة بخصوص المشروع الإسلامي الجهادي بأزواد، جامع الكتب الإسلامية، على الرابط:

https://tinyurl.com/yb52bnj5

في الأثناء تعالت الأصوات بين أتباع القاعدة وأنصارها باتهام الظواهري بعدم القدرة على مواجهة تمرد الفرع العراقي، والتردد في التعامل معه وعدم الحسم في مواقف الظواهري، واتهامه بالعجز عن الحفاظ على جاذبية القاعدة، وضعف القدرة على الاستقطاب، وفقدان السيطرة على فروع التنظيم.

حاول الظواهري مواجهة هذه الشكوك والأسئلة بإصدار دليل عمل و«ميثاق شرف» يتضمن التعريف بأسس تنظيم القاعدة وأهدافه، والتشديد على أنها مبادئ كلية عامة تم وضعها بعد مشاورة الفروع كافة، لتحميلهم المسؤولية، وقد صدرت الوثيقة في أيلول/ سبتمبر 2013، بعنوان «**توجيهات عامة للعمل الجهادي**»، صدر عن مؤسسة السحاب الذراع الإعلامي الرسمي لتنظيم القاعدة، وهي وثيقة أشبه بالميثاق والدستور الذي يحكم القاعدة.

أثارت الوثيقة ردود أفعال متباينة داخل الجهادية العالمية، واعتبرها البعض مراجعة وتصحيح قام به الظواهري لنهج تنظيم القاعدة، وتضمنت الوثيقة 17 توجيهاً تحدد بوضوح منهجية القاعدة، وموقفها من العمليات العسكرية، وقتال الأنظمة والموقف من الشعوب والطوائف والحركات الإسلامية والمظلومين في العالم، والموقف من غير المسلمين في بلاد المسلمين.

رغم وجود تراث فكري كبير للقاعدة مقروء ومرئي ومسموع، واجتهادات واسعة لدى قادته وشيوخه ومنظريه، لكن تنظيم القاعدة لأول مرة منذ تأسيسه يُفرد رسالة مستقلة يحدد فيها الخطوط الأساسية العريضة الحاكمة لأنشطته وعمله الحركي، حيث تُعتبر هذه الوثيقة بمثابة دستور القاعدة الموجه لكل فروعه ومؤيديه وأنصاره.

وتكشف الوثيقة تمسك الظواهري بالأصول والمبادئ التي وضعها بن لادن، إذ يؤكد الظواهري على نهج القاعدة التقليدي بأولوية قتال العدو البعيد، إذ يقول: «العمل العسكري للقاعدة يستهدف أولاً رأس الكفر العالمي أمريكا وحليفتها إسرائيل»، ويؤكد على عدم استهداف العدو القريب، إلا في حال الضرورة، وفي حالات محددة ترتبط بعلاقة هذه الأنظمة بالعدو البعيد، إذ يوصي الظواهري، بـ «عدم الاشتباك القتالي مع الأنظمة، إلا إذا اضطررنا لذلك، كأن يكون النظام المحلي يشكل جزءًا من قوة الأمريكان كما في أفغانستان، أو يقاتل المجاهدين نيابة عن الأمريكان، كما في الصومال وجزيرة العرب، أو لا يقبل بوجود المجاهدين، كما في المغرب الإسلامي والشام والعراق، ولكن يتجنب الدخول في قتال معه كلما أمكن ذلك، وإن اضطررنا للقتال معه فيجب إظهار أن معركتنا معه هي جزء من مدافعتنا للحملة الصليبية ضد المسلمين».

ويشدد الظواهري على نفي البعد الطائفي للقاعدة، ويوصي: بـ«عدم مقاتلة الفرق المنحرفة مثل الروافض والإسماعيلية والقاديانية والصوفية المنحرفة ما لم تقاتل أهل السنة، وإذا قاتلتهم فيقتصر الرد على الجهات المقاتلة منها، مع بيان أننا ندافع عن أنفسنا»، وفيما يخص العمليات القتالية والتفجيرات في الأماكن العامة مثل المساجد والأسواق والتجمعات، وما يتبعها من سقوط عدد كبير من القتلى وخسائر في الأموال والممتلكات؛ فقد احتوت وثيقة تنظيم القاعدة توجهين يشددان على ضرورة «الامتناع عن إيذاء المسلمين بتفجير أو قتل أو خطف أو إتلاف مال أو ممتلكات، والامتناع عن استهداف الأعداء في المساجد والأسواق والتجمعات التي يختلطون فيها بالمسلمين أو بمن لا يقاتلنا».

أما قضية الموقف من الجماعات الإسلامية الأخرى فقد اشتملت الوثيقة على أن: «الموقف من الجماعات الإسلامية الأخرى - نتعاون فيما اتفقنا فيه،

وينصح بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه. - الأولوية في المواجهة مع أعداء الإسلام وخصومه، ولذا لا يجب أن يخرجنا الخلاف مع الجماعات الإسلامية الأخرى إلى الانصراف عن مواجهة أعداء الإسلام وخصومه عسكريًا، ودعويًا، وفكريًا، وسياسياً - نؤيدهم ونشكرهم على كل عمل وقول صحيح يصدر منهم، وننصحهم في كل خطأ يبدر منهم السر بالسر والعلن بالعلن. مع الحرص في الرد والنصح على بيان الأدلة بمنهج علمي وقور، بعيدًا عن التجريح الشخصي والمهاترات، فإن القوة في الدليل وليست في الهجاء»[1].

2. حرب الأشقاء: وانقسام الجهادية العالمية

كان رد الفرع العراقي على الظواهري حاسماً في مناسبات عديدة فيما يتعلق بطبيعة الخلاف مع القاعدة، فقد أصدر الناطق الرسمي لتنظيم الدولة الإسلامية أبو محمد العدناني في 11 أيار/مايو 2014، رسالة صوتية بعنوان «عذرا أمير القاعدة»، كشف فيها عن أبرز نقاط الخلاف ودواعي الانشقاق، فقد اتهم العدناني الظواهري بالانحراف عن نهج تنظيم القاعدة وانحرافه عن مبادئه، ونفى وجود أي «بيعة» بين تنظيمي الدولة والقاعدة، وتحدث عن تورط القاعدة بعلاقة مشبوهة مع إيران[2]، وحمّل العدناني الظواهري مسؤولية ما حدث من قتال بين الجهاديين، واتهمه بتفريق وتمزيق القاعدة ووقوعه في مخالفات شرعية ومنهجية قاتلة ووضعه أمام خيارين لا ثالث لهما، إذ يقول للظواهري إما أن «تستمر في خطئك وعنادك ويستمر الاقتتال والانشقاق في العالم، أو تعترف بزلتك

(1) انظر: أيمن الظواهري، توجيهات عامة للعمل الجهادي، مؤسسة السحاب، على الرابط:
https://tinyurl.com/y59jtwu4

(2) انظر: أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: عذرا أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان، على الرابط:

https://tinyurl.com/ymhu43st

وتستدرك، ونمد إليك أيدينا من جديد» ودعاه لرد بيعة الجولاني باعتباره خائناً غادراً من أجل «حقن الدماء»، بل إنه يدعو أمير القاعدة إلى «عدم التلاعب بالأحكام والألفاظ الشرعية» وإلى توضيح موقفه من عدة أمور، منها الموقف من الرئيس المصري المعزول محمد مرسي الذي يعتبر كفره واضحاً، ومن «جماعة الإخوان المسلمون»، كما يدعوه إلى «نبذ السلمية» وإلى «دعوة المسلمين للجهاد صراحة»، وشدد على أن قيام محكمة مستقلة أمر «مستحيل» و«الدولة» لن تخرج من سوريا، ودعا جميع فروع القاعدة كي تأخذ موقفاً رسمياً من الخلاف الدائر[1].

شن الفرع السوري حملة عسكرية وإعلامية واسعة على تنظيم الدولة، وأصدر المسؤول الشرعي العام في جبهة النصرة، وقائد عمليات المنطقة الشرقية آنذاك أبو ماريا القحطاني بعد يومين كلمة صوتية للرد على العدناني في 13 أيار/ مايو 2014، بعنوان «أيها المتردد»، دعا فيها جميع «المجاهدين» في سوريا، إلى قتال تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، بهدف استئصالهم كلياً، وإراحة المسلمين منهم. وأكد القحطاني على أن قتال جماعة الدولة التي وصفها بـ «خوارج هذا العصر» أصبحت أمراً لا بد منه، لإيقاف همجية النظام، والسعي في إسقاطه، معتبراً أن أي مجاهد يتردد في قتالهم، يكون معيناً لهم في الاستمرار في ظلمهم وخيانتهم بحق الشعب السوري، مضيفاً أن «دواء هذه الجماعة، هو سيف علي الذي استأذن به علي الرسول لقتال الخوارج في النهروان، طالباً من الله الأجر والثواب»، وذكر القحطاني، أن النظام السوري انتفع بهذا التنظيم، الذي أعان «النصيريين» على الاستمرار في انتهاك أعراض المسلمين، وقتل الأبرياء[2].

---

(1) انظر: أبو محمد العدناني، المرجع السابق.

(2) انظر: أبو ماريا القحطاني، أيها المتردد، رسالة صوتية، على الرابط:
https://tinyurl.com/266kd8x9

لكن تنظيم الدولة لم يكن يأبه بتلك الدعاية، واستمر في نهج السيطرة والتطهير المكاني باستخدام تكتيكاته القتالية المرعبة، ولم يحفل بالوساطات وطلبات التحكيم، الأمر الذي حمل تنظيم القاعدة بزعامة الظواهري على اتخاذ قرارات حاسمة بقطع صلته بتنظيم الدولة، وعدم مسؤوليته عن ممارساته.

أصبحت عمليات الفرز والاستقطاب حادّة في صفوف الجهاديين، واستعرّت الحرب الإعلامية، كما اشتعلت المعارك الشرعية لنزع الشرعية، فقد تبادل الجهاديون الاتهامات والشتائم، وجرت استعادة تواريخ الانشقاق في التاريخ الإسلامي، فقد أطلقت «جبهة النصرة» على حربها وقتالها لتنظيم الدولة «معركة «النهروان»، وهي معركة تاريخية جرت بين الإمام علي مع فرقة الخوارج، حيث أُطلق على تنظيم الدولة وصف «الخوارج في دولة البغدادي»، وفي ذات الوقت وصف تنظيم الدولة معاركه ضد النصرة أنها «حروب الردّة»، وهي حروب في التاريخ الإسلامي المبكرة خاضها الخليفة أبو بكر الصديق ضد من رفض الامتثال لسلطة الخليفة عقب وفاة النبي محمد، حيث وصف تنظيم الدولة فصائل الجيش الحر بالكفار المرتدين، ووصف الفصائل الجهادية الأخرى بالعملاء والصحوات.

لم تتوقف الحرب الميدانية بين القاعدة وتنظيم الدولة على سوريا، فقد انخرطت الفروع الإقليمية لكلاهما في معارك عنيفة في أفغانستان وغرب وشرق ووسط إفريقيا ومنطقة الساحل واليمن، واستنفرت كافة الوسائل الإعلامية، فقد أصبح الخلاف مع تنظيم القاعدة إحدى المواد الأساسية في وسائل إعلام تنظيم الدولة، حيث تتضمن صحيفة «النبأ» مواد تتعلق بتنظيم القاعدة، وكذلك فعلت المجلات الدورية التي توقفت لاحقاً عن الصدور كمجلة «دابق»، كما تضمنت الإذاعة التي تتبع التنظيم مواد تشرح منهجها واختلافها عن القاعدة.

في الأثناء صدرت مجموعة من الأفلام الدعائية عن مركز التنظيم وفروعه المختلفة، ويلخص الإصدار الذي أصدرته ولاية تنظيم الدولة في اليمن في إبريل/ نيسان 2020 معظم الأسباب التي دفعت تنظيم الدولة إلى الانشقاق عن القاعدة، ويركز الفيلم الوثائقي بعنوان «معذرة إلى ربكم» على محاولة إثبات فشل منهج تنظيم القاعدة وانحرافه عن مساره بعد «الربيع العربي».

رغم أن الفيلم لا يأتي بجديد عن المسائل الخلافية بين الدولة الإسلامية والقاعدة، إلا أنه يتمتع بأهمية لكونه جاء بعد فترة من اندلاع الخلاف كافية لجمع وتلخيص كافة الحجج، إذ يشمل الفيلم الوثائقي كل المسائل الخلافية بين التنظيمين، فضلاً عن تسليطه الضوء على عمق الأزمة بينهما من جهة، وداخل الحركة الجهادية عمومًا، وأوجه التشدد والتزمت الذي يتبعه تنظيم الدولة الإسلامية من جهة أخرى، وقد ركّز الإصدار على ما وصفه بانحرافات القاعدة بعد الربيع العربي، وتتمحور اتهاماته للقاعدة حول عنصر أساسي وهو التردد في إقامة دولة إسلامية. ويزعم الفيلم أن القاعدة ترفض تطبيق الشريعة في المناطق التي يسيطر عليها، رغم أنه واجب شرعي، كما يتهم القاعدة بالازدواجية، لأنه يرفض شن حرب على الشيعة والصوفية (اللذين تعتبرهما الدولة الإسلامية مُشركين) ويُفضِّل بدلاً من ذلك محاربة جنود الدولة الإسلامية ويصفهم بالخوارج[1].

الهدف من إذاعة الفيلم ونشره هو تأكيد رؤية تنظيم الدولة بضرورة تكثيف الهجوم على القاعدة خاصة في منطقة الجزيرة العربية، لتفتيت التنظيم وتعزيز الانشقاقات داخله. يتوازى مع ذلك ارتفاع موجة محاكمة الجواسيس داخل

(1) انظر: ولاية اليمن، معذرة إلى ربكم، وثائقي يسلط الضوء على مسيرة انحراف تنظيم القاعدة بعد ما عُرف (بثورات الربيع العربي)، إصدار مرئي، على الرابط:
https://tinyurl.com/26p546v2

القاعدة في اليمن، واستقالة قادة وعلماء داخل القاعدة وتسليم أنفسهم للسلطات السعودية. ويخدم محتوى الفيلم هذا الهدف، ويُسلِّط الضوء على تعاون فرع القاعدة في اليمن مع الحكومة اليمنية وتسليم أراضيه للمجالس القبلية والأحزاب الاشتراكية، بدلاً من إقامة دولة إسلامية داخل اليمن.

3. أسئلة المنهج: على ماذا يختلف الجهاديون؟

يشير انشقاق تنظيم الدولة عن القاعدة إلى تنامي واتساع التوجهات العنيفة للجماعات الجهادية، وقد أسفرت التطورات داخل الجهادية العالمية، إلى انقسام القاعدة إلى تنظيمين جهاديين كبيرين وممتدين بدلاً من تنظيم موّحد، ويبدو أن الصراع والتنافس المستمر بين تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية، قد يُسفِر عن «مزايدة إرهابية»، فيزايد أحدهم على الآخر في التأكيد على أنه الأجدر بجذب المجندين والتمويل، وذلك من خلال إظهار فاعلية أكبر، بتنفيذ عمليات إرهابية أكبر وأكثر دقة.

يمكن تحليل الانقسام الحاصل من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

أولاُ: «من نحارب؟»، وتهدف الإجابة عن هذا التساؤل إلى تأطير الصراع، وتشير الإجابة إلى هوية العدو الأَولى بالمحاربة، وهو الأنظمة المحلية القريبة، أم الدول الغربية البعيدة. وفي هذا الإطار فقد أجاب أسامة بن لادن عن هذا التساؤل بضرورة محاربة الأنظمة الغربية التي تتحكم في الأنظمة الحاكمة محليًّا، واستهدف الولايات المتحدة الأمريكية في 11 سبتمبر/أيلول 2001. لكن الاحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان أدى إلى صعود الأنظمة المحلية (العدو القريب) كهدف للتنظيمات الجهادية، وهو ما أدى إلى انشقاق فرع القاعدة في العراق عام 2006 وبداية ظهور تنظيم الدولة الإسلامية. ومع موجة الربيع العربي وانهيار الأنظمة الحاكمة في الشرق الأوسط، زادت فرص تنظيم الدولة في إثبات صحة

أولوياته وترسيخ منهجه، وإقامة الدولة الإسلامية في العراق والشام، وفي المقابل دعا تنظيم القاعدة لعدم الانجراف وراء دعوات تنظيم الدولة، والتمسك بسلاح الصبر الاستراتيجي.

ثانيا: «ما الذي نقاتل من أجله؟»، ويسعى هذا السؤال لكشف أهداف التنظيمين من الصراع. فالقاعدة وتنظيم الدولة يهدفان إلى تأسيس نظام حكم قائم على الشريعة الإسلامية، وأن ترأسه سلطة إسلامية سُنّية. ولكن اختلف كلاهما في طريقة التطبيق، فيرى تنظيم القاعدة أنه من غير المناسب تأسيس نظام حكم إسلامي دون رضاء جماهيري. وفي المقابل يرى تنظيم الدولة الإسلامية أن من حقه اقتطاع الأراضي وإقامة نظام إسلامي والعمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ثَمَّ عدم الاكتراث بأي كيانات أو جماعات أخرى بمن في ذلك الإسلاميون والسلفيون.

ثالثاً: «مَن تمكن مهاجمته وفقًا للشرع؟»، حيث يستهدف كل تنظيم في صراعه منْ يرونه جماعة مكروهة أو عدوًّا. فيرى تنظيم القاعدة أن العدو البعيد هو المُستهدَف، ولا يستهدف إخوانه في الدين، حتى لو كانوا من المجتمعات الشيعية أو الصوفية، وذلك رغم صدور فتاوى بتكفيرهم. أما تنظيم الدولة –على عكس منهج القاعدة– فلا يجد أي عائق شرعي في استهداف الأنظمة المحلية، والتي يعتبرها «مرتدة» ويُكفِّر كل منْ يتعاون معها، حتى وإن كان على نفس الدين، فضلاً عن تكفير الشيعة والصوفية وإباحة قتلهم[1].

(1) انظر: محمد حافظ، الأزمة داخل الحركة الجهادية: تشدد تنظيم الدولة الإسلامية في مقابل شعبوية القاعدة، مركز مكافحة الإرهاب، على الرابط:
https://tinyurl.com/2d38ms7a

يؤكد تنظيم الدولة الإسلامية في الفيلم الوثائقي «معذرة إلى ربكم» إلى أنه الجماعة الأكثر حرصاً على تنفيذ تعاليم الدين، وأنه الأكثر التزامًا بالعقيدة السلفية، مشددًا على أن تنظيم القاعدة قد انحرف عن مساره، وعن الأيديولوجية السلفية، سعيًا نحو شعارات كاذبة وتأييد جماهيري زائف، واعتبر القاعدة أقرب عدو لتنظيم الدولة. ويستند تنظيم الدولة على جملة من الحجج التي تبرر شرعية موقفه، ومن أهمها:

1- إقامة الدولة الإسلامية وتطبيق الشريعة؛ يمكن تقسيم وجهات نظر جماعات الفكر الجهادي بشأن إقامة الدولة الإسلامية إلى ثلاث وجهات نظر، أما الرأي الأول؛ فيأتي من القاعدة، الذي يرى أن إقامة دول إسلامية ليست أولوية في ظل الظروف الحالية، وأنه يجب دعم الثورات ضد الأنظمة المعادية، وذلك من خلال عقد تحالفات تكتيكية مع النخب الداعمة للثورات والامتناع عن السياسات المثيرة لشعوب تلك الدول[1]. والرأي الثاني يعود للجهاديين المحليين أمثال «طالبان» في أفغانستان و«أحرار الشام» في سوريا، الذين يقاتلون بهدف

(1) لم يصدر عن تنظيم القاعدة على مدى العقدين الماضيين ما يشير إلى نيته في احتلال أراض أو قضم مناطق ضمن دولة عربية أو إسلامية ما وعزلها والتمدد فيها وفرض نظام ديني متشدد على سكانها. لكنه ركز على توجيه دعايته عبر أشرطة صوتية ومصورة لقيادتها تحض فيها أنصارها وعامة المسلمين على اعتناق فكرها بتذكيرهم بواجبهم في الجهاد. أما إستراتيجية تنظيم الدولة في هذا المجال فكانت أكثر جرأة، إذ سعى إلى بسط سيطرته على الأرض وتوسيع وجوده لإقامة دولة تحت سلطة حكومة يعيش فيها مسلمون سنة دون غيرهم، يخضعون لمفهوم خاص للشريعة الإسلامية اختاره التنظيم. ويرى قادته أنه مع إحكام السيطرة على الأرض يمكن بناء جيش يوظف في الاستيلاء على مزيد من الأراضي لإقامة دولة خلافة لا حدود لها تتبعها «ولايات» يعلن عنها حيثما تمكن أتباعه ومقاتلوه من فرض وجودهم على أراضيها.

إقامة نظام حكم إسلامي في إطار الدولة القومية، دون النظر إلى فكرة إلغاء الحدود. أما الرأي الثالث فيتبناه تنظيم الدولة الإسلامية، والذي يحوي طموح إقامة دولة الخلافة الإسلامية على الحدود التي كانت موجودة قبل تقسيم «سايكس بيكو»، ولا يضع أصحاب هذا الرأي أدنى اعتبار للفصائل الإسلامية المحلية أو شعوب تلك الدول أو مصالح الدول الخارجية. وفي هذا الإطار اتُّهِم تنظيم القاعدة بأنه أخلَّ بالمسؤولية التاريخية التي كانت على عاتقه بإقامة دول إسلامية في الأراضي التي يسيطر عليها، وأن يعمل على تطبيق الشريعة داخلها. فقيادات القاعدة سلّمت شارة الجهاد لجيل من الإسلاميين المبتدئين المتأثرين بمفاهيم الديمقراطية، والتدرج في تطبيق الشريعة، والتعاون مع الجماعات الإسلامية، والقومية، والعلمانية، والاشتراكية. وادّعى تنظيم الدولة أن تنظيم القاعدة سيجني ثمار ذلك بخيانة حلفائه، وأنهم سيُوجِّهون أسلحتهم نحوه، كما فعلوا في سوريا، وليبيا، ومالي، ومصر، والسودان.

2- رفض التحالفات المخالفة للشريعة؛ حيث يرى تنظيم الدولة أن القاعدة أقامت تحالفات مع أحزاب لا تلتزم بمبادئ وقواعد السلفية الجهادية، بل تستغل الجهاديين المحليين لعدم الدفع نحو تطبيق مشاريعهم الإسلامية. ويستشهد الفيلم بعدة أمثلة، أولها حركة طالبان التي يرى أنها منحرفة ومرتدة لإقامتها تحالفات مع المخابرات الباكستانية «المرتدة» واعترفت بدولة إيران وحدودها، فضلاً عن التفاوض مع الولايات المتحدة لمحاربة تنظيم الدولة. كما تناول الفيلم جبهة النصرة في سوريا، التي انشقت عن القاعدة، وتحالفت مع فصائل ترعاها دول الخليج وتركيا. وكذلك القاعدة في اليمن وتعاونه الوثيق مع الحكومة اليمنية المدعومة من قوات التحالف لمواجهة جنود تنظيم الدولة والحوثيين. ولم يكن أيمن الظواهري

بمنأى عن طلقات الدولة الإسلامية، فانتقده الفيلم لتأييده حكومة الإخوان المسلمين في مصر، قبل الإطاحة بهم في 2013، وإضفاء شرعية على فصيل مرتد.

3- الطائفية؛ يرى تنظيم الدولة أن تنظيم القاعدة رفض تبني الاستهداف الطائفي خوفًا من الرأي العام، ويشير إلى ما صرّح به أيمن الظواهري من أن أفضل طريقة للتعامل معهم هو التبشير والتنشئة الاجتماعية وليس الصراع الطائفي، فضلاً عن وصفه لأقباط مصر بأنهم «شركاء في الوطن». أضف إلى ذلك حماية طالبان للشيعة الهزاريين بدلاً من تكفيرهم وتطبيق الحدود عليهم. ويصر تنظيم الدولة الإسلامية منذ أن أنشأه أبو مصعب الزرقاوي، على أن التكفير الجماعي مسموح به، لأن الجهاديين ليسوا في وضع يسمح لهم بالفصل في قضايا الردة فرديًّا في ظل الظروف الحالية.

4- الدفاع عن التشدد؛ يرى تنظيم الدولة أن القاعدة وقع في تناقض شديد، فبينما يهاجم جنود الدولة الإسلامية ويعتبرهم خوارج العصر ويُجيز قتلهم، فهو يمتنع عن التشكيك في حلفائه من العلمانيين والشيعة والمسيحيين والإخوان المسلمين باسم «الميزة الإستراتيجية». ويؤكد تنظيم الدولة أن القاعدة غير صالح لقيادة الإسلاميين وأن الدولة الإسلامية هي الجماعة الوحيدة التي تضع الجهاد في خدمة التوحيد، وترفض التحالف مع غير المسلمين تطبيقًا لمبدأ الولاء والبراء.

بدا أن تنظيم «القاعدة»، الذي قاد حركة الجهاد العالمي منذ حوالي العقدين، قد فقد زمام المبادرة ومعركة ريادته أمام تنظيم الدولة. فلم يعد الأول قادراً على مضاهاة قوة الثاني لا ماليا، ولا تنظيميا، ولا عسكريا، ولا إعلاميا، بل إن بعض فروعه عبر العالم أعلنت انضمامها لتنظيم الدولة، ومبايعة زعيمها أبو بكر البغدادي الذي أعطى لمشروع الجهاد العالمي نفساً جديداً لا يزال يستقطب أتباعا

وشبابا عبر العالم ذكوراً وإناثاً من كل الأعمار لا يترددون أمام دعوة التنظيم للالتحاق بولايات «دولته الإسلامية»[1].

4. صدمة النصرة: ثلاثة مناهج أيديولوجية

لم تقتصر مشاكل تنظيم القاعدة على انشقاق تنظيم الدولة الأكثر تشدداً، فقد فقدت القاعدة الفرع السوري جبهة النصرة الأكثر اعتدالاً، الذي فك ارتباطه بالقاعدة، وسعى للتخلص من إرث القاعدة باعتبارها تتوافر على أجندة متشددة وتقديم نفسها كمجموعة جهادية محلية تهدف إلى محاربة النظام السوري، دون أي أجندة جهادية عالمية.

في هذا السياق ذهب تنظيم الدولة الإسلامية الذي انشق عن القاعدة في العراق، إلى حالة من التصلب والتشدد الأيديولوجي الفكري الجهادي، وتبنى إستراتيجية قتالية راديكالية عنيفة، وادعى أن تنظيم القاعدة انحرف عن منهجه الفكري ونهجه الاستراتيجي. بينما ذهبت هيئة تحرير الشام التي انشقت عن القاعدة في سوريا، إلى أن القاعدة متصلبة ومتشددة على الصعيدين الأيديولوجي والاستراتيجي، وزعمت أن القاعدة حادت عن أصولها المنهجية، ومقاصدها الفكرية، وطرائقها وأهدافها الإستراتيجية. وهكذا شكّلت قيم التشدد والاعتدال دينامية أساسية هيمنت على مسار التوحد والانقسام الأيديولوجي والاستراتيجي عن القاعدة وأدت إلى صراعات ومعارك وانقسامات وانشقاقات داخل هياكل القاعدة المركزية، وأفضت في النهاية إلى ضمور جاذبيتها وتنامي ضعفها لصالح صعود الفروع الإقليمية المنشقة.

---

(1) المرجع السابق.

في هذا السياق شهدت الجهادية العالمية انشطاراً وانقساماً، عقب ثورات الربيع العربي، إلى ثلاثة مناهج رئيسة؛

النهج **الأول**: يتمسك بأجندة القاعدة التقليدية بزعامة أسامة بن لادن، والتي تنص أولويّاتها على أولوية قتال العدو البعيد ممثلاً بالغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصًا، باعتبارها حامية للأنظمة العربية الاستبدادية، وراعية لحليفتها الإستراتيجية «إسرائيل»، وتبنت نهجاً قتالياً واستراتيجياً يقوم على تنفيذ عمليات قتالية انتقامية تستند إلى مفهوم جهاد «النكاية»، من خلال طليعة مهمتها الوصول إلى خلق حالة إسلامية تصل إلى جهاد الأمة، بصرف النظر عن مذهبيّتها الدينية الطائفية سواء السنية أو الشيعية، ولذلك عمل على نسج علاقات مع إيران والتعاون مع كافة الجماعات الإسلامية رغم اختلافاتها الداخلية حول تدبير الشأن العام ومناهجها الدعوية والسياسية والجهادية، كما عمل على فتح علاقات مع الإخوان وغيرهم من الجماعات، فهذه المكونات بمجموعها بحسب القاعدة تشكل الأمة التي تقوم بمهمات تطبيق الشريعة الإسلامية وصولاً إلى هدف إقامة الخلافة. وقد عمل خليفة بن لادن أيمن الظواهري على تجسير الفجوة بين النزعتين النخبوية والشعبوية من خلال طرح نظرية «أنصار الشريعة»، التي أصبحت الإستراتيجية الأساسية للقاعدة، وهي التي ستؤدي إلى تفكك القاعدة.

النهج **الثاني** يقوده الفرع العراقي المعروف بـ «الدولة الإسلامية» بزعامة أبو بكر البغدادي، ثم أبو إبراهيم الهاشمي، وترتكز أجندته على أولوية مواجهة العدو القريب، في إطار عقيدة شمولية تقوم على دمج الأبعاد الجهادية المحلية والإقليمية والدولية، والجمع بين أنماط وأساليب الجهاد المختلفة، وفي مقدمتها، أولاً: جهاد «التمكين» من خلال فرض السيطرة المكانية على الأرض، وفرض حكمه وتطبيق

الشريعة، وإعلان الخلافة، وثانياً: جهاد «النكاية» من خلال تنفيذ عمليات عسكرية انتقامية تستند إلى تكتيكات عنيفة جداً من الذئاب المنفردة، إلى الهجمات المنسقة، وصولاً إلى العمليات الانتحارية والانغماسية، وثالثاً: جهاد «التضامن» من خلال دعم ونصرة القضايا التي تعتبرها شرعية، فتنظيم الدولة الإسلامية يصر على قتال العدو القريب من الأنظمة ويعتبرها كافرة مرتدة، ويؤكد على قتال العدو البعيد الأمريكي والأوروبي باعتباره كافر صليبي، ويشدد على قتال العدو الوسيط الإقليمي الإيراني الشيعي ويصفه بالكفر والإقليمية من خلال تنفيذ «المشروع الصفوي»، ويدعو إلى قتال العدو الإسرائيلي اليهودي، ويصفه بالكفر والعنصرية من خلال تحقيق «المشروع الصهيوني»، ولذلك فقد أصبح الأساس الهوياتي الديني (الإسلامي-المسيحي/ اليهودي)، و(السني-الشيعي) هو المحرّك الأيديولوجي الرئيس لسلوك الفرع العراقي المنشق عن القاعدة، ويعتبر تنظيم الدولة الإسلامية القاعدة انحرفت عن مسار الجهادية العالمية ووقعت في مخالفات شرعية تتناقض مع الدين الإسلامي، وذلك بنسجها علاقات مع الكفار والمرتدين كإيران، وبتحالفها مع حركات إسلامية دعوية وسياسية وجهادية كالإخوان المسلمين وحركة طالبان، يصفها تنظيم الدولة بالكفر والردة، باعتبارها حركات وطنية لا تستند إلى المفاهيم لإسلامية كالتوحيد والولاء والبراء والكفر بالطاغوت، وتسعى لإقامة حكومات محلية وطنية وموالاة الكفار، وتخلت عن تطبيق الشريعة، ولا تسعى لإقامة الخلافة الإسلامية.

أما النهج **الثالث** فقد تبناه الفرع السوري المنشق عن القاعدة بقيادة جبهة النصرة بزعامة أبو محمد الجولاني، الذي دخل في سلسلة تحولات عميقة منذ إعادة تسمية التنظيم الأخيرة في كانون الثاني/ يناير 2017، باسم هيئة تحرير الشام، حيث سعت الهيئة للتخلص من إرث القاعدة باعتبارها تتوافر على أجندة متشددة

على الصعيدين الأيديولوجي والاستراتيجي، وشرعت بتقديم نفسها كمجموعة جهادية محلية تهدف إلى محاربة النظام السوري، دون أي أجندة جهادية عالمية، فقد تحوّل خطابها من تبني الجهاد العالمي إلى التركيز على الشأن المحلي، ولم تعد تستخدم مصطلحات الجهادية العالمية، فقد اختفت مصطلحات المعجم الجهادي القاعدي؛ مثل «جهاد الأمة» أو جهاد الأمة الإسلامية، والمعجم الجهادي الطائفي مثل «الجهاد ضد النصيرية» (وهو مصطلح ازدرائي يستخدمه السلفيون الجهاديون بشكل أساسي لوصف العلويين)، وحلّ مكانها مصطلحات مختلفة؛ مثل «الجهاد» للدفاع عن الثورة السورية، و«النضال من أجل حرية الشعب السوري»، وعملت بجد للتخلص من تصنيفها حركة إرهابية، وفتح قنوات للتواصل مع الدول الإقليمية والعالمية، إذ لم تكتفي بقطع علاقاتها مع كل من الدولة الإسلامية عام 2013، والقاعدة في عام 2017، بل دخلت معهما في صراع دموي مسلح للبرهنة على صحة اعتدالها، وهي تعمل بجد من أجل رفعها من قوائم الإرهاب العالمية، باعتبارها خطوة لا غنى عنها لإعادة تأهيلها واستدخالها.

* * *

الفصل السادس

هيئة تحرير الشام والانفصال عن القاعدة

نزولا عند رغبة أهل الشام في دفع الذرائع التي يتذرع بها المجتمع الدولي وعلى رأسه أمريكا وروسيا في قصفهم وتشريدهم عامة المسلمين في الشام بحجة استهداف جبهة النصرة التابعة لتنظيم قاعدة الجهاد، فقد قررنا إلغاء العمل باسم جبهة النصرة وإعادة تشكيل جماعة جديدة ضمن جبهة عمل تحمل اسم جبهة فتح الشام

أبو محمد الجولاني

شكَّل التدخل العسكري الروسي في أيلول/ سبتمبر 2015 نقطة تحوّل في تاريخ الأزمة السورية، التي كانت موازين القوى فيها تميل لصالح الجهادية المحلية والعالمية، والمعارضة الوطنية السياسية والعسكرية وحلفائها الإقليميين والدوليين، إذ استطاعت روسيا تغيير خارطة الصراع بالكامل، والسيطرة على كامل مناطق المعارضة، باستثناء مناطق الشمال، عبر استخدام القوة المفرطة بعد أن قامت بتحييد بعض اللاعبين الإقليميين وعزل تأثيراتهم، ودفعهم إلى قطع صلاتهم بفصائل المعارضة المسلحة، وباتت خيوط اللعبة الأساسية في سوريا بيد الثلاثي الروسي والتركي والإيراني، الأمر الذي جعل مسارات المسألة السورية تتحدد في نتائج مؤتمرات «أستانا» و«سوتشي».

لقد دشن مسار «أستانا» الذي انعقد برعاية روسية، تركية وإيرانية منذ الجولة الأولى في 23 كانون ثاني/ يناير 2017 -بعد خسارة المعارضة جيب حلب لصالح النظام- ديناميكية ترتكز على ترتيب روسيا للأوضاع الميدانية، عبر ابتداع آلية «خفض التصعيد»[1]، أما مؤتمر «سوتشي - 1»، فقد عُقد في 30 كانون

(1) عقدت الجولة الثانية في 15 شباط/ فبراير 2017، حيث تشكّلت مجموعة عمل ثلاثية؛ روسية وتركية وإيرانية، لمراقبة نظام «وقف الأعمال القتالية»، ووضع آلية لتبادل المعتقلين بين النظام والمعارضة، وقد قاطعت المعارضة الجولة الثالثة التي جرت في 14 آذار/ مارس 2017، بسبب عدم التزام النظام وحلفائه بـ «وقف إطلاق النار»، وعُقدّت الجولة =

ثاني/يناير 2018، في سياق سعي روسيا بالشراكة مع تركيا وإيران، لسحب النقاش السياسي حول مصير سوريا خارج إطار مؤتمر جنيف الدولي[1]، والذي عُقد بنسخته الأولى يوم 30 حزيران/يونيو 2012 بمشاركة «مجموعة العمل من أجل سوريا» برعاية أممية، وقد اتفق المتفاوضون في جنيف على ضرورة الحل

= الرابعة في 4 أيار/مايو 2017، واتفق فيها الضامون الثلاثة، على إنشاء أربع مناطق لـ «خفض التصعيد»، وجرت الجولة الخامسة في 4 تموز/يوليو 2017، وفشلت فيها الدول الضامنة في التوافق على رسم حدود مناطق «خفض التصعيد»، ثم عقدت الجولة السادسة في 14 أيلول/سبتمبر 2017، وفيها تم «إنشاء مركز تنسيق مشترك تركي روسي إيراني، يهدف إلى تنسيق أنشطة قوات مراقبة خفض التصعيد»، وعقدت الجولة السابعة في 30 تشرين أول/أكتوبر 2017، وانتهت من دون تحقيق نتائج ملموسة، وانتهت الجولة الثامنة في 21 كانون أول/ديسمبر 2017، بتحديد موعد «مؤتمر الحوار السوري-السوري» في مدينة «سوتشي»، وعقدت الجولة التاسعة في 14 أيار/مايو 2018 دون التوصل إلى نتائج جديدة.

(1) عُقد مؤتمر جنيف الثاني في شباط/فبراير 2014، وعقدت الجولة الرابعة من جنيف في فبراير 2017 وركز على وقف إطلاق النار ومناقشة مسودة الدستور الجديد، وكيفية إجراء انتخابات في البلاد، وفي الجولة الخامسة من المباحثات في أبريل 2017، تناقش المجتمعون حول 4 موضوعات رئيسية هي الحكم والدستور والانتخابات ومكافحة الإرهاب، وقد مرت مؤتمرات جنيف 6 و7 و8 دون أن يتحقق أي تقدم ملموس بين المعارضة والحكومة السورية، وأخر المؤتمرات كانت في فيينا في 25 يناير 2018، وقدمت فيها الدول المشاركة ورقة غير رسمية عن العملية السياسة في سوريا، ولم تستطيع الأطراف المتفاوضة التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار في الغوطة الشرقية التي تسيطر عليها المعارضة المسلحة.

السياسي للأزمة السورية، وطالب وفد المعارضة السورية بتشكيل هيئة حكم انتقالي كاملة الصلاحيات[1].

شكّل اتفاق سوتشي أفضل الخيارات السيئة لإدلب السورية، بحسب مجموعة الأزمات الدولية، فمنذ أيلول/ سبتمبر 2017، ساعد وقف جزئي لإطلاق النار بموجب اتفاق «خفض التصعيد» بين تركيا وإيران وروسيا في حماية إدلب. كما ومنع اتفاق تم التوصل إليه في أيلول/ سبتمبر 2018 بين تركيا وروسيا، وأعلن في منتجع سوتشي على البحر الأسود، ما كان يبدو هجوماً وشيكاً للنظام وعزز الاتفاق السابق.

لكن من المهم الإشارة هنا إلى أن اتفاق «خفض التصعيد» ألزم جميع الأطراف بعزل ومحاربة التنظيمات الجهادية، وأن اتفاق سوتشي حدد إجراءات إضافية لتطهير منطقة منزوعة السلاح داخل إدلب من «التنظيمات الإرهابية المتطرفة». يقع عبء تنفيذ اتفاق سوتشي بشكل رئيسي على تركيا، التي قصّرت حتى الآن في الوفاء بمسؤولياتها حسب ما تقوله روسيا. في هذه الأثناء، تصاعدت الهجمات المتبادلة بين مسلحي إدلب وقوات النظام. وفي هذا السياق فإن تسيير

(1) عملت ديناميكية سوتشي على تهميش وإهمال قرار الأمم المتحدة 2254، الصادر بالإجماع في 18 كانون أول/ ديسمبر 2015، والذي ينص على أن تتم المفاوضات بين السوريين برعاية أممية، مع وضع دستور جديد لسوريا خلال 6 أشهر، وانتخابات خلال 18 شهرا، تحت إشراف الأمم المتحدة، وترى المعارضة أنه لا مكان للرئيس بشار الأسد في سوريا حسب تفسيرها للقرار، بينما يرفض الوفد الحكومي السوري هذا التفسير، ويطالب بوضع قضية «الإرهاب» على رأس جدول الأعمال.

دورية تركية في المنطقة منزوعة السلاح في 8 آذار/ مارس شكل تقدماً كبيراً، لكن اتفاق سوتشي يتطلب المزيد.

في هذا الفصل سنناقش تأثير هذه التحولات الإستراتيجية والتفاهمات الروسية-التركية على مسار جبهة النصرة، وفكها الارتباط مع القاعدة من خلال تأسيس جبهة فتح الشام عام 2016، ثم هيئة تحرير الشام عام 2017، واستكمال التحول الأيديولوجي والعودة إلى الهوية المحلية بصورة كاملة، وما أثاره ذلك من صدام مع تنظيم القاعدة المركزي من جهة، وانفصال بين الجناح العالمي المرتبط بالقاعدة والجناح المحلي السوري من جهةٍ أخرى، وصولاً إلى محاولات إعادة تأهيل النصرة لنفسها ومخاطبة المجتمع الدولي بلغةٍ جديدة.

1. ولادة جبهة فتح الشام وفك الارتباط بالقاعدة

دفعت تلك التحولات الجيوإستراتيجية جبهة النصرة إلى مزيد من البراغماتية، للتكيف مع الوقائع الجديدة، وإلى التقارب مع تركيا، وشرعت بتقديم نفسها كحركة جهادية محلية معتدلة، لتجنب الضربات الأمريكية والهجمات الروسية.

ظهر أبو محمد الجولاني زعيم جبهة النصرة كاشفاً عن وجهه لأول مرة في 28 يوليو/ تموز 2016 في تسجيل مرئي بثته قناة الجزيرة، يتوسط كل من عبدالرحيم عطون وأبي الفرج المصري، وهما قائدان كبيران في الجبهة، ليعلن عن إلغاء العمل باسم «جبهة النصرة» وتشكيل كيان جديد يحمل اسم «جبهة فتح الشام»، يؤكد من خلاله أن لا علاقة للكيان الجديد بأي جهة خارجية في إشارة لفك الارتباط بتنظيم القاعدة وقال الجولاني: «نعلن وقف العمل باسم جبهة النصرة وتشكيل جماعة جديدة باسم جبهة فتح الشام»، متوجهاً بالشكر إلى «قادة تنظيم القاعدة على تفهمهم لضرورات فك الارتباط»، وقال أن القرار جاء «نزولاً

عند رغبة أهل الشام في دفع الذرائع التي يتذرع بها المجتمع الدولي وعلى رأسه أمريكا وروسيا في قصفهم وتشريدهم عامة المسلمين في الشام بحجة استهداف جبهة النصرة التابعة لتنظيم قاعدة الجهاد، فقد قررنا إلغاء العمل باسم جبهة النصرة وإعادة تشكيل جماعة جديدة ضمن جبهة عمل تحمل اسم «جبهة فتح الشام»، وتابع الجولاني «هذا التشكيل الجديد ليس له علاقة بأي جهة خارجية»، متوجهاً بالشكر إلى قادة تنظيم القاعدة لتفهمهم ضرورات فك الارتباط، وعدد الجولاني أهداف هذه الخطوة ومن أبرزها: «العمل على التوحد مع الفصائل لرص صف المجاهدين ولنتمكن من تحرير أرض الشام من حكم الطواغيت والقضاء على النظام وأعوانه»[1].

قبل بث الخطاب بساعات نشرت مؤسسة المنارة البيضاء التابعة لجبهة النصرة تسجيلاً صوتياً لأبي الخير المصري نائب زعيم القاعدة أيمن الظواهري يعلن فيه موافقة تنظيم القاعدة على انفصال جبهة النصرة ويبارك الخطوة، ويؤكد على أن تنظيم القاعدة «قرر بذل كل الأسباب الممكنة للحفاظ على الجهاد الشامي راشداً قوياً، وسحب كل الذرائع الواهية الذي يضعها العدو لفصل المجاهدين عن حاضنتهم»، وأضاف أن «المرحلة التي وصلت إليها الأمة وانتشار الجهاد ودخوله المجتمع المسلم وانتقاله من جهاد نخبة إلى جهاد أمة لا ينبغي أن يُقاد بعقلية الجماعة والتنظيم، بل يجب أن تكون الجماعات والتنظيمات عامل توحيد وحشد لا تفريق ومنابذة»[2]، وتضمن المقطع الصوتي تسجيلاً لزعيم «القاعدة»

---

(1) انظر: جبهة النصرة تنفصل عن القاعدة وتغيِّر اسمها، الجزيرة نت، على الرابط:
https://tinyurl.com/2t2kwhj2

(2) انظر: «القاعدة» توافق ضمنيا على انفصال «النصرة» عنها، عربي 21، على الرابط:
https://tinyurl.com/5f8n3w4k

أيمن الظواهري، قال فيه: إن «أخوة الإسلام التي بيننا أقوى من كل الروابط التنظيمية الزائلة المتحولة»، معتبراً أن «الوحدة والاتحاد أهم من أي رابطة تنظيمية، وهي تعلو على الانتماء التنظيمي والعصبية الحزبية». وأكد الظواهري أن «تلك الروابط الحزبية قابلة للتضحية إذا تعارضت مع وحدتكم واصطفافكم في صف واحد، في مواجهة العدو العلماني الطائفي المدعوم من القوى الرافضية الصفوية وروسيا والصين وتتواطأ معه الحملة الصليبية المعاصرة»[1].

وكان أبو الخير المصري قد أبلغ قيادة جبهة النصرة أن صلاحياته كمستخلف تخول له البت في مصير علاقة النصرة بالقاعدة، بحسب زعم المسؤول الشرعي للنصرة عبدالرحيم عطون، فاتفق أبو محمد الجولاني مع أبي الخير المصري على تغيير اسم جبهة النصرة وإعلان انفصالها عن تنظيم القاعدة، على أن يكون هذا الانفصال شكلياً وإعلامياً فقط، مع بقاء البيعة للقاعدة سراً، فإن مضت فصائل الثورة في مشروع التوحد ونجحت في تحقيقه، فستلغي جبهة النصرة بيعتها للقاعدة، وإن فشلت الفصائل في التوحد بقيت العلاقة والبيعة كما كانت[2].

لم تكن اجتهادات أبو الخير المصري تتمتع بالإجماع داخل النصرة، فقد انقسم مجلس شورى النصرة حول قرار إعلان فك الارتباط الشكلي إلى نصفين بالتساوي، وعندما بعث أبو الخير برسالة إلى كل من سيف العدل وأبو محمد

(1) المرجع السابق.

(2) انظر: عبدالرحيم عطون، الرد على كلمة الظواهري «سنقاتلكم حتى لا تكون فتنة»، على الرابط:

https://tinyurl.com/8cxp2955

المصري[1] الموجودين في إيران يطلعهما على مضمون اتفاقه مع الجولاني، ويستطلع رأيهما فيه، جاء ردهما رافضاً للاتفاق[2]، لكن أبو الخير المصري خلال هذه الفترة

---

(1) أبو محمد المصري: واسمه الحقيقي عبدالله أحمد عبدالله، يكني بأبي محمد المصري أو الزيات، ولد في مصر عام 1963، كان ضابطا في الجيش المصري، ويشغل الآن منصب الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، كان مسؤولا ومشرفا ومدربا للمجموعات المقاتلة التابعة للقاعدة التي قاتلت القوات الأمريكية في الصومال وأرغمتها على مغادرة البلاد عام 1993، وكان أيضا مشرفا بشكل مباشر على الإعداد والتخطيط لتفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي وتنزانيا عام 1998، بعد هذه العملية عينه أسامة بن لادن مسؤولا عن عمليات القاعدة الخارجية، وأصبح حينها الرجل الثالث بعد أسامة بن لادن في اتخاذ القرارات بعد مقتل أبي عبيدة البنشيري. ثم أصبح مسؤولا عن المعسكرات والجبهات كلها وعن العمل الخارجي أيضا. وكان مع أسامة لادن في السودان وخرجا معا بعد تصاعد الضغوط على حكومة الإنقاذ حينها. بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر واجتياح القوات الأمريكية لأفغانستان غادر إلى إيران مع عائلته وعائلة أسامة بن لادن وغيره من قادة القاعدة، في إيران سيتزوج حمزة بن أسامة بن لادن ابنته مريم. تنقل بين السجن والإقامة الجبرية حتى تمت الصفقة بين قاعدة اليمن وإيران فخرج من السجن لكنه لم يغادر البلد. بعد مقتل أبي الخير المصري أصبح نائبا للظواهري في قيادة القاعدة. وقد اغتيل المصري، في إيران في السابع من أغسطس/ آب 2020 مع ابنته مريم وهي أرملة حمزة بن لادن، في حادث إطلاق نار من سيارة في طهران، على يد عملاء إسرائيليين حسب صحيفة «نيويورك تايمز».

(2) انظر: سامي العريدي، سلسلة لله ثم للتاريخ، شهادات حول فك الارتباط بين جبهة النصرة وتنظيم القاعدة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4jt48x95

أصر على تنفيذ الإعلان عن فك الارتباط الشكلي مع القاعدة، مستنداً إلى صلاحياته كمستخلف ونائب لأمير القاعدة[1].

في خضم الجدل حول الإعلان عن فك ارتباط النصرة بالقاعدة وتأسيس جبهة فتح الشام، استهدفت غارة جوية مجهولة في 8 أيلول/ سبتمبر 2016، اجتماعاً لقيادات الصف الأول من «جبهة فتح الشام» في كفرناها في ريف حلب الغربي، وقد نفى البنتاغون أي دور له في مقتل القائد العسكري لـ «جيش الفتح»[2]، وأدت الغارة إلى مقتل أسامة نمورة[3] أحد أهم الشخصيات القيادية

(1) من المهم الإشارة هنا إلى أنّ تحول جبهة النصرة إلى جبهة فتح الشام لم يلقَ شعبية وسط دوائر الجماعة الأكثر تشددًا والتزامًا بالقاعدة. في الحقيقة، وفي أثناء تصويت مجلس شورى جبهة النصرة النهائي؛ صوت حوالي نصف أعضاء القيادة بـ (لا)، وقام بعدئذ عشرات القادة المرموقين بترك المجموعة أو برفض تقلّد مناصب السلطة في جبهة فتح الشام. ومنذ ذلك الحين، انشق كثير من الشخصيات المهمة انشقاقًا علنيًا، معلنًا معارضته لإعادة التسمية تلك، كونها شكلت انحدارًا خطرًا أو تنازلًا عن نقاء المجموعة لمصلحة دعم المعارضة السورية انظر: تشارلز ليستر، انقلاب القاعدة على تابعها السوري، ترجمة أنسى عيسى، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4rd8evxa

(2) انظر: أمريكا لم تقتل «أبو عمر سراقب» والأرجح أن غارة روسية قتلته في حلب، موقع 24، على الرابط:

https://tinyurl.com/5bjshenn

(3) أسامة نمورة، من مؤسسي «جبهة النصرة»، وهو معروف بأسماء حركية مختلفة؛ ومنها: «أبو هاجر الحمصي» و«أبو عمر سراقب» و«أبو خالد لبنان». و«أبو هاجر»، وهو عراب «جيش الفتح» وأميره العسكري العام، ويعتبر مهندس عملية فك حصار حلب، وله دور بارز في انتشار النصرة في القلمون، وكان قد تولى «إمارة إدلب» ثم انتقل بعدها إلى «إمارة حلب». ونمورة من مواليد مدينة إدلب، وكان قد «هاجر» إلى العراق بعد دخول =

المرتبطة بالقاعدة، والمعروف بأسماء حركية مختلفة؛ ومنها: «أبو هاجر الحمصي» و«أبو عمر سراقب» و«أبو خالد لبنان».

ويعتبر «أبو هاجر» عراب «جيش الفتح» وأميره العسكري العام، وهو مهندس عملية فك حصار حلب، وقد جرى تجميد «أبو هاجر» من الجبهة قبل مقتله بأشهر في حزيران/ يونيو 2016، وتوترت علاقته مع الجولاني وحسب مصادر عدة فإن تجميده كان بسبب رفضه القاطع لعملية فك الارتباط مع تنظيم «القاعدة»، وتحفظاته الدائمة على أي طرح يقدمه التيار المعتدل الذي يمثله عدد من الشخصيات مثل أبو ماريا القحطاني ويوسف العرجاني وأبو حسن الكويتي ومظهر الويس[1].

من الواضح أنّ محاولات الجولاني لم تنجح في نفي صلة جبهة فتح الشام بالقاعدة للتخلص من تصنيفها كمنظمة إرهابية، فبحسب تشارلز ليستر كانت عملية إعلان النصرة فك الارتباط بالقاعدة مجرد خدعة وللمزيد من التجذر في الثورة السورية، وقال: «لا ينبغي أن يحتار أحد أمام هذه المناورة: إن جبهة النصرة

= القوات الأميركية بعام واحد، واعتقل هناك في ظروف غامضة، ويُعتقد أنه التقى أثناء اعتقاله مع أبو بكر البغدادي. ونقل نمورة بعد ذلك، ونتيجة اتفاق بين الحكومتين السورية والعراقية، إلى سوريا، حيث سجن في «فرع فلسطين» التابع لـ«الأمن العسكري» لمدة ثلاث سنوات. وخرج أبو هاجر من السجن، في ظل «العفو» الذي أصدره الرئيس السوري بشار الأسد عن الإسلاميين، بُعيد انطلاق الثورة السورية. ومع الظهور العلني لـ«جبهة النصرة» بدأ نجم «أبو هاجر» بالسطوع.

(1) انظر: نسيب عبدالعزيز، مقتل أبو هاجر الحمصي.. أكثر من غارة جوية، موقع المدن، على الرابط:

https://tinyurl.com/v7jjmhc

تبقى خطيرة ومتطرفة كما كان حالها على الدوام. وبقطع روابطها مع القاعدة، تُظهر هذه المنظمة على نحو أكثر وضوحاً من أي وقت مضى منهجها في اللعبة السورية الطويلة، والتي تسعى من خلالها إلى الانخراط في داخل الديناميات الثورية، وتشجيع الوحدة الإسلامية من أجل التغلب على أعدائها من ناحية الذكاء، القريبين منها والبعيدين على حد سواء»[1].

وقد أكدت واشنطن على أن التسمية الجديدة للنصرة ما هي سوى حيلة مكشوفة، وبدءًا من كانون ثاني/ يناير 2017، لم تعد الولايات المتحدة تشير إلى «مقاتلي مجموعة خراسان» على وجه التحديد كممثلين للقاعدة، ولم يعد المسؤولون الأمريكيون يكترثون بالتمييز بين مقاتلي مجموعة خراسان وجبهة النصرة، وبدلاً من ذلك وصفتهم جميعاً باسم «القاعدة»، وزادت الولايات المتحدة بشكل كبير من عدد غاراتها الجوية ضد جبهة فتح الشام (النصرة سابقاً) وغيرها من الأهداف المرتبطة بالقاعدة، وسوف تدفع هذه الدينامية إلى احتدام الجدل داخل أجنحة النصرة إلى حدوده القصوى، حيث بدأ التفكير جدياً لدى الجناح البراغماتي بفك الارتباط مع القاعدة، في وقت تنامت فيه الضغوطات على النصرة من واشنطن وموسكو وأنقرة، ومن فصائل المعارضة المسلحة.

لم تقتصر إجراءات واشنطن بخصوص التعامل مع جبهة فتح الشام كفرع للقاعدة في سوريا على الجانب النظري، التي دفعت بدينامية الانفصال عن القاعدة إلى حدودها القصوى، لزيادة الخلاف والشقاق بين أعضائها، بل انتقلت من

(1) انظر: تشارلز ليستر، جبهة النصرة ماتت وأقوى من أي وقت مضى، ترجمة عبدالرحمن الحسيني، مجلة «فورين بوليسي»، جريدة الغد، على الرابط:
https://tinyurl.com/b92x23eh

الجانب النظري إلى المجال العملي، من خلال تكثيف استهداف فتح الشام، لكن الحقيقة أن الولايات المتحدة كانت تستهدف فقط الجناح الراديكالي المعولم المرتبط بالقاعدة، بصرف النظر عن تسميته «مجموعة خراسان»[1].

وفي 2 كانون ثاني/ يناير 2017 استهدف طيران التحالف الدولي سيارتين لجبهة فتح الشام بشكل متتابع على طريق باب الهوى سرمدا، مخلفاً 11 قتيلاً، بينهم مهاجرون من جنسيات غير سورية، وفي 4 كانون ثاني/ يناير 2017، استهدفت غارة نفذها طيران التحالف الدولي على مقر جبهة فتح الشام في ريف إدلب شمال غرب سوريا، مقراً رئيسياً للجبهة، وقال مصدر في الجبهة إن التحالف قصف مقراً مركزياً يقع بين بلدتي سرمدا وكفر دريان بريف إدلب شمال غربي سوريا، ما أدى إلى مقتل جميع من فيه، ويقدر عددهم بـ25 شخصاً[2]، وفي 19 كانون ثاني/ يناير 2017، استهدفت غارة جوية أمريكية معسكر الشيخ سليمان في الفوج 111

(1) كانت وزارة الدفاع الأميركية حصلت على قرار سياسي من إدارة الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، لبدء شن العمليات واستهداف قياديين في فتح الشام بعدما كانت العمليات في السابق تركز على مجموعة خراسان المحسوبة على القاعدة، ويبدو أن روسيا وأمريكا دخلتا جدياً بداية 2017، في عمليات تنسيق مشتركة لتوجيه ضربات لـ«فتح الشام»، باعتبارها عدوًا مشتركاً للجانبين، سيما وأنهما اتفقا في يوليو/ تموز 2016 على أن أحد أوجه التنسيق المشترك بينهما توجيه الضربات إلى «النصرة»، انظر: هل تمتلك أمريكا «بنك اغتيالات» لضرب «فتح الشام»؟.. الغارات الأخيرة تعيد للأذهان اتفاق موسكو وواشنطن لـ «تصفيتها»، موقع السورية نت، على الرابط:
https://tinyurl.com/e7ysz9u2

(2) انظر: غارة للتحالف تقتل 25 عنصرا من جبهة فتح الشام، الجزيرة نت، على الرابط:
https://tinyurl.com/eundp25h

التابع لجبهة النصرة غرب بلدة دارة عزة. مما أسفر عن مقتل 110 من مقاتلي جبهة فتح الشام (النصرة). كما قتل في الهجوم بعض مقاتلي نور الدين الزنكي[1].

عقب الغارة الجوية الأخيرة، وقرب انعقاد مؤتمر أستانا، انخرطت جبهة فتح الشام علانية في اشتباكات مسلحة مع حركة أحرار الشام ومجموعات أخرى من الجيش السوري الحر، فقد بدأت قوات جبهة فتح الشام حملتها على الفصائل التي شاركت في مؤتمر أستانا، والتي سارعت بدورها إلى الارتماء في أحضان أحرار الشام لحمايتهم، وفي غضون أيام قليلة على بدء الاشتباكات، أعلنت ستة فصائل ثورية انضمامها إلى حركة أحرار الشام، وهي: جيش المجاهدين، والجبهة الشامية، وألوية صقور الشام، وجيش الإسلام–قطاع إدلب، وكتائب ثوار الشام، وتجمُّع «فاستقم كما أُمرت». وفي الوقت نفسه الذي شنّت فيه جبهة فتح الشام حملتها على الفصائل، شرعت بالتواصل مع فصائل ومجموعات أخرى لإنشاء تكتل واسع، وبحسب آرون لوند، فإن مركز الثقل في مناطق القسم السوري الخاضعة إلى سيطرة المعارضة، الذي كان لغاية وقت ليس ببعيد بين سندان أحرار الشام ومطرقة جبهة فتح الشام، تحوّل بشكل حاسم لصالح المعسكر السلفي–الجهادي[2].

(1) انظر: مقتل العشرات من «النصرة» في ريف حلب الغربي بغارة للتحالف، الميادين نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/wspkyd4m

(2) انظر: آرون لوند، الدوّامة الجهادية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، على الرابط:

https://tinyurl.com/yxbw52rj

2. الإمعان في الابتعاد عن القاعدة: تأسيس «هيئة تحرير الشام»

بعد انطلاق مفاوضات أستانا بين النظام السوري والمعارضة بمشاركة روسية تركية إيرانية، انقسمت قوى المعارضة السورية بين مشارك فيها ورافض لها، وأدى الموقف منها إلى مواجهات بين بعض القوى المسلحة المناهضة للنظام السوري، ما دفع بجبهة فتح الشام إلى التعجيل بالاندماج مع الفصائل الرافضة لمسار «أستانا»، للتخلص من عزلتها بسبب الارتباط بالقاعدة، وتجنب وصمها بالإرهاب، والحد من الضربات الجوية الأمريكية، حيث أُعلن عن تشكيل «هيئة تحرير الشام» في 28 كانون ثاني/يناير 2017، وبحسب بيان التأسيس، فإن الاندماج جاء نظراً لما تمر به الثورة السورية من «مؤامرات تعصف بها واحتراب داخلي يهدد وجودها»، كما دعا البيان الفصائل العاملة في الساحة السورية إلى الالتحاق بهذا الكيان وحفظ مكتسبات الثورة والجهاد، على حد تعبيره. وكانت جبهة فتح الشام (النصرة سابقاً) –وهي أهم وأبرز مكونات التشكيل الجديد– قد اعتبرت أن مؤتمر أستانا جزء من المؤامرة على الثورة السورية[1].

تشكّلت هيئة تحرير الشام من توحد واندماج عدة فصائل وكتائب جهادية، أهمها: جبهة فتح الشام، وكتائب نور الدين الزنكي، وكانت جزءًا من المعارضة المدعومة من وكالة الاستخبارات الأميركية، وجبهة أنصار الدين، وهي مظلّة جامعة صغيرة تضم سلفيين جهاديين سوريين وأجانب، وجيش السنّة، وهو مجموعة صغيرة من المقاتلين الذين فرّوا من حمص إلى إدلب، ولواء الحق، وهو مجموعة جهادية صغيرة أخرى في إدلب، وانضمّت مجموعات أخرى للهيئة من

---

(1) انظر: هيئة تحرير الشام.. تكتل الرافضين لأستانا، الجزيرة نت، على الرابط:
https://tinyurl.com/y6jkbjbx

بينها فصيل منشقّ عن أحرار الشام، ويُعرف باسم «مجاهدو أشداء»، والذي كان قائده «أبو العبد أشداء»، وجذبت هيئة تحرير الشام مشايخ سلفيين مثل عبدالله المحيسني وعبدالرزاق المهدي، وانشقّ بعض مسؤولي أحرار الشام للانضمام إلى الهيئة، ومن ضمنهم هاشم الشيخ زعيم جيش الأحرار المنشق عن حركة أحرار الشام وأبو صالح طحان وأبو محمد الصادق وأبو يوسف المهاجر، وقد تم تعيين هاشم الشيخ أميراً لهيئة تحرير الشام، وبات أبو محمد الجولاني خلف الأضواء[1].

شهدت «هيئة تحرير الشام» خلال بضعة أشهر سلسلة من الانشقاقات، بدأت بخروج ثلاث فصائل أساسية منها؛ وهي: حركة نور الدين الزنكي، وجيش الأحرار وكتائب ابن تيمية، وإعلان عدد من الشخصيات القيادية فيها استقالاتهم؛ منهم عبدالله المحيسني والشيخ مصلح العلياني.

وأصبح الجولاني، زعيم «فتح الشام»، (النصرة سابقاً)، قائداً عاماً للهيئة، بعيد اجتماع لمجلس الشورى، تم على أثره، بحسب بيان رسمي صادر عن الهيئة، قبول استقالة هاشم الشيخ من مسؤوليته قائداً عاماً، وتكليف نائبه أبو محمد الجولاني، وكان واضحاً منذ البداية أن الجولاني هو القائد الفعلي للهيئة، وأن الشيخ كان قائداً صورياً[2].

شكّل الإعلان عن هيئة تحرير الشام محطة فاصلة في بدء ترسيخ الهيئة نفسها القوة المهيمنة في إدلب بعد هزيمتها لكافة فصائل المعارضة المسلحة المحلية، وهو

---

(1) المرجع السابق.

(2) انظر: بولا أسطيح، انشقاقات في «هيئة تحرير الشام» وهاشم الشيخ يستقيل من القيادة، موقع الشرق الأوسط، على الرابط:

https://tinyurl.com/2ehz4ae6

ما سيؤهلها لاتخاذ قرارات حاسمة بفك الارتباط فعلياً مع تنظيم القاعدة، رغم أن الولايات المتحدة أصرت على أن الهيئة منظمة إرهابية، وأن الهيئة تسمية جديدة للفرع السوري للقاعدة، لكن الهيئة كانت تدرك أن الاستهداف الأمريكي كان يقتصر على الجناح الجهادي القاعدي المعولم، الذي يتكون معظم أعضائه من الأجانب، فبعد الإعلان عن تشكيل هيئة تحرير الشام بنحو شهر استهدفت طائرة أمريكية من دون طيار أبي الخير المصري، وقتلته في 26 شباط/ فبراير 2017، وهو ما عزز لدى التيار الراديكالي المحافظ على بيعة القاعدة، نظرية تورط الجولاني بالتواطؤ مع قوات التحالف، وقد ألمح القيادي السابق في النصرة صالح الحموي الشهير بـ«مزمجر الشام» إلى تورط الجولاني في اغتيال طيران التحالف لرموز ما يعرف بـ«جماعة خراسان»، الذين قدموا من أفغانستان، والتحقوا بجبهة النصرة، قائلاً: إن وجودهم كان يشكل خطراً عليه؛ نظراً لضحالة تجربته الجهادية مقارنة بهم، وعلى رأسهم «السعودي عبدالمحسن الشارخ «سنافي النصر»، والكويتي محسن الفضلي، إضافة إلى تلميحه بتورط الجولاني في اغتيال المصريين «أبو الخير»، و«أبو الفرج»، كونهما الشاهدين على وعود الجولاني بإعادة بيعته للظواهري في حال قرر الأخير ذلك[1].

من الجدير بالذكر أنّ حدة الخلاف داخل الهيئة حول طبيعة العلاقة مع القاعدة اشتدت، بعد مقتل أبو الخير المصري، وتصاعدت حالة الاحتقان وعدم الثقة مع الجناح الراديكالي التي حافظت على ولائها وبيعتها للقاعدة، ورسمت لأبي الخير المصري شخصيتان متناقضتان، فهو بالنسبة للراديكاليين، جهادي عالمي مخضرم لا يحيد عن نهج القاعدة وأصولها، وأنه تراجع عن تأييده لقرار فك

(1) انظر: مزمجر يكشف معلومات مثيرة عن القاعدة والأردنيين والجولاني، مرجع سابق.

الارتباط الشكلي، بعد أن تبيّن له أن الجولاني نقل الإعلان الشكلي إلى المجال الواقعي[1]، أما بالنسبة للبراغماتيين في الهيئة، فإن المصري شخصية هادئة توافقية وغير مندفعة، له ملاحظات وأفكار مستقلة تختلف مع قيادة تنظيمه، وأن الجولاني عرض عليه بعد وصوله إلى سوريا قيادة جبهة النصرة لكنه رفض، وأنه حث النصرة على فتح مكتب للتواصل مع تركيا، وحاول إقناع الفرع اليمني للقاعدة بترك العمل الخارجي[2].

منذ إعادة تسمية تنظيم جبهة النصرة بهيئة تحرير الشام في كانون الثاني/ يناير 2017، سعت هيئة تحرير الشام لتقديم نفسها كمجموعة محلية تهدف إلى محاربة النظام السوري دون أي أجندة عالمية. فمجرد نظرة خاطفة إلى تصريحات الجماعة ومجلتها الأسبوعية (إباء) ومقابلات القيادة كافية لرؤية التحول الخطابي من الجهاد العالمي إلى التركيز المحلي. حيث اختفت مصطلحات مثل «جهاد الأمة» أو جهاد الأمة الإسلامية و«الجهاد ضد النصيرية»، واستُبدِلَت بمصطلحات مثل «الجهاد». للدفاع عن الثورة السورية، و«النضال من أجل حرية الشعب السوري». فبالنسبة للقيادة، التي قطعت علاقات الجماعة مع كل من تنظيمي الدولة الإسلامية والقاعدة في عامي 2013 و2017، على التوالي، كان شطب المجموعة من قوائم الإرهاب العالمية المختلفة وتأمين مستقبلها السياسي في سوريا أولوية[3].

(1) انظر: سامى العريدي، شهادات حول فك الارتباط بين جبهة النصرة وتنظيم القاعدة، مرجع سابق.

(2) انظر: عبدالرحيم عطون، الرد على كلمة الظواهري، مرجع سابق.

(3) انظر: عروة عجوب، هل ستقضي هيئة تحرير الشام على القاعدة في سوريا؟، على الرابط: https://tinyurl.com/rwcycetc

3. موقف القاعدة: تشكيل «لجنة حطين» في إيران

كان التسجيل الذي بثّته مؤسسة المنارة البيضاء التابعة للنصرة، الذي تضمن كلمة للظواهري، يوحي بأنّ أن فك ارتباط النصرة بالقاعدة جرى بموافقة القيادة المركزية للقاعدة، وبمباركة الظواهري نفسه، لكن الحقيقة تُظهر أن كلمة الظواهري التي بثتها النصرة قديمة ولا صلة لها بقرار فك الارتباط، وأنها استخدمت في غير سياقاتها، فالاتصالات بين الظواهري والنصرة كانت مقطوعة بين تشرين ثاني/ نوفمبر 2013 وأيلول/ سبتمبر 2016، الأمر الذي يؤكد عدم استشارة الظواهري بخطوة فك الارتباط، وهو ما سيرفضه عند اكتشافه أن فرعه السوري قد أصبح جبهة فتح الشام، مما سيقود إلى الخلاف والنزاع وصولاً إلى القطيعة مع القاعدة[1].

من المهم الإشارة هنا إلى أنّه خلال فترة انقطاع التواصل بين النصرة والظواهري، حصل تطور لافت، فقد دخلت إلى سوريا مجموعة من كبار قيادات القاعدة المتواجدين في إيران، بعد أن أطلقت إيران سراحهم كجزء من عملية

(1) كان الظواهري قبل انقطاع الاتصال مع النصرة قد أوضح أن نائبه هو أبو بصير ناصر الوحيشي قائد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب ومركزه اليمن، وأن الوحيشي هو المسؤول عن تدبير شؤون التنظيم إلى حين تفعيل التواصل معه من جديد، لكن ناصر الوحيشي قتل في اليمن في حزيران/ يونيو 2015، لذلك قدم أبو الخير المصري لقيادة جبهة النصرة وثيقة مهمة تكشف موقعه القيادي ودوره داخل القاعدة، وتتضمن الوثيقة أسماء الشخصيات التي ستتولى بالترتيب قيادة تنظيم القاعدة في حال غياب أيمن الظواهري، وبموجبها أصبح أبو الخير المصري نائباً ومستخلفا على التنظيم حتى يظهر الظواهري من جديد انظر: وثيقة تكشف خلفاء الظواهري في قيادة «القاعدة»، موقع 24، على الرابط: https://tinyurl.com/stab7dbr

لتبادل الأسرى تمت في آذار/ مارس 2015، في عملية تبادل سجناء مع فرع تنظيم القاعدة في اليمن، من بينهم أربعة مصريين (سيف العدل، وأبو محمد المصري، وأبو الخير المصري، وأبو عبدالكريم المصري) وأردنيان (أبو القسام وساري شهاب)[1]، وسمحت طهران لبعضهم بمغادرة أراضيها والانتقال إلى سوريا، وهم: أبو الخير المصري وأبو القسام الأردني وخلاد المهندس (ساري شهاب) وأبو عبدالكريم المصري، بينما تم الإفراج عن اثنين من الاحتجاز الإيراني لكن مُنعوا من مغادرة إيران، وهم سيف العدل وأبو محمد المصري[2]، وقد لعبت هذه المجموعة دوراً حاسماً في مسار الخلاف والانشقاق بين الفرع السوري للقاعدة والقيادة المركزية[3].

(1) انظر: نيويورك تايمز: عملية تبادل أسرى بين إيران والقاعدة، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/ygv4xqqd

(2) انظر: كول بونزل، لماذا يتواجد قادة القاعدة في إيران؟، مجلة «فورين أفيرز» الأميركية، على الرابط:

https://tinyurl.com/yyyfuz8r

(3) كشف القيادي السابق في «النصرة» صالح الحموي الشهير بـ«مزمجر الشام»، أن خروج قيادات مصرية وأردنية من سجون إيران، في صفقة تبادل مع قاعدة اليمن، وانتقالهم فيما بعد إلى سوريا دون علم الجولاني، شكل خطراً على الأخير، لا سيما أن القاعدة شكلت مجلس شورى لها ضم القيادات المفرج عنهم مؤخرا، الذين ارتؤوا أن «أبو عمر سراقب (أبو هاجر الحمصي)»، هو الأجدر بقيادة التنظيم بدلا من الجولاني، مضيفا أن مقتل الحمصي أراح الجولاني كثيراً، انظر: مزمجر يكشف معلومات مثيرة عن القاعدة والأردنيين والجولاني، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/ffcaxrsx

خلق انقطاع التواصل بين قيادة القاعدة المركزية في خراسان بزعامة الظواهري، والفروع الإقليمية حالة من الارتباك والتشوش والالتباس حول آليات اتخاذ القرارات الكبرى والمهمة، فالقاعدة تعمل وفق نهج مركزية القرار ولامركزية التنفيذ، لكن قيادة الظواهري كانت قد شكّلت لجنة مخصصة لفرع التنظيم في سوريا وبلاد الشام، وقد أُطلق عليها «لجنة حطين»، وقد ظهرت للعلن للمرة الأولى بعد الخلاف حول الإعلان عن فك ارتباط جبهة النصرة بتنظيم القاعدة، وتأسيس جبهة فتح الشام، وقد تشكّلت اللجنة بأمر مباشر من أيمن الظواهري، وكان دورها محدد بتولي زمام ملف الشام في تنظيم القاعدة نيابة عن الظواهري، نظراً لاختفائه بعض الأوقات بسبب ظروفه الأمنية، **وقد تكونت لجنة حطين من مجموعة من قيادات القاعدة المتواجدين في إيران، وضمت كل من سيف العدل وأبو محمد المصري، وأبو الخير المصري، وأبو عبدالكريم المصري**[1].

عندما عاد التواصل مع أيمن الظواهري بعد فترة وجيزة من إعلان فك الارتباط، أعرب الظواهري عن رفضه القاطع لخطوة فك الارتباط الإعلامية مع بقاء البيعة سرية، وتضمنت رسالته تأنيباً شديداً لأبي الخير المصري لأنه وافق على الخطوة، وأكد له أن فصل أي فرع من فروع القاعدة ليس من صلاحيات الأمير نفسه وإنما من صلاحيات مجلس الشورى، وأن صلاحيات «المستخلف» ليست هي صلاحيات «النائب»، وأن أبا الخير في غياب الظواهري هو مجرد مستخلف وليس بنائب[2]، وفي محاولة لاحتواء الخلاف بعث الجولاني إلى أيمن الظواهري

(1) انظر: ما هي لجنة حطين وممن تكونت وما هي مهامها وماذا حل بها الآن؟! قناة الحصاد الأسود، على الرابط:

https://tinyurl.com/5mvt7epz

(2) المرجع السابق.

رسالة مطولة يشرح له فيها فكرة الإعلان عن جبهة فتح الشام، ويوضح فيها ملابسات وأهداف الفكرة، لكن رد الظواهري كان قاطعاً أنه لم يعد يقبل البيعات السرية منذ انشقاق الفرع العراقي، وقد زعم القيادي في جبهة فتح الشام عبدالرحيم عطون أن الظواهري تأثر برسالة وصلته من سيف العدل المقيم في إيران حملت تصوراً خاطئاً لما جرى[1]، ولكن الحقيقة أن القرارات الكبرى في القاعدة مركزية، وتتم بالتشاور مع اللجان الإقليمية، وسيف العدل هو المسؤول عن فرع بلاد الشام وسوريا، من خلال لجنة حطين. وقد عززت رسالة الظواهري رسالة سيف العدل، برفض خطوات فك الارتباط الشكلية، لكن الجولاني أصر على موقفه حول جبهة فتح الشام.

أتت هذه التطورات في مرحلة حرجة على تنظيم القاعدة، بعد فشل مشروع «أنصار الشريعة» الذي تبناه بداية الربيع العربي، وأدى إلى انفصال الفرع العراقي وصعود تنظيم الدولة الإسلامية السريع ثم ضموره، وانتكاسة الفرع اليمني وهزيمته في المكلا عاصمة حضرموت، ومقتل أميره أبو بصير ناصر الوحيشي، ما دفع بالقاعدة إلى التراجع عن نهج حروب التمكين والسيطرة المكانية، والعودة إلى إستراتيجيتها المفضلة بأولوية قتال العدو البعيد، من خلال نهج حرب العصابات والنكاية.

المفارقة التاريخية فيما حدث مع القاعدة تمثلت في أنّ هزيمة تنظيم الدولة وأفول خلافته في سوريا والعراق في تلك الفترة شجّعت القاعدة على ملء الفراغ ونقل ثقلها إلى سوريا، وعزز من ذلك التحاق مجموعة من القيادات التاريخية بفرع

(1) انظر: عبدالرحيم عطون، الرد على كلمة الظواهري، مرجع سابق.

التنظيم الشامي، وقد عبّر الظواهري عن العودة إلى نهج قتال العدو البعيد، والعودة لتكتيكات حرب العصابات بوضوح من خلال كلمة صوتية بثتها مؤسسة السحاب الإعلامية التابعة للتنظيم، بعنوان «انفروا للشام» في 5 أيار/ مايو 2016، دعا فيها أتباع وأنصار القاعدة إلى «النفير للشام» وتصعيد العمل العسكري في سورية، وقال: «إن الشام اليوم هو أمل الأمة المسلمة»، أضاف: «واجبَنا اليوم أن ندافع عن الجهاد في الشام ضد المؤامراتِ التي تُحاك له، والتي تتولى كبرَها ربيبةُ بريطانيا وتابعةُ أمريكا؛ دولةُ آلِ سعود وذيولُها من دولِ المنطقةِ.

وفي كلمته رفض الظواهري الدعوة إلى إنهاء جبهة النصرة لبيعتها له بالقول: «هل سيرضى أكابر المجرمين عن جبهة النصرةِ لو فارقت القاعدة، أم سيلزمونها بالجلوسِ على المائدة مع القتلة المجرمين، ثم يلزمونها بالإذعان لاتفاقات الذل والمهانة»، مذكّراً بأن «المجاهدين في الشام يقفون على حدود فلسطين»، وبعد أقل من 24 ساعة، خرج حمزة بن لادن، نجل زعيم التنظيم الراحل أسامة بن لادن، بتسجيل صوتي في تسجيلٍ صوتي عنوانه: «ما القدس إلا عروس مهرها دمُنا»، يدعو فيه إلى تشكيل جيش ضخم لتحرير القدس، قائلاً: «الطريق لتحرير فلسطين اليوم، هو ميدان الشام»[1].

وللتأكيد على حضورها وقدرتها استخدمت القاعدة رمزية ابن لادن من خلال نجله حمزة، فبدأت ببث رسائل متتالية له، للدلالة على التمسك بأهداف والده بأولوية مهاجمة أمريكا والغرب وإسرائيل، ففي 10 تموز/ يوليو 2016،

(1) انظر: رضوان مرتضى «القاعدة»: طريق القدس يمرّ في سوريا، صحيفة الأخبار، على الرابط:

https://tinyurl.com/4bc87h9p

بثت مؤسسة السحاب شريط صوتي بعنوان «كلنا أسامة»، توعد فيه حمزة الولايات المتحدة بهجمات داخل أراضيها وخارجها، وأضاف: «سنواصل التمسك بالجهاد في سبيل الله، وسنمضي على هذا الطريق، وسنستمر في ضربكم واستهدافكم في بلادكم وخارجها»، وفي 12 مايو/ أيار 2017، بثت السحاب كلمة صوتية أخرى له بعنوان «وصايا للفدائيين في الغرب» دعا فيها إلى «مهاجمة اليهود والأمريكيين والغربيين وحتى الروسيين»، ومع تنامي أدوار نجل ابن لادن حمزة داخل القاعدة أدرجته الولايات المتحدة، على لائحتها السوداء للإرهاب بداية كانون ثاني/ يناير 2017، واستندت في تصنيفها حمزة بن لادن «إرهابيا دوليا» إلى أن تنظيم القاعدة قد استدخله في هياكله القيادية منذ آب/ أغسطس 2015[1].

لاحقاً أصدر أيمن الظواهري كلمة صوتية بعنوان «سنقاتلكم حتى لا تكون فتنة»، بثتها مؤسسة السحاب الإعلامية بتاريخ 4 تشربن أول/ أكتوبر 2017، أدان فيها الانفصال عن القاعدة، وشدد في كلمته على أن: «البيعة عقد شرعي ملزم يحرم نكثه»، تحت أي ذريعة، ويشير إلى أن مبررات فك ارتباط النصرة

---

(1) انظر: حسن أبو هنيّة، هل يقود حمزة بن لادن «القاعدة» إلى حقبة جهادية جديدة؟ موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/4mwwhtp3

وقد روج أنصار القاعدة أن حمزة بن لادن في طريقه إلى سوريا، وأنه سيقود الفرع السوري، في ذروة النزاع مع الهيئة، بل زعمت صحيفة «ديلي ميل» أن حمزة بن لادن متواجد في سوريا فعلاً، وأن قوة كوماندوز بريطانية تشن حملة لقتل أو أسر حمزة بن لادن، نجل زعيم تنظيم «القاعدة» الراحل، وذلك بعد أن أطلق نجل أسامة بن لادن شريطاً مصوراً يدعو فيه المتعاطفين مع «القاعدة» إلى شن هجمات دموية في الغرب، انظر: مهمة بريطانية في غاية السرية لقتل نجل بن لادن في سوريا، موقع روسيا اليوم، على الرابط:

https://tinyurl.com/42sh5d53

بالقاعدة واهية، لا تستند إلى أحكام الشريعة، وإنما جاءت استجابة للضغوطات الدولية للتخلص من الاستهداف ووصمة الإرهاب، حيث قال: «ويبرر المبررون: نريد أن نتجنب القصف، نريد أن نهرب من التصنيف، الممولون يشترطون علينا أن نبتعد عمن تكرههم أمريكا حتى لا يصنفوننا كإرهابيين، ولا نريد قطع الإمداد عن المهاجرين»[1].

على الطرف المقابل ادعى عبدالرحيم عطون - القيادي في هيئة تحرير الشام في رده على الظواهري: أن فك الارتباط مع تنظيم القاعدة جاء بعد موافقة أغلب قادة الصف الأول في النصرة، وبعد موافقة أبي الخير المصري وتأكيده أن صلاحياته تخول له ذلك، لكن الحقيقة أن قرار فك الارتباط رغم أنه كان شكلياً في الأساس، لم يتمتع بموافقة الأغلبية كما مر سابقاً.

وكان سامي العريدي قد أكد على أن أبو الخير المصري لم يعلم بتأسيس هيئة تحرير الشام والإعلان عن قطع الصلة التنظيمية بالقاعدة إلا عن طريق الإعلام، وقد أشار أبو القسام الأردني في معرض رده على عطون إلى الانقسام حول فك الارتباط الشكلي بالقاعدة، وأنه شخصياً كان موافقاً في البداية على تأسيس جبهة فتح الشام، وعندما تواصل مع سيف العدل وأبي محمد المصري في إيران ورفضا الخطوة، عدل عن رأيه، وأن أبو الخير المصري توقف عن تأييد الانفصال بعد علمه

---

(1) انظر: أيمن الظواهري، سنقاتلكم حتى لا تكون فتنة، كلمة صوتية، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

https://tinyurl.com/2ajfvahc

أن القياديين الموجودين في إيران أخبراه بأن التواصل مع الظواهري بات متاحاً، ويجب انتظار موقفه أولاً[1].

4. «هيئة تحرير الشام»: مؤيدو القاعدة وخصومها

تنامت عمليات الجذب والاستقطاب داخل هيئة تحرير الشام، حول المحلية والعالمية وطبيعة وأهداف الجهادية العالمية، في أحلك أوقات الأزمة السورية، وفي ذروة نشاط الحملة الدولية للحرب على الإرهاب، وفي الوقت الذي كان التحالف الدولي بقيادة واشنطن بالتعاون مع قوات سوريا الديمقراطية، يشدد الخناق على شمال شرق سوريا لاستعادة عاصمة تنظيم الدولة الإسلامية الرقة.

في هذا السياق تنامى استياء قيادة القاعدة المركزية بسرعة ضد فرعها السوري السابق بعد إعادة تسميته في كانون الثاني/ يناير 2017، وشرعت ببناء حركة منافسة أكثر ولاء لنهج القاعدة العابر للحدود ولرؤيته الإستراتيجية، وتوقفت قيادة القاعدة المركزية عن تصنيف هيئة تحرير الشام بمنزلة فرعها الرسمي لسببين: لأن الهيئة المذكورة قد قبلت -وفقًا لمعايير القاعدة- مستويات غير كافية من النقاء في هيكليتها، وفي خطابها، ورؤيتها، وممارستها، ولأن قيادتها الرئيسة قد نقضت -وفق الادعاءات- قسمها بالولاء الديني لقائد القاعدة أيمن الظواهري، وقد وجّه بيان صوتي للظواهري إلى مقاتلين في سورية؛ تحذيرًا صارخًا ضد اتباع أجندة متمركزة حول سورية، ودعاهم إلى تقويم (أخطائهم)، وإعادة تبني أجندة عالمية (عابرة للحدود) بغرض تأمين (النصر).

(1) انظر: أبو القسام الأردني، شهادة ورد على الأباطيل الواردة في كلمة الشيخ عبدالرحيم عطون، على الرابط:

https://tinyurl.com/4x8j52rx

لقد دفعت رسالة الظواهري الرافضين أصلاً للفكرة داخل النصرة إلى مواقف متباينة، حيث علّق بعضهم أنشطته في المكوّن الجديد، وانشق آخرون سراً دون ضجة إعلامية، وباشر الرافضون بالتواصل المباشر مع قيادة القاعدة المركزية والإقليمية، حيث تولى أبو القسام الأردني[1] مهمة التواصل، مع «لجنة حطين» المختصة ببلاد الشام برئاسة سيف العدل، ومع القيادة المركزية بزعامة الظواهري، لاطلاع القيادة على التطورات، وبحث الخطوات المستقبلية، وخلال هذه الفترة

(1) أبو القسام الأردني: القائد العسكري لتنظيم حراس الدين، واسمه الحقيقي خالد العاروري من مواليد عام 1967 من الأفغان العرب القدامى، شارك في المعارك ضد الروس في أفغانستان قبل ثلاثة عقود، تعرف على أبي مصعب الزرقاوي وتوطدت علاقتهما بالزواج والمصاهرة، حيث تزوج إحدى شقيقاته، كما أمضيا مع أبي محمد المقدسي فترة من الوقت في أحد سجون الأردن، تأثر كثيرا بكتابات المقدسي خاصة كتابه الشهير ملة إبراهيم. بعد تأسيس الزرقاوي جماعة التوحيد والجهاد في العراق عقب الاحتلال الأمريكي عيّن العاروري نائبا له على الجماعة، وكان قبل ذلك مستشارا له في أفغانستان. أوفده الزرقاوي للقيام بمهمة في إيران حيث ألقي القبض عليه ومكث هناك حتى تم إطلاق سراحه سنة 2015 بموجب صفقة تبادل للمعتقلين بين إيران وتنظيم القاعدة في اليمن. حافظ على ولائه لتنظيم القاعدة وبقي على تواصل مع قيادتها ولعب دورا رئيسيا في إقناع بعض المجموعات العسكرية بالانشقاق عن هيئة تحرير الشام لصالح مشروع القاعدة الجديد في سوريا. لا تتوفر الكثير من المعطيات والتفاصيل عن سيرته، ولم يعرف عنه نشاط في مجال الكتابة باستثناء بعض الردود القصيرة والمرتجلة التي كتبها أثناء الأزمة مع هيئة تحرير الشام، وقد اعترف في إحداها أن الكتابة والتفاعل مع ما يُنشر على الإنترنت ليسا من أولوياته، صادرت الهيئة حاسوبه الشخصي خلال حملة الاعتقالات التي شنتها ضد الموالين للقاعدة، ووجدت أنه كان على تواصل مباشر مع سيف العدل وأبي محمد المصري ويضعهما في صورة ما يجري في سوريا أول بأول. قُتل في 14/ 6/ 2020 في قصف جوي من طائرة بدون طيار استهدفت السيارة التي يستقلها في إدلب، وقتل معه أيضا القيادي في حرّاس الدين بلال الصنعاني أمير جيش البادية سابقا.

نشط المنشقون عن جبهة النصرة في كشف ملابسات تأسيس جبهة فتح الشام، وعملوا على تحريض المؤيدين للقاعدة من الرافضين لفكرة فك الارتباط، وشرعوا بالتواصل مع نخبة من القيادات الشرعية والعسكرية، وفي صفوف قادة الكتائب والسرايا وتجمعات المهاجرين، وحرصوا على إبلاغهم أن قيادة القاعدة المركزية لم توافق على إعلان تشكيل جبهة فتح الشام، وأن تنظيم القاعدة سوف يعود إلى العمل في سوريا في أقرب وقت باسم مختلف وهيكلية جديدة، ريثما تكتمل المشاورات ويحين الوقت المناسب، وقد لعبت الشخصيات القيادية الأردنية دوراً بارزاً في الدعوة والتحريض للانشقاق عن النصرة وتأسيس مكون جديد للقاعدة في سوريا، ومن أبرز هذه الشخصيات القيادية الناشطة، كل من: سامي العريدي، وإياد الطوباسي، وبلال خريسات، وأبو القسام الأردني، وخلاد المهندس[1].

عمل الجهاز الأمني للهيئة على مراقبة وتتبع نشاط القيادات المرتبطة بالقاعدة، للحيلولة دون حصول تمرد كبير، إلى حد توقيف زوجة وأبناء القيادي

(1) خلاد المهندس: واسمه الحقيقي ساري شهاب أردني الجنسية، نشط جهاديا في أفغانستان قبل عشرين عاما ثم العراق وأخيرا سوريا، لا تتوفر معطيات كثيرة حول سيرته الذاتية، لكن الثابت أنه كان ضمن قادة القاعدة الذين وصلوا إلى سوريا في 2015 بموجب صفقة تبادل المعتقلين بين قاعدة اليمن وإيران، يبدو من بيان التعزية بمقتله الذي أصدرته القيادة العامة لتنظيم القاعدة أن خلاد كان يحتل مكانة متميزة في التنظيم حيث وصفه البيان بأنه كان «علما من أعلام الجهاد المخضرمة، وطودا شامخا من أطواد الثبات» وأنه «كان من المساهمين في تطوير الحراك الجهادي، فناهض ببحوثه وأفكاره جيوش الأعداء في ساحات الجهاد المتناثرة»، كان خلاد المهندس يكتب في قناته على التيليغرام ويوقع منشوراته باسم «الأمير المنسي». لعب دورا مهما في تأسيس تنظيم حراس الدين وكان من بين القادة الذين اعتقلتهم هيئة تحرير الشام في حملتها ضد الشخصيات الموالية للقاعدة. قتل في 22/ 08/ 2019 إثر انفجار عبوة ناسفة استهدفت سيارته في مدينة إدلب.

إياد الطوباسي (أبو جليبيب الأردني)[1]، عن طريق حاجز أمني تابع لهيئة تحرير الشام، وذلك في 18 إبريل/ نيسان 2017، بحجة معرفة مكان تواجده، لكنها كانت رسالة واضحة تشير إلى المدى الذي يمكن أن تذهب إليه الهيئة بالتعامل مع رجال القاعدة، حيث قال «أبو جليبيب»، في رسالة بعثها للجولاني: إن أحد عناصر الهيئة، قال لابنه: «إنت ابن الخائن»، موضحاً أن زوجته قالت لأحد أفراد

(1) أبو جليبيب الأردني: واسمه الحقيقي إياد الطوباسي من مواليد عام 1974 بمدينة الزرقاء الأردنية، سافر إلى أفغانستان وانضم إلى معسكرات القاعدة، ثم عاد ودخل إلى العراق وانضم إلى صفوف تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بزعامة أبي مصعب الزرقاوي، توطدت علاقته بالزرقاوي الذي تجمعه به أيضا علاقة مصاهرة. بقي في العراق حتى اندلاع الثورة السورية في 2011، وصل إلى سوريا قادما من العراق في نفس السنة وذهب إلى منطقة درعا ليساهم في تأسيس الخلايا الأولى لجبهة النصرة ويتولى إمارتها هناك. وغادر درعا متوجها إلى مدينة إدلب مع كبار قادة جبهة النصرة كأبي مارية القحطاني ومظهر الويس وسامي العريدي وأبو محمد شحيل وغيرهم، في الشمال عينه الجولاني أميرا على منطقة الحدود والساحل، لكن ما لبث أن ترك منصبه وقرر العودة إلى درعا في الجنوب، لكن قيادة الجبهة رفضت بشكل قاطع السماح له بالعودة إلى هناك واعترضت طريقه أكثر من مرة. وبعد الإعلان عن تأسيس جبهة فتح الشام رفض أبو جليبيب الخطوة وأعلن عن ولائه لتنظيم القاعدة، اعتقلته هيئة تحرير الشام في 2017 ضمن من اعتقلتهم من الشخصيات التي كانت تسعى لتأسيس فرع جديد للقاعدة في سوريا. شغل منصبا قياديا في تنظيم حرّاس الدين بعد تأسيسه، في 29/ 12/ 2018. لقي مصرعه في ظروف غامضة هو ومجموعة من رفاقه في درعا، ونعاه تنظيم حراس الدين في بيان رسمي، وقال بأن أبا جليبيب ورفاقه «ارتقوا إلى ربهم وهم مقبلون عازمون على إعادة جذوة الجهاد إلى أرض حوران المباركة، مهد هذا الجهاد المبارك».

الهيئة: «ألسنا إخوانكم؟ ألسنا أعراضكم؟ ألسنا إخوة في المنهج؟»، فقال لها «كلا لسنا إخوة في المنهج» [1].

تلخص عبارة «كلا لسنا إخوة في المنهج»، المدى الذي بلغه الخلاف داخل الهيئة بين الراديكاليين والبراغماتيين، ومع انقطاع التواصل مع قيادة القاعدة المركزية وزعيمها الظواهري، كان التواصل مع قيادة القاعدة الموجودة في إيران ممثلة بسيف العدل وأبو محمد المصري، ومن الجلي أن قيادة القاعدة لم تعد تتعامل مع الهيئة كفرع سوري للقاعدة، ولهذا شرعت بمحاولة إعادة بناء فرع جديد يمثلها في سوريا، وتشير وثيقة صادرة عن هيئة تحرير الشام أن أبا القسام الأردني بعث برسالة إلى سيف العدل، يكشف فيها أنه باشر إعادة تشكيل فرع جديد للقاعدة، وأنه استطاع إقناع حوالي 200 عنصر بالدخول في مشروعه إضافة إلى قاطع الملاحم في الهيئة، وأنه ينتظر الوقت المناسب للإعلان عن التشكيل الجديد، وأنه يركز جهوده على العناصر والمجموعات التي كانت على خلاف مع الهيئة أو قامت هذه الأخيرة بفصلها أو قتالها، كجماعة لواء الأقصى وغيرها، وتشير الوثيقة إلى أن سامي العريدي، وإياد الطوباسي، وبلال خريسات، شرعوا ببث دعاية أن الهيئة انحرفت عن المنهج للتخلص من تهمة الإرهاب، وتواصلت مع جهات ودول كافرة ومعادية للإسلام [2].

---

(1) انظر: أبو جليبيب الأردني للجولاني: هكذا أساءت تحرير الشام لزوجتي، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/wtau327f

(2) انظر: لماذا أقدمت هيئة تحرير الشام على خطوة التوقيف الأخيرة لبعض الإخوة، وثيقة نشرها الإعلام الرديف التابع لهيئة تحرير الشام، على الرابط:

https://tinyurl.com/ap6hf3ab

للحيلولة دون تشكيل فرع جديد للقاعدة في سوريا أصدرت الهيئة تعميماً بتاريخ 27 يوليو/ تموز 2017، «يمنع تشكيل أي فصيل جديد في الشمال المحرر تحت أي مسمّى»، وبررت قرارها أنه جاء «حرصاً من قيادة هيئة تحرير الشام في الحفاظ على الساحة من التشرذم ودفعاً للوصول إلى مشروع جامع يحفظ الثورة وأهلها»، وتوضح قرارات الهيئة مدى هيمنتها وسيطرتها وتفردها في شمال غرب سوريا وخصوصاً إدلب، وقد نبّه التعميم إلى منع خروج أي مقاتل بسلاحه بعد انشقاقه عن فصيله بما فيها المنشقين عن الهيئة في إشارة واضحة للموالين للقاعدة، حيث جاء «أي فرد أو مجموعة تنشق عن أي فصيل من الفصائل الموجودة في الساحة الحالية بما فيها هيئة تحرير الشام يخرج بدون سلاح»[1].

وصلت الأزمة إلى مستويات حادة من الغليان بعد أن فقدت القيادة المركزية للقاعدة السيطرة على فرعها السوري جبهة النصرة، بعد إعلان تحولها إلى هيئة تحرير الشام، والذي سمع عنه أبو الخير المصري من خلال الإعلام، حسب العريدي وصالح الحموي، وإذا كان التحول إلى جبهة فتح الشام خطوة شكلية إعلامية بإعلان فك الارتباط بالقاعدة مع بقاء البيعة سراً، أدى إلى اختلاف شرعية الخطوة بعد مشاورات طويلة وشاقة وانقسام مجلس الشورى، فإن خطوة التحول إلى هيئة تحرير الشام، تمت دون استشارة القاعدة المركزية، ودون استشارة أعضائها ومناصريها في سوريا، وهو ما أدى لاستقالة سامي العريدي وكافة القيادات المرتبطة بالقاعدة، وقد وصف العريدي ما فعله أبو محمد الجولاني بما

(1) انظر: «هيئة تحرير الشام» تستكمل سيطرتها على إدلب بعد طرد خصمها «أحرار الشام»، صحيفة القدس العربي، على الرابط:

https://tinyurl.com/26s3dncj

فعله من قبل أبو بكر البغدادي، حيث تصاعدت الحرب الكلامية بصورة غير مسبوقة، وتفاقم الخلاف وكثرت الانشقاقات، وقدم هاشم الشيخ قائد الهيئة، والذي كانت قيادته صورية أصلاً، استقالته وانفصاله عن الهيئة في 1 تشرين أول/ أكتوبر 2017، وعاد الجولاني إلى قيادة الهيئة دون واجهة شكلية.

5. تفريخات الجناح القاعدي: أنصار الفرقان وجيش البادية

في ذروة الصراع بين القاعدة وفرعها السوري، أُعلن عن تشكيل جماعة جهادية جديدة تحت مسمى «أنصار الفرقان في بلاد الشام» بتاريخ 9 تشرين الأول/ أكتوبر2017، وقالت أنها تشكّلت من مجموعات من المقاتلين السوريين والأجانب من مختلف الفصائل الجهادية في سوريا، والحقيقة أن الجماعة التي ظهرت واختفت بسرعة كانت أحد ابتكارات تنظيم القاعدة، وقد تمسكت أنصار الفرقان في بيانها الوحيد بالأهداف الجديدة للقاعدة في سوريا بشن حرب عصابات إلى جانب التركيز على استهداف الغرب، وعرّفت الجماعة عن نفسها بأنها «كيان سني جهادي مؤلف من مهاجرين وأنصار ممن خاضوا غالبية المعارك في سوريا وعاينوا جميع الفئات والجماعات المقاتلة في سوريا»، وقد أُشيع آنذاك أن حمزة بن لادن يقود الجماعة، بدعم وإشراف من سيف العدل، وبمرجعية سامي العريدي[1].

كان الإعلان عن تأسيس جماعة «أنصار الفرقان في بلاد الشام»، تعبيراً عن مدى الخلاف بين القاعدة وفرعها السوري بقيادة الجولاني، الذي للمفارقة بدأ يسير على خطى الفرع العراقي بقيادة البغدادي بالتمرد على القاعدة والانشقاق،

(1) انظر: حسن أبو هنية، «حراس الدين» وتكيّفات «القاعدة» في سوريا، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/345k837b

وهذه المرة بحجة تطرف وغلو القاعدة، وسرعان ما تحول الخلاف الحاد وتبادل الاتهامات بين الجهاديين في سوريا، إلى شأن جهادي عالمي.

تدخلت أطراف وجهات ورموز جهادية بهدف احتواء الأزمة، وطرحت مبادرات عدة، ومنها مبادرة بعنوان «مبادرة أهل العلم للصلح بين المجاهدين» وعرفت بمبادرة والصلح خير، وصدر بيانها الأول في 25 تشرين أول/ أكتوبر 2017، وحملت توقيع مجموعة من شيوخ التيار الجهادي، وفي مقدمتهم كل من أبي محمد المقدسي وأبي قتادة الفلسطيني وأبي الفضل الحدوشي، وأعرب كل من أبي القسام الأردني وأبي همام السوري، عن موافقتهم على المبادرة، وصدر بيان تأييد من تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، لكن هيئة تحرير الشام التزمت الصمت، ولم تكترث بالمبادرات، وانسحب من المبادرة أبو قتادة الفلسطيني، ورغم تبريره قرار الانسحاب بالالتزام بعدم التدخل في شأن الجماعات في سوريا، إلا أن قراره فُهم منه تأييده لمشروع الهيئة، وقد أصدرت اللجنة المشرفة على المبادرة بياناً عبّرت فيه عن أسفها من عدم تلقي أي رد من هيئة تحرير الشام[1].

من الواضح أنّ هيئة تحرير الشام كانت قد حسمت قرارها بالانشقاق عن القاعدة، بل ومهاجمة قياداتها وأعضائها والتصدي لأي محاولة لإعادة بناء فرع جديد لها في سوريا، إذ لم تكتف الهيئة بإهمال مبادرات الصلح المختلفة، بل ذهبت بعيداً بشن حملة اعتقالات في صفوف القيادات الجهادية المرتبطة بالقاعدة التي رفضت بشدة قرارات فك الارتباط في 27 تشرين ثاني/ نوفمبر 2017، فقد قام الجهاز الأمني، التابع ل«هيئة تحرير الشام» باعتقال مجموعة من القيادات البارزة،

(1) انظر: عبدالغني مزوز، تنظيم حراس الدين: إشكاليات النشأة والتفكيك، مرجع سابق.

ومنهم: سامي العريدي (أبو محمود الشامي)، وإياد الطوباسي (أبو جليبيب)، وسمير حجازي (أبو همام الشامي)، فيما فشل أمنيو الهيئة في اعتقال خالد العاروري (أبو القسام)، واكتفوا بمصادرة محتويات منزله وسرقة مراسلاته مع القاعدة، ووصفت الهيئة المعتقلين في بيان لها بـ«رؤوس الفتنة»، وادعت أنها سعت «لاحتواء الموقف عبر الحوار والنقاش.. دون جدوى»، وأكدت أن قضيتهم ستحال إلى القضاء[1].

الصدام لم يتوقف على ذلك فقط، فقد بدأت بعض الأصوات من هيئة تحرير الشام تنتقد الظواهري شخصياً، وشنّت القاعدة حملة إعلامية ضد الجولاني وتحوّل في نظر القاعدة من «الشيخ الفاضل» و«القائد المظفّر» و«الحكيم» إلى ناكث للعهد وغادر، وقد ردّ الجولاني بتصعيد إعلامي مماثل عبر عدد من شيوخ وقادة الهيئة، فقد أتّهم الغزّي - وهو أحد شرعيي الهيئة- فرع القاعدة في الصومال بالانحراف وارتكاب الجرائم.

ارتفعت وتيرة الهجمة الإعلامية من قيادات الهيئة على القاعدة وزعيمها، فوصف أبو الحارث المصري -وهو أحد شرعيي الهيئة- الظواهري في مقال له بـ«الأمير المسردب»، فيما شكّك عبدالرحيم عطّون، ويمثّل شخصية بارزة إلى جوار الجولاني بحكمة توجيهات الظواهري، واتهم مسؤولي الارتباط في القاعدة بخيانة الأمانة وتحريف الرسائل؛ فتحوّل الظواهري بين ليلة وضحاها لدى الجولاني والنصرة من «حكيم الأمة» إلى «سفيهٍ، وأميرِ مسردب»، وبحسب القيادي المعروف السابق بالنصرة صالح الحموي فإن الجولاني أراد إيصال

(1) انظر: هيئة تحرير الشام، وللقضاء كلمة الفصل، على الرابط:
https://tinyurl.com/635n9dd

رسالة للخارج أنّه يحارب التطرّف، وأنه قد خلع ثوب الجهاد العالمي، ويمكن التفاهم معه[1].

بعد يوم واحد فقط من اعتقال القيادات المرتبطة بالقاعدة بثت مؤسسة السحاب كلمة صوتية لأيمن الظواهري، بعنوان «فلنقاتلهم بنياناً مرصوصاً»، وهي كلمة كانت مسجلة منذ عدة أشهر بعد تنامي الخلاف بين القاعدة والفرع السوري، وأرجئ بثها في محاولة للإصلاح ورأب الصدع، وقد هاجم الظواهري «هيئة تحرير الشام»، وأميرها «الجولاني»، واتهمه بـ «نكث العهد»، مضيفاً أن ما فعله بعد فك الارتباط بالقاعدة العام الماضي و«إنشاء كيان جديد فقط زاد من الخلافات». وأعلن الظواهري عن وجود تنظيم للقاعدة في سوريا، وقال: إن هيئة تحرير الشام حاربت كل من يظهر ارتباطه بالقاعدة، واعتقلت نساءهم، وحققت مع أطفالهم، وأضاف أنه منح الهيئة مهلة لأكثر من سنة من أجل إصلاح الأوضاع، إلا أن الأخيرة تجاهلت مطالبه، وشدد الظواهري على رفضه التخلي عن «جهاد الأمة»، مبيناً أنه لا يقبل بما تقوم به هيئة تحرير الشام بتحويل مشروعها إلى مشروع محلي فقط، وأكد على أنه لم يقبل بحل بيعة «جبهة النصرة»، ووضع الظواهري خيارين لإنهاء فكرة إعادة القاعدة إلى سوريا، وهي اتحاد جميع «المجاهدين»، وقيام حكومة إسلامية، وفق وصفه[2].

---

(1) انظر: مزمجر الشام، القاعدة في سوريا.. الولادة الثانية، موقع على بصيرة، على الرابط:
https://tinyurl.com/yvxfbr4j

(2) انظر: أيمن الظواهري، فلنقاتلهم بنيانا مرصوصا، مؤسسة السحاب، على الرابط:
https://tinyurl.com/2hzt3wyp

أدت كلمة الظواهري -التي أعقبت حملات الاعتقال التي نفّذتها الهيئة بحق رموز وقيادات القاعدة في سوريا- إلى نتائج عملية واضحة، وتحولت التطورات إلى موجة سخط عارمة في صفوف «هيئة تحرير الشام»، وقادت إلى انشقاقات واسعة على مستوى القادة والتشكيلات داخلها، ومن أبرز تلك الانشقاقات: «جيش الملاحم»، و«جيش البادية»، و«قاطع البادية»، و«أنصار الفرقان»، و«جيش النخبة»، كما أسفرت عن انشقاق عدد من القيادات منهم: أبو المقداد الأردني، وأبو القسّام، وحسين الكردي، وعبدالرحمن الشيشاني، وأبو بصير البريطاني، وأبو مالك التركماني، وكان قد انشق سابقًا أيضًا: أبو أنس السعودي، وأبو مختار التركي، وأبو الهمام السوري، إضافة إلى عدد من القيادات العسكرية والميدانية، ففي 5 كانون أول/ ديسمبر 2017، ظهرت على تطبيق التيليغرام قناة بعنوان «جيش البادية» وقعت أول منشوراتها مستخدمة وسم: «قاعدة الجهاد»، وهي المرة الأولى التي سيُعلن فيها إعلامياً عن انشقاق مجموعة مسلحة عن هيئة تحرير الشام ومبايعتها لتنظيم القاعدة، وفي اليوم التالي ستنشر اللجنة الإعلامية لجيش البادية مقطعها المرئي الأول بعنوان «ركب الشهداء»، وفي 11 كانون أول/ ديسمبر 2017، رفض قائد جيش البادية قرار إقالته الصادر عن قيادة هيئة تحرير الشام، وأصدرت اللجنة الإعلامية لجيش البادية مجموعة أخرى من المقاطع المرئية والصور الثابتة التي تظهر جانباً من نشاطات ومواقف الجيش مثل: المقطع التعريفي بجيش البادية، ومعسكر أبو تراب الحموي، ومعارك الجيش في ريف إدلب، وموقفه من صفقة القرن وغيرها.

لاحقاً في 23 كانون أول/ ديسمبر 2017 ستظهر قناة على برنامج التيليغرام باسم «جيش الملاحم»، وستنشر مجموعة من الصور حول ما أسمته

«رباط جيش الملاحم في ريف حماة الشمالي»، وكان أمير جيش الملاحم أبو عبدالرحمن المكي قد أصدر بياناً اعترف فيه أنه كان على تواصل مع سامي العريدي وأبي القسام الأردني وأنه طلب رأيهما في الانشقاق من هيئة تحرير الشام[1].

لقد دفع حجم الانشقاقات السابقة وتهديد قيادات أخرى بالانشقاق عن الهيئة الجولاني إلى إطلاق سراح قيادات القاعدة المعتقلين، والاستجابة لمبادرة «والصلح خير» التي تمّ تشكيلها لحل الخلاف بين الهيئة والقاعدة، وكان من أبرز أعضاء تلك المبادرة: أبو قتادة الألباني، وأبو عبدالكريم المصري، وأبو الهمام السوري، إضافةً إلى أبي مالك التلّي كممثل عن الجولاني في المحادثات، حيث اتفق الجانبان على وقف التصعيد الميداني بينهما، وعدم سعي القاعدة لأخذ بيعات جديدة من عناصر «هيئة تحرير الشام»؛ لوقف النزيف الحاصل لصالح القاعدة، كما قدّم الجولاني مبلغًا جيّدًا من المال لقادة القاعدة في سبيل إنفاذ هذا البند[2].

في هذا السياق حاولت هيئة تحرير الشام وقف نزيف انشقاق المقاتلين الأجانب لصالح القاعدة، والتقليل من حجمه وأهميته، حيث أصدر بعض المهاجرين داخل الهيئة بياناً بعنوان «وفاء لأهلنا في الشام» موقع من عشرات المسؤولين والعناصر وقادة التشكيلات العسكرية من المهاجرين داخل الهيئة، وهو عبارة عن رسالة مفتوحة موجهة إلى أيمن الظواهري، يستغربون ما جاء في كلمته، وأن «الصورة التي وصلتكم بعيدة عن الواقع الذي نراه بأعيننا ونعيشه بأنفسنا»

(1) انظر: عبدالغني مزوز، تنظيم حراس الدين: إشكاليات النشأة والتفكيك، مرجع سابق.
(2) انظر: مزمجر الشام، القاعدة في سوريا.. الولادة الثانية، مرجع سابق.

وأضافوا أن «جبهة النصرة ثم جبهة فتح الشام ثم هيئة تحرير الشام لم نر منهم إلا الخير والفضل والوفاء والإعانة»[1].

في خضم التطورات المتلاحقة خلال النصف الثاني من عام 2017 كانت قيادة القاعدة المركزية خارج سورية قد توصلت إلى قناعة باستحالة استعادة هيئة تحرير الشام إلى حضن القاعدة، ولم تعُد تنظر إلى الهيئة كأحد فروعها، وباشرت بتأسيس فرع جديد من الأشخاص والكيانات التي احتفظت بولائها للقاعدة، حيث نشرت مؤسسة «السحاب» التابعة للقاعدة بياناً عن القيادة العامة لتنظيم القاعدة في 7 كانون ثاني/ يناير 2018، بعنوان «وكان حقًا علينا نصر المؤمنين»، خاطبت فيه عناصرها المنتشرة في أنحاء العالم، وخصت من هم على أرض «شام الرباط» في إشارة إلى سوريا، ونقل البيان على لسان زعيم التنظيم أيمن الظواهري قوله «أطلب من إخواني جنود قاعدة الجهاد في الشام أن يتعاونوا مع كل المجاهدين الصادقين، وأن يسعوا في جمع الشمل ورأب الصدع.. ويبادروا إلى خدمة المجاهدين والمهاجرين والمستضعفين وسائر المسلمين»[2]، وتتابعت رسائل القاعدة حول قاعدة الشام من خلال نشرة «النفير»، ففي 19 شباط/ فبراير 2018 دعت «الباحثين المخلصين على تشكيل مجالس وهيئات لتسوية الخلافات بين الجهاديين في سوريا»، وفي 20 شباط/ فبراير، تدخل الظواهري بكل ثقله داعياً من جديد «المجاهدين للتوحد وشن حرب عصابات ضد أعدائهم»[3].

---

(1) انظر: بيان من مجموعة من المهاجرين في الشام، على الرابط:
https://tinyurl.com/xywxafnz

(2) انظر: بيان، وكان حقًا علينا نصر المؤمنين، قاعدة الجهاد – القيادة العامة، على الرابط:
https://tinyurl.com/9njnmxud

(3) انظر: نشرة النفير، مؤسسة السحاب الإعلامية، على الرابط:
https://tinyurl.com/ydm4frbj

هكذا سوف تتكرس القطيعة بين القاعدة والهيئة، لتمضي هيئة تحرير الشام بمشروعها الشعبوي الخاص من خلال إستراتيجية تشمل «البراغماتية المحسوبة»، و«الصبر الاستراتيجي»، و«النزعة المحلية»، حسب تشارلز ليستر، فقد سعت جبهة النصرة إلى أن تصبح جزءًا لا يتجزأ من الثورة السورية، وكان هدفها النهائي هو التسلل للسيطرة على الثورة، وتحقيقاً لهذه الغاية، حاولت ترسيخ نفسها كزعيم محتمل لدولة إسلامية شاملة تمثيلية، بينما بقي الموقف النخبوي التقليدي للقاعدة ثابتًا في مكانه[1]، ففي نسختها الأخيرة اتخذت «هيئة تحرير الشام» إستراتيجية مختلفة تمامًا في الحوكمة وتعاملها مع الأطراف الأخرى، تعتمد على السعي لفرض الهيمنة على التمرد السوري، بالاعتماد على أربعة عناصر مختلفة: قيادة سياسية أكثر فعالية، تنظيمًا عسكريًا أكثر تماسكًا، حوكمة فعالة، واستقلالًا عن الداعمين بمنعهم من التدخل المباشر، دون القطيعة معهم. هذا النهج يتعارض مع المسعى السابق لجبهة النصرة أو جبهة فتح الشام، عندما كانت أكثر قابلية للتنازل أمام الفصائل الأخرى، والتي سمحت بها للمجالس المحلية بالعمل بشكل مستقل عن فرعها «الإدارة العامة للخدمات» التي عمل بعضها تحت «الحكومة المؤقتة»، ومن أبرز الشواهد على منطق «الهيئة» الاستحواذي على قوى الثورة هو سعيها لتوحيد كل المجالس المحلية في منطقة نفوذها بإدلب تحت ما أسمته «الإدارة المدنية للخدمات» التابعة لها، إضافة لسيطرتها على «معبر باب الهوى» الاستراتيجي مع تركيا، والذي سمح لها بتوسيع قدراتها وطموحاتها الإدارية وصولا إلى «حكومة الإنقاذ»، الجناح السياسي والإداري والمدني الناعم للهيئة[2].

(1) انظر: تشارلز ليستر، تأثيرات الأزمة السورية وانكسار القاعدة، مرجع سابق.

(2) انظر: عبيدة عامر، رحلة «الجولاني».. من رحم «داعش» إلى استنساخ «حزب الله»، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/43rykn3w

6. السياسات الدولية والأمريكية تجاه «هيئة تحرير الشام»

بعد أن حسمت «هيئة تحرير الشام» قرارها بالانفصال عن القاعدة، بدأت محاولات الهيئة لتغيير صورتها منذ صيف 2017، بحملة تواصل مع الغرب، فآنذاك جمع لقاء المسؤول السياسي لتحرير الشام زيد عطار مع «جوناثان باول»، الدبلوماسي البريطاني السابق، والذي يتولى إدارة العديد من القنوات الخلفية للتفاوض مع جماعات مصنفة إرهابية على المستوى الدولي أو الوطني[1]، لكن هذا التحوُّل بدأ بصورة أكثر وضوحاً في أواخر عام 2019.

كان عبدالرحيم عطون الشرعي العام لتحرير الشام، قد صرح في 4 أيلول/ سبتمبر 2020، لصحيفة «لو تيمبس» السويسرية بأن هيئة تحرير الشام لا تُشكّل خطراً على الغرب، وأنّ المنطقة التي تسيطر عليها بحاجة للمساعدات الدولية، ودعا إلى رفع الهيئة عن القوائم السوداء[2]، ويُعتبر لقاء الجولاني مع «مجموعة الأزمات الدولية»، في أواخر كانون الثاني/ يناير 2020، ذروة مسار التحوّل، حين شرح وضع الهيئة وعقيدتها، بعد سلسلة من المحاولات لتغيير اسم وصورة التنظيم وتحولاته الداخلية، على حد ما قاله الجولاني، فإن هيئة تحرير الشام تقدم نفسها اليوم بصفتها مجموعة محلية مستقلة عن سلسلة قيادة القاعدة، تتبنى أجندة سورية حصراً، وليست أجندة سلفية جهادية عابرة للبلدان.

---

(1) انظر: لقاء الجولاني بإعلاميين غربيين: الدلالات والأهداف، مركز جسور للدراسات، على الرابط:

https://tinyurl.com/4zyb86j2

(2) انظر: قيادي في «تحرير الشام» يكشف عن اتجاه فصيله للتطبيع.. وتوضيح عاجل من «الهيئة»، الدرر الشامية، على الرابط:

https://tinyurl.com/jtd5fzht

يعترف الجولاني: «كنت قد تأثرت بأوساط السلفية الجهادية التي انبثقت من الرغبة في مقاومة الاحتلال الأميركي للعراق، أما اليوم فإن مرجعيتنا تتمثل في الواقع على الأرض». وطبقاً لما يقوله: فإن الهدف الوحيد لهيئة تحرير الشام هو محاربة النظام في دمشق – «نظام فقد كل شرعيته». ويضيف: إن أيديولوجية هيئة تحرير الشام اليوم تقوم على «الفقه الإسلامي، كأي مجموعة إسلامية سنية محلية أخرى في سورية». وفي سياق طرح الهيئة نفسها كحركة إسلامية محلية معتدلة تحارب الإرهاب، يوضّح: لقد لاحقنا خلايا تنظيم الدولة الإسلامية بشكل منهجي في إدلب، ولهذا السبب لم نشهد هجوماً لتنظيم الدولة في إدلب على مدى الأشهر الستة الماضية. كما أننا احتوينا حُراس الدين، الذين تربطنا بهم علاقة معقدة. وأخذنا منهم تعهدا ألا يستخدموا سورية كنقطة انطلاق للجهاد الخارجي[1].

تعززت طموحات هيئة تحرير الشام بتغيّر تصنيفها كحركة إرهابية، واعتبارها حركة إسلامية محلية معتدلة، بعد إعلان انفصالها عن القاعدة، والالتزام بالشأن المحلي، وقد تفاعل مع تحولات الهيئة شخصيات ومؤسسات عدة، مطالبينها بمزيد من الاعتدال، حيث صرح المبعوث الأمريكي السابق إلى سوريا جيمس جيفري أن إخراج الهيئة من قوائم الإرهاب يتطلب شروطاً ومعايير لم تنجح «هيئة تحرير الشام» في تلبيتها، وهو ما أوحى بأن تلبية الهيئة لتلك الشروط سيؤدي إلى إزالة اسمها من قوائم الإرهاب، فقد أدلى جيفري بتصريح في 5 شباط/ فبراير 2020، أوضح خلاله أن «الهيئة ركزت على محاربة نظام الأسد، كما

(1) انظر: العامل الجهادي في إدلب السورية: حديث مع أبو محمد الجولاني، مجموعة الأزمات الدولية بالتعاون مع مركز الحوار الإنساني في جنيف، على الرابط:
https://tinyurl.com/yhuyh26r

أعلنت عن نفسها، -ولم نقبل بهذا الادعاء بعد-، بأنها تمثل مجموعة معارضة وطنية تضم مقاتلين وليس إرهابيين، كما أننا لم نشهد لهم مثلاً أي تهديدات على المستوى الدولي منذ زمن»[1].

وقدمت «مجموعة الأزمات الدولية» عدة مقترحات للإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة جو بايدن، لتصحيح سياسة واشنطن الخارجية المفرطة في العسكرة، واعتبرت أن «إدلب هي إحدى الفرص لإعادة تحديد إستراتيجية الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب»، واقترحت توصية للإدارة الأمريكية برفع «هيئة تحرير الشام» من قوائم الإرهاب[2].

---

(1) انظر: جيفري يشرح سياسة بلاده في سورية ويقدم وصفاً مفاجئاً لهيئة «تحرير الشام»، الموقع الإلكتروني لتلفزيون سوريا، على الرابط التالي:

https://tinyurl.com/4a72j658

(2) ذكرت مجموعة الأزمات الدولية، في تقريرها الذي صدر في 3 شباط/ فبراير 2020، أنه «إذا كانت إدارة بايدن تتطلع إلى تصحيح سياسة واشنطن الخارجية المفرطة في العسكرة، فإن إحدى الفرص لإعادة تحديد إستراتيجية الولايات المتحدة لمكافحة الإرهاب تكمن في إدلب»، واعتبر التقرير أن التسمية «الإرهابية» التي أُلصقت بـ«أقوى جماعة متمردة في إدلب» تقوض وقفًا حاسمًا لإطلاق النار، وتغلق المسارات المحتملة لتجنب مواجهة عسكرية، كما تعكس فجوة في السياسة الغربية». وأضاف التقرير، إن التغييرات التي مرت بها «الهيئة»، كانفصالها عن تنظيم «القاعدة»، وسعيها للدخول إلى مجال المشاركة السياسية في مستقبل سوريا، يجب أن تفتح، من الناحية النظرية، الفرص لتجنب تجدد العنف في المنطقة. لكن من الناحية العملية، فإن استمرار تصنيف «هيئة تحرير الشام» منظمة «إرهابية» (كما حددتها الولايات المتحدة وروسيا ومجلس الأمن التابع للأمم المتحدة وتركيا) يمثل عقبة رئيسة، وله تأثير على الدعم الغربي لتوفير الخدمات الأساسية في إدلب، ما يؤدي إلى تفاقم الأزمة الإنسانية. كما يحول دون إجراء مناقشات مع «هيئة تحرير الشام» نفسها حول سلوكها ومستقبل المنطقة التي تسيطر عليها، حيث تتجنب الدول =

بالرغم من التوصيات العديدة بإعادة النظر بتصنيف هيئة تحرير الشام منظمة إرهابية، فلا تزال الحركة موضوعة على لوائح الإرهاب العالمية، وقد أكدت الخارجية الأمريكية على اعتبار الهيئة منظمة إرهابية، وبررت الخطوة بالقول: «في يناير/ كانون الثاني 2017، أطلقت جبهة النصرة إنشاء منظمة «هيئة تحرير الشام» كوسيلة لتعزيز موقعها في الانتفاضة السورية ولتحقيق المزيد من أهدافها كقاعدة تابعة للقاعدة، ومنذ ذلك الوقت، واصلت المجموعة العمل من خلال الهيئة في السعي لتحقيق هذه الأهداف. وأشار منسق مكافحة الإرهاب، السفير ناثان أ.سيلز، إلى أن «تصنيف اليوم يخدم إخطاراً بأن الولايات المتحدة لا تنخدع بمحاولة هذه القاعدة التابعة لـ «القاعدة» لإعادة تصنيف نفسها. ومهما كان الاسم الذي اختاره «نصره»، فسوف نستمر في إنكاره»، ولفت إلى أن إجراءات اليوم تُخطر جمهور الولايات المتحدة والمجتمع الدولي بأن «هيئة تحرير الشام» هو اسم مستعار لجبهة النصرة[1].

بالرغم من ذلك تستفيد هيئة تحرير الشام من التفاهمات التركية الروسية في تعزيز سيطرتها داخل إدلب، وأحكمت قبضتها عليها بالكامل في كانون الثاني/ يناير 2019، حيث استثمر الفصيل في مشروع حكم إسلامي محلي. ويعبّر

= الغربية والأمم المتحدة الاتصال تمامًا، بينما تحصر تركيا نفسها في الحد الأدنى المطلوب لتسهيل وجودها العسكري في إدلب. انظر: في إدلب السورية، فرصة واشنطن لإعادة تصوّر مكافحة الإرهاب، مجموعة الأزمات الدولية، على الرابط:

https://tinyurl.com/3s8kerme

(1) انظر: حسن أبو هنيّة، لماذا صنفت أمريكا «هيئة تحرير الشام» منظمة إرهابية؟ عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/whfewtwp

كبار شخصياتها علنًا عن الالتزام بـ«الجهاد»، لكنهم عملياً أظهروا بعض البراغماتية والمرونة.

لقد توصلت هيئة تحرير الشام بشكل متكرر إلى تسويات مع تركيا تخالف المسلّمات الجهادية بينما تضمن حتى الآن بقاء التنظيم. ولا يبدو أن الهجوم العسكري على إدلب وشيك الحدوث؛ إذ إن هجوماً للنظام مدعوماً من روسيا سيكون مكلفاً جداً عسكرياً؛ وبالنظر إلى الكلفة الإنسانية المرتفعة، سيكون ذا كلفة سياسية مرتفعة أيضاً. بدلاً من ذلك، تبدو روسيا ميالة لإعطاء الأولوية لعلاقتها مع تركيا والمحافظة على العملية السياسية في سورية[1].

لا تزال أجزاء واسعة من محافظة إدلب ومحيطها في شمال غرب سوريا المعقل الأبرز الأخير لفصائل جهادية وأخرى معارضة للنظام، حيث تحظى محافظة إدلب بأهمية إستراتيجية، فهي تحاذي تركيا التي باتت تتمتع بنفوذ كبير داخل سوريا بعد دخولها على خط النزاع من منطلق دعم المعارضة، من جهة، وتحاذي محافظة اللاذقية، معقل الطائفة العلوية التي ينتمي إليها الرئيس بشار الأسد من جهة ثانية.

وتقع مدينة إدلب، مركز المحافظة، على مقربة من طريق حلب – دمشق الدولي الذي شكل لسنوات هدفاً لقوات النظام إلى أن تمكنت إثر هجمات عدة من استعادته كاملاً، وتقلصت مناطق سيطرة هيئة تحرير الشام إلى أقل من نصف مساحة إدلب، وحسب فابريس بالانش فإن الهيئة والفصائل الأخرى تسيطر اليوم

(1) انظر: أفضل الخيارات السيئة لإدلب السورية، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم 197، 14 آذار/ مارس 2019، على الرابط:
https://tinyurl.com/cc89vz4c

على ثلاثة آلاف كيلومتر مربع، مقارنة مع تسعة آلاف كيلومتر مربع عام 2017، ومنذ الهجوم الأخير، يسري في محافظة إدلب اتفاق تهدئة برعاية روسية - تركية، وتتحكّم هيئة تحرير الشام بتلك المناطق، وتتولى من خلال مؤسسات مدنية واجهتها «حكومة الإنقاذ»، وأجهزة أمنية وقضائية خاصة بها، تنظيم شؤون نحو ثلاثة ملايين نسمة، غالبيتهم من النازحين. وتجني الهيئة عائدات من حركة البضائع عبر المعابر مع كل من مناطق سيطرة النظام وتركيا. ويبلغ عديد مقاتليها نحو عشرة آلاف، وفق تقرير للأمم المتحدة يشير إلى أن الهيئة تحتكر توزيع الوقود، وتبلغ قيمة أرباحها نحو «مليون دولار شهرياً». وتتحكم الهيئة أيضاً بـ «توزيع المساعدات الإنسانية» و«تصادر جزءًا منها لدعم شبكاتها الزبائنية»[1].



(1) انظر: هل تتحول إدلب السورية إلى قطاع غزة جديد»؟ يورونيوز، على الرابط:
https://tinyurl.com/3nnrvhxd

الفصل السابع

«حراس الدين» .. رهان القاعدة الأخير في الشام

ثبت لدينا ظلم وظلمات أمني «هيئة تحرير الشام»، بل وتعاونهم مع الاستخبارات التركية في تفاصيل تحقيقاتهم مع المسلمين»، ومن أعان الاستخبارات التركية على المسلمين، فقد ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام المعروفة.

أبو محمد المقدسي

منظِّر السلفية الجهادية الأردني

جاء الإعلان الرسمي عن تأسيس تنظيم «حراس الدين» في 27 شباط/ فبراير 2018، من خلال بيان بعنوان «أنقذوا فسطاط المسلمين»، دعا فيه إلى «نصرة غوطة دمشق الشرقية»، التي كانت تتعرض لحصار خانق من قوات النظام السوري، إذ توعد البيان بـ «شن عمليات عسكرية ضد قوات النظام السوري»، ودعا الفصائل العسكرية في الشمال السوري التي دخلت في نزاع مسلح إلى «وقف الاقتتال فيما بينها»، وطالب «هيئة تحرير الشام» و«جبهة تحرير سوريا» بوقف الاقتتال بينهما، والتفرغ لقتال النظام، وتوحيد جهودهما لـ«تخفيف الضغط عن الغوطة الشرقية»[1].

عرَّف حراس الدين عن نفسه، عبر حسابه على «التيليغرام»، بأنه: «تنظيم إسلامي من رحم الثورة السورية المباركة، يسعى لنصرة المظلومين وبسط العدل بين المسلمين، والإسلام هو مصدر التشريع»، من دون الإشارة إلى ارتباطه وصلاته بتنظيم القاعدة.

(1) انظر: أنقذوا فسطاط المسلمين، بيان رقم 1، تنظيم حراس الدين، على الرابط:
https://tinyurl.com/yfc48u6r

1. البنية التنظيمية: جناح القاعدة والدور الأردني

تكوّن تنظيم الحراس من القيادات والشخصيات الجهادية المعولمة المرتبطة بالقاعدة، التي رفضت قرار فك ارتباط النصرة عن القاعدة بعد الإعلان عن تأسيس «جبهة فتح الشام»، ثم الإعلان عن تشكيل «هيئة تحرير الشام»، ومن مجموعة من الفصائل والتشكيلات الجهادية المقربة من القاعدة، فقد اندمجت بداية سبع مجموعات جهادية في إدلب ومحيطها، وشكّلت النواة الأولى للتنظيم، وهي: «جيش الملاحم»، و«جيش الساحل» و«جيش البادية» و«سرايا الساحل» و«سرايا كابل» و«جند الشريعة» و«جند الأقصى».

ثم انضمت إلى التنظيم تباعاً تشكيلات جهادية صغيرة خلال فترة وجيزة حيث انضمّ 32 فصيلاً إلى التنظيم، ومنها: «كتيبة أبو بكر الصديق»، و«كتيبة أبو عبيدة ابن الجراح»، و«كتيبة البتار»، و«سرايا كابول»، و«سرايا الغرباء»، و«سرية عبدالرحمن بن عوف»، و«سرايا الغوطة»، و«سرايا دوما»، و«كتائب جند الشام»، و«كتائب فرسان الإيمان»، و«قوات النخبة»، و«مجموعة عبدالله عزام»، و« كتيبة أسود التوحيد»، و«قاطع البادية»، و«أنصار الفرقان»، وتتميّز هذه الفصائل بوجود روابط تنظيمية أو صلات أيديولوجية بتنظيم القاعدة، وهي مكونات انشق معظمها عن «هيئة تحرير الشام».

تولّى قيادة التنظيم عند تأسيسه سمير حجازي (أبو همّام الشامي)، بينما تولى قيادته العسكرية خالد العاروري (أبو القسام الأردني)، والمسؤول الشرعي سامي العريدي (أبو محمود الشام)، وتكوّن مجلس الشورى من: بلال خريسات (أبو خديجة الأردني)، وإياد الطوباسي (أبو جليبيب الأردني). وأبو عبدالكريم المصري، وأبو عبدالرحمن المكي، وفرج أحمد النعنع، كما يضم التنظيم العديد من

الشخصيات الجهادية؛ مثل أبو بصير البريطاني وأبو أنس السعودي وحسين الكردي، وبلال الصانع، وساري شهاب (خلاد المهندس)، وأبو البراء التونسي، وأبو عمر التونسي، وأبو دجانة التونسي، وأبو يحيى الجزائري، وأبو ذر المصري، وأسماء أخرى معروفة في المشهد الجهادي السوري بولائها لتنظيم القاعدة[1].

على الرغم من وجود روابط تنظيمية وصلات أيديولوجية للأشخاص والكيانات التي شكّلت تنظيم حراس الدين، ويتبنى أطروحات وأفكار ومواقف المدرسة السلفية الجهادية، إلا أن التنظيم لم يكن يتوافر على تجانس أيديولوجي صلب، ويفتقر إلى هيكل تنظيمي مركزي متماسك، ولا يمتلك موارد مالية مستدامة، ما سيؤدي لاحقاً إلى بروز خلافات وانشقاقات، إذ تتوزع بنيته التنظيمية

(1) ثمة معلومات من مصادر غربية استخبارية وصحفية تشير إلى أن القيادة المركزية للقاعدة عيّنت أبو القسام الأردني، كقائد فعلي لحراس الدين، وأن أبو همام الشامي هو مجرد واجهة صوريّة لكونه سوري الجنسية، لكن مصادر جهادية متعددة تنفي ذلك بشدة، فبحسب كولين كلارك وتشارلز ليستر، ثمة مصدران يخبراننا بأن حجازي قد استُبدِل مؤخراً كزعيم لتنظيم «حراس الدين» بشخصية قيادية أخرى في «القاعدة»: خالد العاروري، المعروف أيضاً باسم أبو القسام الأردني، الذي تقول المصادر نفسها إن الظواهري عيّنه مؤخراً ليكون واحداً من نواب زعيم «القاعدة» الثلاثة في العالم، إلى جانب سيف العدل وعبد الله أحمد عبدالله، المعروف أيضاً باسم أبو محمد المصري، وكلاهما يتواجدان في إيران، والعاروري واحد من اثنين على الأقل من أعضاء تنظيم «حراس الدين» الذين يشغلون مقاعد في مجلس الشورى العالمي البالغ قوامه 12 فرداً، والذين ما تزال الغالبية العظمى منهم في جنوب آسيا. وهذا يؤكد كيف أصبحت سورية الآن بمثابة النواة الرئيسية لاستثمار «القاعدة»، لتحل محل الجبهة المفضلة السابقة للتنظيم في اليمن. انظر: كولين ب. كلارك وتشارلز ليستر، تنظيم القاعدة مستعد لمهاجمتكم مرة أخرى، ترجمة: علاء الدين أبو زينة، مجلة «فورين بوليسي»، صحيفة الغد، على الرابط:
https://tinyurl.com/bumax8zn

إلى مجموعات صغيرة في أجزاء مختلفة من شمال غرب سورية، وتعمل كل مجموعة على اجتذاب المهاجرين (الأجانب) وكذلك المقاتلين الأنصار (المحليين) الذين انشقوا عن «هيئة تحرير الشام».

كانت انطلاقه تنظيم حراس الدين في بداياتها واعدة، إذ شهد التنظيم نمواً كبيراً خلال فترة قصيرة، فقد راهنت قيادة التنظيم المركزي في خراسان، وقيادته الإقليمية في إيران على الفرع السوري للقاعدة لإحياء مشرع القاعدة في بلاد الشام، ووصل العدد الكلي لحراس الدين عند تأسيسه -بحسب الأمم المتحدة- من 1500 إلى 2000، وهي تقديرات قريبة من الواقع ومتطابقة إلى حد كبير مع مصادر متعددة، وقد قدّر صالح الحموي عدد المقاتلين بنحو 1700 عنصر، وقدرهم المرصد السوري بنحو 1800، وقد كانت نسبة الأجانب إلى المحليين متساوية، وفي ذروة صعود التنظيم بداية 2020، تزايدت أعداده، فقد جاء في تقرير صادر عن الأمم المتحدة بتاريخ 6 شباط/ فبراير 2020، أن عدد أفراد «حراس الدين» يتراوح بين 3500 و5000 مقاتل ينشطون في إدلب والمناطق المحيطة بها، منهم 60٪ إلى 70٪ من المقاتلين الأجانب[1]، إذ يضم الحراس مقاتلين من معظم دول الشرق الأوسط، وخصوصاً الأردن والسعودية، ودول شمال إفريقيا، وخصوصاً تونس ومصر والمغرب والجزائر، ولديه مقاتلين من آسيا الوسطى.

لا يمتلك تنظيم حراس الدين أسلحة ثقيلة، فقد صادرتها هيئة تحرير الشام من الفصائل المنشقة التي تشكّل منها حراس الدين، لذلك يعتمد التنظيم في تنفيذ

(1) انظر: ادموند فيتون براون، التهديد المستمر من تنظيمي «الدولة الإسلامية» و«القاعدة»: وجهة نظر الأمم المتحدة، معهد واشنطن، على الرابط:

https://tinyurl.com/eksytr

هجماته على الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، وهو ما سيدعوه إلى التنسيق مع فصائل أخرى بما فيها الهيئة.

يتواجد التنظيم وينتشر بشكل مُكثف وقوي في 14 نقطة (قرية/ بلدة) في مناطق سيطرة المعارضة بإدلب، 14 موقع من أصل 206 موقع تحت سيطرة الجبهة الوطنية أو الهيئة، أي 7٪ من النسبة الكاملة لسيطرة المعارضة، وغالبية تلك المواقع متواجدة في الجنوبي الغربي مما تبقى للمعارضة في المنطقة، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يمكن توصيف تواجدهم في تلك المناطق بالسيطرة، بحكم ديناميات عملهم، فهم يعتمدون على التحرك السريع والانتشار المؤقت في مواقع أخرى ولفترة قصيرة جداً من أجل تحقيق أهداف معينة[1].

عمد التنظيم إلى نسج تحالفات مع تنظيمات سلفية جهادية أخرى تشترك معه برفض اتفاق سوتشي التركي - الروسي، ولها تحفظات على مواقف هيئة تحرير الشام، فقد اندمج تنظيم «حراس الدين» في 28 نيسان/ إبريل 2018، مع جماعة «أنصار التوحيد» في حلف باسم «حلف نصرة الإسلام»، وقد انبثقت جماعة أنصار التوحيد عن بقايا «جند الأقصى»[2]، ونجح «الحراس» باستقطاب فصائل جهادية في إدلب ضمن إطار غرفة عمليات مشتركة باسم «وحرّض المؤمنين»،

(1) انظر: تنظيم حراس الدين النشأة والديناميات والاتجاهات المستقبلية، تقرير، مركز عمران للدراسات الإستراتيجية، على الرابط:

https://tinyurl.com/rmwur5bp

(2) انظر: تشكيل جديد في إدلب تحت مسمى «حلف نصرة الإسلام»، موقع عنب بلدي، على الرابط:

https://tinyurl.com/4cwt4wvn

التي أعلن عن تأسيسها رسميا في 17 تشرين ثاني/ نوفمبر 2018، رغم وجودها قبل ذلك.

تضم الغرفة إلى جانب تنظيم «حراس الدين»، كل من جبهة «أنصار الدين» و«أنصار التوحيد»، و«جماعة أنصار الإسلام»، وأوضح بيان التأسيس أنّ «الهدف من تشكيل هذه الغرفة العسكرية هو هجومي وليس دفاعي فقط، أي أنها ستقوم بأعمال عسكرية على مناطق (نظام الأسد) وحلفائه بهدف تحريرها وإخراج القوات الروسية المحتلة من الأراضي السورية، وتحكيم شريعة الله»، وقد نفذت الغرفة عدد من العمليات ضد قوات النظام في مناطق عدة شمال غرب سوريا[1].

لقد تمكن تنظيم حراس الدين رغم حداثة تأسيسه من شن حوالي 200 هجوم منذ إنشائه حتى بداية 2019، حسب بياناته. وقعت هذه الهجمات في مجموعة متنوعة من المناطق الريفية والبلدات الصغيرة، بما فيها اثنا عشر موقعاً في محافظة حلب، و16 في محافظة حماة، و7 في محافظة إدلب، و15 في محافظة اللاذقية. ومن المثير للاهتمام، أن ثلاثة من هذه الهجمات المزعومة على الأقل نُفذت بالاشتراك مع «هيئة تحرير الشام»، مما يشير إلى أن علاقتهما هي «صديقة – عدائية» أكثر من كونها عدائية بحتة. وقد أشار أبو الليث الحلبي وهو مقاتل في «هيئة تحرير الشام» إلى أن الهيئة هي التي توفر نفقات الغذاء والذخيرة لتنظيم «حراس الدين» بشكل يومي»[2].

(1) انظر: أربعة تشكيلات «جهادية» ترفض اتفاق إدلب وتحاول عرقلته.. تعرف إليها، موقع عنب بلدي، على الرابط:

https://tinyurl.com/n9w5c6m2

(2) انظر: هارون ي. زيلين، «حراس الدين»: جماعة تنظيم «القاعدة» المتغاضى عنها في سوريا، معهد واشنطن، على الرابط:

https://tinyurl.com/hvcy28z7

خلال فترة وجيزة تنامت قدرات الفرع الجديد للقاعدة تنظيم حراس الدين في شمال شرق سوريا، الذي استغل انشغال قوات التحالف الدولي بقيادة واشنطن بمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، وفي أعقاب هزيمة تنظيم الدولة في المنطقة، وطرده من آخر معاقله في «الباغوز» شمال شرق سوريا في آذار/ مارس 2019.

رغم تراجع عمليات حراس الدين خلال عام 2020، نتيجة الهجمات الأمريكية وضغوطات الهيئة، إلا أنه نفذ عملية لافتة مع بداية العام 2021، إذ تعرضت قاعدة روسية جديدة قرب قرية تل السمن، في ريف الرقة الشمالي، لتفجير سيارة مفخخة، في 1 كانون ثاني/ يناير 2021، ونشرت مؤسسة شام الرباط التابعة للحراس أن «سرية من سرايا» التنظيم تمكنت من «الإغارة على وكر للقوات الروسية المحتلة في تل السمن محافظة الرقة»، دون تقديم تفاصيل، وذكرت حسابات مقربة من الحراس ومصادر محلية، أن الهجوم استهدف قاعدة عسكرية وبدأ بتفجير انتحاري باستخدام مركبة مفخخة؛ أعقبه دخول «انغماسيين» إلى القاعدة حيث دارت اشتباكات[1]، وبحسب مصادر محلية فإن المجموعة المهاجمة ضمت 6 أشخاص قُتلوا كلهم خلال الهجوم، حيث فجر انتحاري سيارة مفخخة أمام مدخل القاعدة، وبعد ذلك، حاول 5 من زملائه اقتحام أراضي المنشأة العسكرية الروسية، وحسب بعض المصادر فقد أسفر الحادث عن سقوط 20 شخصاً بين قتيل وجريح، ولم تحصل هذه المعطيات على تأكيد من أي طرف

(1) انظر: لأول مرة.. «حراس الدين» يتبنى مفخخة تضرب قاعدة روسية في الرقة، موقع عنب بلدي، على الرابط:

https://tinyurl.com/fdyrchs

روسي آخر[1]. وبعد مضي نحو شهر على تبني الهجوم من قبل التنظيم، بثت معرفات إعلامية تابعة لتنظيم «حراس الدين»، إصداراً مرئياً قال إنه لهجومه على قاعدة روسية في محافظة الرقة، وأظهر الإصدار مشاهد وكلمات لمنفذي العملية قبيل انطلاقها، وتضمن مشاهد ليلية للانفجارات والاشتباكات.

2. في مصيدة الطيران الأمريكي

بدأت الولايات المتحدة الالتفات أكثر إلى الخطر القاعدي الصاعد في سوريا، إذ يعتقد المسؤولون الأمريكيون أنه إذا ما أعطيت القاعدة الحرية الكافية للتخطيط والاستعداد، ستنفذ حراس الدين هجمات ضد المصالح الأمريكية في الداخل والخارج، وتُعتبر البعثة التي تقودها الولايات المتحدة في شرق سوريا، التي تنطوي على مشاركة كبيرة من الشركاء الدوليين والمحليين، الركن الأساسي في الجهود المستمرة التي يبذلها التحالف الدولي لمحاربة العناصر المتبقية من تنظيم «الدولة الإسلامية» ومنع عودته، كما تدعم القوة الأمريكية في سوريا الجهود الحالية لاستهداف عناصر تنظيم «القاعدة» في سوريا، بمن فيهم أولئك الذين ينوون تنفيذ هجمات تستهدف المصالح الأمريكية، مثل تنظيم «حراس الدين»[2].

---

(1) انظر: صحيفة: موسكو تجنبت التعليق على هجوم «تل السمن» وخبراء يشككون بمسؤولية «حراس الدين»، موقع شبكة الشام، على الرابط:

https://tinyurl.com/su7b5yns

(2) انظر: ماثيو ليفيت، المواءمة بين مكافحة الإرهاب وتنافس القوى العظمى، معهد واشنطن، على الرابط:

https://tinyurl.com/kw9tp6h4

لم تكن هزيمة تنظيم الدولة فرصة القاعدة بإعادة تقديم نفسها الوكيل الحصري للجهادية العالمية، وإعادة بناء القاعدة في سوريا، فقد فسحت هزيمة تنظيم الدولة للولايات المتحدة المجال للالتفات أكثر إلى الفرع الصاعد للقاعدة في سوريا، بعد أن تكاثرت التقارير حول خطر نهج القاعدة ومشروعه الجديد بدمج البعد المحلي بالبعد العالمي في القتال عبر بوابة سوريا، وقال منسق مكافحة الإرهاب في الخارجية الأمريكية، ناثان سيلز، في أيلول/ سبتمبر 2019: «كان تنظيم القاعدة يعمل بإستراتيجية وصبر على مدى السنوات القليلة الماضية، فسمح لتنظيم الدولة بأن يتلقى ثقل جهود مكافحة الإرهاب، في الوقت الذي قام فيه بإعادة تكوين نفسه بصبر»[1].

وحذر تقرير للمنتدى الاقتصادي العالمي من أن تنظيم القاعدة يرغب في الاستفادة من الفرصة التي أتاحتها الحرب الأهلية السورية، لذلك بدأ في نقل أصوله الكبيرة من أفغانستان وباكستان إلى سوريا، وقال «دان كوتس» مدير الاستخبارات الوطنية الأمريكي السابق، في شهادة أمام الكونغرس في آذار/ مارس 2019: إن «أوروبا ستظل عرضة للهجمات الإرهابية، ومن المرجح أن تستمر عناصر تنظيمي داعش والقاعدة في توجيه وتخطيط الهجمات ضد أهداف في أوروبا»[2].

وعلى الرغم أن الولايات المتحدة تمسكّت بوصف هيئة تحرير الشام منظمة إرهابية تابعة للقاعدة، إلا أنها بدت تفرّق بين نهج الهيئة والحراس، إذ أضاف كوتس في شهادته: «أن تنظيم هيئة تحرير الشام وتنظيم حراس الدين يتشاركان في

(1) انظر: إريك شميت، تحذيرات أمريكية من خطر فرع «القاعدة» السورى، مرجع سابق.

(2) انظر: تقرير يحذر من عودة تنظيم القاعدة «بأسلوب جديد»، موقع الحرة، على الرابط:
https://tinyurl.com/fmjkaz48

التاريخ والأيديولوجيا، ولكنهما يختلفان حول السياسة. فقد ركز هيئة تحرير الشام أجندته على سورية، مع عدم العناية بشن هجمات في الخارج. وعلى النقيض من ذلك، قيل إن لدى تنظيم حراس الدين نظرة أكثر عالمية. كان زعيم تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري، هو السلطة المحدِّدة لحراس الدين، وإنما ليس لهيئة تحرير الشام»، ويتماشى هذا التمييز الأخير مع توصيفات الظواهري نفسه لسورية، والتي يعود تاريخها إلى كانون ثاني/ يناير 2018، عندما اعترف للمرة الأولى بأن «هيئة تحرير الشام» هي شيء متميز عن «القاعدة في بلاد الشام»، عندما اجتذبت مجموعة «هيئة تحرير الشام» جل الانتباه العسكري الروسي والسوري اليوم، في حين تمتع أمثال تنظيم «حراس الدين» بالحرية لمتابعة أجندة «القاعدة»، فقد ناقشت شخصيات تنظيم «حراس الدين» بشكل متكرر قيمة ضرب الغرب من سورية[1].

إن عودة ظهور الاهتمام الأمريكي بمكافحة الإرهاب حول أنشطة التنظيم في سوريا كانت جديرة بالملاحظة. ففي 10 أيلول/ سبتمبر 2019، صنفت حكومة الولايات المتحدة تنظيم «حراس الدين» منظمة إرهابية، واعتبرتها فرع القاعدة في سوريا، وخصصت الخارجية الأميركية مكافئة مالية كبيرة قدرها خمسة ملايين دولار لكل من يدلي بمعلومات تؤدي إلى تحديد أماكن ثلاثة من كبار القادة في تنظيم «حراس الدين» المرتبط بتنظيم القاعدة، وهم كل من: أبو عبدالكريم المصري وفاروق السوري وسامي العريدي، وذكر البيان تفاصيل عن الأشخاص المستهدفين وقال: إن أبو عبدالكريم المصري، المعروف أيضا باسم كريم، هو مواطن مصري وكان عضواً في مجلس شورى تنظيم حراس الدين في عام 2018،

(1) انظر: كولين ب. كلارك وتشارلز ليستر، تنظيم القاعدة مستعد لمهاجمتكم مرة أخرى، مرجع سابق.

عمل وسيطاً بين المجموعة وجبهة النصرة، أما فاروق السوري، المعروف أيضاً باسم سمير حجازي وأبو همام الشامي، فهو مواطن سوري قاتل في أفغانستان في التسعينيات وقام بتدريب مقاتلي القاعدة في العراق، وأشار البيان إلى أن سامي العريدي، المعروف باسم أبو محمود الشامي، هو مواطن أردني وكبير مسؤولي الشريعة في حراس الدين وسبق له أن شارك في «مخططات» إرهابية ضد الولايات المتحدة وإسرائيل[1].

على الطرف الآخر؛ فتحت وزارة الدفاع (البنتاغون) خطاً ساخناً مع القادة الروس، للسماح للأمريكيين بالقيام بغارات جوية دون اعتراضها ضد قادة من تنظيم القاعدة ومعسكرات تدريب في حلب وإدلب[2]، وفي الوقت الذي كانت طائرات التحالف تعمل دون كلل على اصطياد وقتل رؤوس التنظيم جواً، كانت قوات الهيئة وأجهزتها الأمنية تشن حملة اعتقالات ومصادرة مقرات براً.

3. «علاقة معقدة» مع هيئة تحرير الشام

وصف العلاقة بالمعقدة بين الهيئة والنصرة أطلقه الجولاني نفسه، وهو تعبير دقيق، لحالة المراوغة والشد والجذب بين الطرفين، والصداقة والعداء في الوقت نفسه، والتوظيف والإقصاء، فضلاً أنّ هذه العلاقة تخضع لمحددات متعددة مرتبطة بالوضع الاستراتيجي لمحافظة إدلب، ومواقف القوى الدولية والإقليمية، بخاصة العلاقة مع الأتراك، وسياقات الحرب على الإرهاب، ومحاولات النصرة

---

(1) انظر: واشنطن تخصص مكافآت للقبض على قيادات «حراس الدين»، موقع قناة الحرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/yfwkyf8y

(2) انظر: إريك شميت، تحذيرات أمريكية من خطر فرع «القاعدة» السوري، مرجع سابق

لتبييض صفحتها مع الغرب، وفي الوقت نفسه استثمار ورقة الجهاديين، في حال انهارت التفاهمات الروسية-التركية.

وظّفت هيئة تحرير الشام الموقف الأمريكي والدولي لممارسة المزيد من الضغوطات على تنظيم حراس الدين، الذي اتهم الهيئة بالتعاون مع الولايات المتحدة وتقديم معلومات استخبارية ثمينة، فقد اتهم «حراس الدين» بعض قيادات «الهيئة» بإرسال مواقع جغرافية لقادتهم الأجانب إلى التحالف الدولي (أمريكا)، بالإضافة إلى اتهام مباشر لـ «أبو محمد الجولاني»، بالتعامل مع الأتراك والأمريكيين، والوشاية بالقيادات الأجنبية لـ «حراس الدين»[1].

توصلت كل من «هيئة تحرير الشام» وتنظيم «حراس الدين»، في 13 كانون أول/ ديسمبر 2019، إلى اتفاق لحل الخلاف بين الطرفين في محافظة إدلب شمالي سوريا. بوساطة من «جماعة أنصار الإسلام»، ونص الاتفاق حينها على إطلاق سراح الموقوفين والمحتجزين من الطرفين، وتشكيل لجنة قضائية مشتركة برضاهما، مع مهلة 24 ساعة للاتفاق على «مرجح النزاع». وشدد الاتفاق على تسليم جميع الموقوفين للجنة المشّكلة، كما أشارت بنود الاتفاق على أن يكون «الشيخ أبي عبدالكريم المصري» المقرب من الهيئة مشرفا على عمل اللجنة وبضمان من «جماعة أنصار الإسلام»، لكن سرعان ما سيشهد الاتفاق انهياراً من خلال جولة جديدة من المداهمات والاعتقالات قامت بها الهيئة ضد الحراس.

لقد مثّل الموقف من تركيا نقطة خلاف جوهرية بين حراس الدين والهيئة، فقد شهدت نهاية عام 2020 ثلاث عمليات ضد القوات التركية، تبنتها فصائل

(1) انظر: تنظيم حراس الدين النشأة والديناميات والاتجاهات المستقبلية، مرجع سابق.

مجهولة، أسفرت عن مقتل وإصابة عدد من الجنود الأتراك، ونفذت فصائل مجهولة أخرى عدة عمليات مطلع 2021، استهدفت الأرتال التركية على طريق مدينة معرة مصرين شمال إدلب، بالإضافة لعمليتي قنص أدت إحداها لمقتل وجرح خمسة جنود أتراك ضمن نقطة القوات التركية المتمركزة على أطراف بلدة باتبو غرب حلب في 17 يناير/كانون الثاني 2021، وكان قد قتل جندي تركي متأثراً بجروحه بعد أن استهدفت مجموعة متطرفة حاجز أبو الزبير بالقرب من بلدة الفريكة غرب إدلب، في 31 يناير، وبحسب باحثين إن هذه العمليات التي تُشن بين الفينة والأخرى ضدّ الدوريات والقوات التركية «تأتي من مجموعات مجهولة التبعية، وليست فصائل أو كتائب مُعلنة»، وأنّ «الفصائل التي تتبنى العمليات، لم تعلن عن نفسها إلا مع استهداف الجنود الأتراك، وكأنها أُنشئت لهذه المسألة بالتحديد»، ويرجح أن «يكون عناصر تنظيم حراس الدين وراء هذه الكتائب التي تستهدف القوات التركية في المنطقة»، نظراً لوجود خلاف عميق عند الحراس مع هيئة تحرير الشام، بشأن قضية إدخال الجيش التركي إلى منطقة خفض التصعيد الرابعة»[1].

أتت العمليات السابقة ضد الوجود التركي في سياق العلاقة المعقدة بين تركيا وهيئة تحرير الشام، والعلاقة المعقدة بين الهيئة وحراس الدين كما وصفها الجولاني في لقاءه مع مجموعة الأزمات، والعلاقة الأكثر تعقيداً بين تركيا وروسيا، فقد شن النظام السوري بدعم من الطيران الروسي، بداية 2020 حملة أدت إلى

(1) انظر: محمد الأحمد، هل يقف «حراس الدين» وراء استهداف الدوريات التركية بإدلب؟ جريدة العربي الجديد، على الرابط:

https://tinyurl.com/2uesap3k

مقتل أكثر من 50 جندياً تركياً، وبعد أسابيع من التصعيد المحموم بين الأطراف المتنازعة، خسرت قوات المعارضة المنطقة الأهم استراتيجياً «سراقب» الواقعة على مفترق الطريقين الدوليين «إم 4» و«إم5»؛ وذلك بعد سيطرة الجيش السوري عليها، بالإضافة إلى «معرة النعمان» و«شير مغار» «وخان شيخون» و«مورك»، ومحاصرة نقاط المراقبة التركية في تلك المناطق. كذلك استعاد الجيش السوري السيطرة على طريق «إم 5» الدولي الذي يربط بين دمشق وحلب، وعلى مساحات جغرافية كبيرة كانت تقع ضمن حدود اتفاق سوتشي الموقّع عام 2018 بين الرئيسين الروسي، فلاديمير بوتين، ونظيره التركي، رجب طيب أردوغان، الذي تم بموجبه تجنيب إدلب أي هجوم عسكري من قبل قوات الجيش السوري[1].

دفعت هجمات النظام المدعوم من روسيا قوات المعارضة المسلحة للتقهقر، وقد أتاح الهدوء الذي أوجده وقف إطلاق النار في آذار/ مارس 2020 مساحة وحوافز لهيئة تحرير الشام لتكثيف حملتها على الجهاديين العابرين للحدود، وتعقب ما تبقى من خلايا داعش وإضعاف فصيل حراس الدين المرتبط بالقاعدة. طالما أن هيئة تحرير الشام قادرة على حكم إدلب -وهي أولويتها القصوى المعلنة- فسيكون لديها سبب كاف لقمع العناصر التي تعارض وقف إطلاق النار أو تهدد الاستقرار المحلي. ولا يزال وقف إطلاق النار هشاً، وقد يكون دور تركيا في نهاية المطاف غير كافٍ لتفادي استئناف هجمات النظام الرئيسية في الأشهر والسنوات المقبلة. فقد توقفت الدوريات التركية-الروسية المشتركة على طول الطريق السريع

(1) انظر: الاتفاق التركي - الروسي حول إدلب، موقع استراتيجي ثنك تانك، على الرابط: https://tinyurl.com/7jpjbjkm

M4 بشكل أساسي منذ آب/ أغسطس 2020؛ ويستمر القصف المتبادل عبر الخطوط الأمامية؛ واستأنفت روسيا الضربات الجوية من حين لآخر.

علاوة على ذلك، فإن وضع هيئة تحرير الشام كتنظيم «إرهابي» يقوض صمود الهدنة. واتفاق آذار/ مارس 2020 بين روسيا وتركيا، إذ يدعو كلا الجانبين صراحة إلى «محاربة الإرهاب بجميع أشكاله، والقضاء على جميع الجماعات الإرهابية في سورية على النحو المحدد من قبل «مجلس الأمن الدولي»، وقد أشارت موسكو مراراً وتكراراً إلى تصنيف هيئة تحرير الشام منظمة إرهابية من قبل مجلس الأمن لتبرير هجمات النظام السابقة على إدلب، مؤكدة أن الحملات العسكرية ضد التنظيم يجب أن تستمر وأن وقف إطلاق النار ترتيب مؤقت[1].

إذا كان العداء للنظام السوري وحليفيه الروسي والإيراني أحد المواقف المشتركة بين الحراس والهيئة، التي دفعت مراراً إلى التنسيق المشترك في جبهات القتال، فإن الموقف من تركيا يُعد من أهم نقاط الخلاف بين الطرفين، فقد رفض حراس الدين كافة الاتفاقات، واعتبر الجيش التركي كالقوات الروسية قوة احتلال، وأن تركيا لا تختلف عن روسيا باعتبارها دولة علمانية كافرة، بينما قبلت هيئة تحرير الشام اتفاق سوتشي الروسي-التركي، وبقية الاتفاقات اللاحقة، والتزمت بتنفيذها، ومنعت المعارضة من شن حرب ضد النظام، وامتنعت عن مهاجمة الدوريات الروسية، وقامت بتأمين مهامها والحفاظ على سلامة عناصرها، وقد حذر أبو همام الشامي أمير تنظيم حراس الدين، في كلمة مسجلة، في 7 آذار/ مارس 2020، من الانخداع بوعود الدول الضامنة، ووجه خطابه إلى أهل

(1) انظر: في إدلب السورية، فرصة واشنطن لإعادة تصوّر مكافحة الإرهاب، مجموعة الأزمات الدولية، مرجع سابق.

الشام والفصائل المجاهدة»، بالقول «حذاري من الخضوع لضغوط الداعمين أو الانخداع بوعود الضامنين، فتسلب منكم إرادة القتال، فتصبحوا بعد ذلك أسرى لقراراتهم، فتباعوا وتشتروا»[1].

أدركت هيئة تحرير الشام أنه، لزيادة احتمالات بقائها على قيد الحياة، يجب أن تحافظ على علاقة «تعاونية» ولكن حذرة مع أنقرة، فتركيا هي الدولة الوحيدة التي تقف ضد الأسد، وهي متورطة عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا في الصراع السوري. إن استعداء تركيا، الداعم الرئيسي للعدو المحلي لهيئة تحرير الشام، الجيش الوطني السوري، يعني وضع هيئة تحرير الشام في حركة كماشة بين الجيش التركي وشركائه المحليين وقوات الأسد.، وكانت اثنتا عشرة نقطة مراقبة عسكرية تركية، تم تركيبها بتيسير من هيئة تحرير الشام في إدلب عام 2018، مجرد بداية لدور أكثر حزماً كانت أنقرة تلعبه حتى الوقت الحاضر، ومع ذلك، واجهت هيئة تحرير الشام دائمًا الوجود التركي المتنامي بقلق وتكافح من أجل توفير مبرر ديني لإقناع مقاتليها بعدم استهداف القوات التركية[2].

يكشف تسجيل صوتي مسرب نهاية آذار/ مارس 2020، وذلك بعد أيام على الاتفاق الروسي التركي، ويعود للقاضي الشرعي العسكري وعضو مجلس شورى «تحرير الشام» يحيى بن طاهر المعروف بـ«أبو الفتح الفرغلي» وهو مصري الجنسية، عن الجذور الفكرية السلفية المشتركة بين الهيئة والحراس، ونقاط الاتفاق

(1) انظر: تنظيم «حراس الدين» في مواجهة الوجود التركي و«انقلاب» الجولاني، موقع عنب بلدي، على الرابط:

https://tinyurl.com/2s7x6kk9

(2) انظر: عروة عجوب، هل ستقضي هيئة تحرير الشام على القاعدة في سوريا؟ مرجع سابق.

والافتراق، إذ تحدث الفرغلي عن العلاقة مع الجيش التركي وإمكانية الاستفادة من وجوده في إدلب من الناحية الشرعية، واحتمالات المواجهة معه، واعتبر أن الجيش التركي مؤسسة علمانية وقوة احتلال، وأن العلمانية ترقى إلى «الكفر» و«الردة» عن الإسلام، مما أثار ضجة لدى المعارضة الموالية لتركيا[1].

في المجمل يمكن تلخيص الانتقادات المتبادلة بين الحراس والهيئة على النحو التالي:

بالنسبة للحرس ينتقد: قبول هيئة تحرير الشام باتفاقية سوتشي وتنفيذها، ومنع المعارضة من شن حرب ضد النظام، وإحجام هيئة تحرير الشام عن مهاجمة الدوريات الروسية، والقيام بتأمين مهامها والحفاظ على سلامة عناصرها، وتسليم

(1) قال الفرغلي: إن «الوضع القائم الآن ليس بمقدورنا إيقافه، ولا نستطيع أن نمنع الأتراك من الدخول، ولم نرغب بدخولهم أو نستعن بهم، ولا يوجد عندنا طاقة لمنعهم»، وأضاف: «إذا يسر الله لنا وثبتنا في مناطقنا، واستعدنا المناطق التي خسرناها، فأسهل شيء هو أن يخرج الأتراك منها، وإذا لم يخرجوا سنعتبرهم قوة احتلال ونقاتلهم كما نقاتل أي قوة أخرى»، وقد برر موقفه من الناحية الدينية الشرعية استناداً إلى مفهومين: أولًا؛ «الاستعانة بالكافر على الكافر» التي يصرح بها الفقه الإسلامي في حالات الضرورة. وهذا يعني أنه من أجل هزيمة الأكراد «الكافرين»، فإن الاصطفاف مع تركيا «الكافرة» مسموح به. ثانيًا؛ «ارتكاب أهون الشرين»، في هذه الحالة، فإن التعاون مع تركيا أقل ضررًا على هيئة تحرير الشام من المواجهة التي من المحتمل أن تخسرها، بالنظر إلى أنها تقاتل النظام السوري بالفعل على عدة جبهات أخرى. سيؤدي ذلك إلى قيام تركيا بتطبيق قوانينها العلمانية والوضعية في المناطق التي يحكمها حاليًا قانون هيئة تحرير الشام انظر: سام هيلر، «تسريب يكشف عن ضعف قبضة الجهاديين على إدلب»، موقع «وور أون ذا روكس»، على الرابط:
https://tinyurl.com/huh9du94

بعض مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) إلى التحالف الدولي، ومشاركة هيئة تحرير الشام في الجهود الدولية للقضاء على الحراس.

أما اتهامات هيئة تحرير الشام لـ «حراس الدين»، فتتحدد بالمسائل التالية: وهي اعتبار هيئة التحرير الشام جماعة «حرّاس الدين» جماعة تكفيرية، وأنها تسببت بحدوث انقسام داخل الهيئة بتشجيع أعضائها على الانشقاق، واستضافة الحراس للمقاتلين المتشددين والمتطرفين، وفتح المجال لهم، وفتح مجالات حركة لخلايا (داعش) في إدلب وتسهيل أعمالها. توترت العلاقة بين الطرفين، وازداد التوتر يومًا بعد يوم، فوقعت أول معركة كبيرة بينهما في حزيران/ يونيو عام 2020[1].

4. غرفة عمليات «فاثبتوا».. والصدام مع الهيئة

عملت التحولات الكبيرة التي شهدتها المسألة السورية على خلق واقع جديد، فقد تراجع الاهتمام الدولي بسوريا، واقتصرت أولويات أمريكا وأوروبا على إحباط صعود فرع القاعدة في سوريا تنظيم حراس الدين، ومعالجة قضية المقاتلين الأجانب، وأصبحت الاتفاقات الروسية التركية تتحكم بمصير إدلب، التي باتت تشبه غزة من نواح عدة، فقد تحولت إدلب كغزة إلى سجن كبير يضم نحو ثلاثة ملايين إنسان في مساحة صغيرة، يتعرضون إلى الحصار والقصف، وتسيطر عليها حركة توصف بالإرهابية.

(1) انظر: صالح الحموي، صراع هيئة تحرير الشام وحرّاس الدين... من الشراكة إلى العداء!، ترجمة: علي كمخ، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، على الرابط:
https://tinyurl.com/9vy8p9zu

حذر وزير الخارجية التركي جاويش أوغلو عقب الاتفاق الروسي التركي في آذار/ مارس 2020 من تحول إدلب إلى غزة، ووصف وزير خارجية بريطانيا الأسبق ورئيس لجنة الإنقاذ الدولية، ديفيد ميليباند، منطقة إدلب بمدينة غزة في فلسطين[1]. ضمن هذا الواقع سعت هيئة تحرير الشام إلى التخلص من تهمة الإرهاب، وذلك باستثمار وتوظيف ملف الجهاديين، وخاصة الأجانب، في محاولة لإعادة تشكيل الفضاء الجهادي بشكل يخدم مصالحها كطرف لا غنى عنه في أي اتفاق مستقبلي.

حسابات الجولاني الواقعية دفعت بالجهاديين إلى اتهامه بـ «التفريط والتماهي مع التفاهمات الدولية والإقليمية في المنطقة والتفرد بالقرار»، ودفعهم إلى إعادة تجميع أنفسهم في غرفة عمليات جديدة تحت مسمى «فاثبتوا»، وذلك في محاولة لمواجهة انعدام الخيارات وتحسباً لسياسات الهيئة المستقبلية، وضمّت تلك الغرفة، بحسب البيان الصادر عنها بتاريخ 12حزيران/ يونيو 2020، خمسة فصائل، هي: «تنسيقية الجهاد»، و«لواء المقاتلين الأنصار»، و«جماعة أنصار الدين»، و«جماعة أنصار الإسلام»، وأخيراً «تنظيم حراس الدين».

وأشار بيان التأسيس إلى أنّ التشكيل الجديد جاء «دفعاً لصيال المعتدين، وكسراً لمؤامرات المحتلين»، ويتزعم فصيل «تنسيقية الجهاد» القيادي السابق في «هيئة تحرير الشام» أبو العبد أشداء. بينما يتزعم فصيل «لواء المقاتلين الأنصار»، جمال زينية، الملقب بأبي مالك التليّ، والذي أعلن انشقاقه عن الهيئة في إبريل/

(1) انظر: تركيا تصف إدلب بقطاع غزة الجديد.. ما أوجه الشبه، موقع عنب بلدي، على الرابط:

https://tinyurl.com/rs9exp3k

نيسان 2020 وظلّ التلي لسنوات أمير «جبهة النصرة» في القلمون الغربي وعضواً في مجلس شورى الهيئة. في حين يتزعم أبو عبدالله الشامي جماعة «أنصار الدين» التي كانت هي الأخرى أعلنت مطلع عام 2018 انفصالها عن «هيئة تحرير الشام» بعد أن كانت أهم الفصائل المنضوية تحتها، وقد ضمت غرفة عمليات «فاثبتوا»، عدداً كبيراً من المقاتلين والقياديين المهاجرين إلى جانب الكتلة الأكبر من السوريين، وينتشر مقاتلو التشكيل الجديد في أرياف اللاذقية وإدلب وحماة وحلب[1].

لم يتأخر رد هيئة تحرير الشام والولايات المتحدة على حراس الدين وشركائهم في غرفة «فاثبتوا»، ففي 14 حزيران/ يونيو 2020، استهدف التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة سيارة أبو القسام الأردني، القيادي البارز في تنظيم حراس الدين، وزميله الجهادي بلال الصنعاني في أطراف إدلب، وبعد يومين، اعتقلت هيئة تحرير الشام، القائد البارز أبو صلاح الأوزبكي، الذي انشق عن هيئة تحرير الشام للانضمام إلى «أنصار الدين»، وبعد أسبوع، اعتقلت هيئة تحرير الشام أيضًا عضو مجلس شورتها السابق، أبو مالك التلي، الذي شكل فصيلًا جديدًا يُدعى «لواء المقاتلين الأنصار»، من دون الإعلان عن انشقاقه عن هيئة تحرير الشام، والقاسم المشترك بين هؤلاء الأشخاص الأربعة هو انتمائهم إلى غرفة العمليات التي تم إنشاؤها حديثًا، «فاثبتوا»، وهي امتداد لغرفة عمليات «وحرض المؤمنين».

شنّت هيئة تحرير الشام هجمات متعددة على فصائل الغرفة، وأجبرتها على إغلاق قواعدها العسكرية، وحظرت تشكيل أي فصائل أو غرف عمليات

(1) انظر: أمين العاصي، «فاثبتوا» والمتمردون على «النصرة»: استباقاً للمعركة أو ذريعة لها؟ صحيفة العربي الجديد، على الرابط:

https://tinyurl.com/ypb94hp3

جديدة، وبذلك، ضربت هيئة تحرير الشام عصفورين بحجر واحد: تحديد خطوط حمراء جديدة لمنافسيها وإثبات فائدتها لـ «الشريك» التركي والمجتمع الدولي في حربهم على الإرهاب[1].

لم يقتصر رد الهيئة على الجانب المادي العسكري، فقد استثمر المجال الرمزي الشرعي، فبعد أسبوع على إعلان تشكيل غرفة عمليات «فاثبتوا»، جاء رد الهيئة بشكل غير مباشر ولافت، إذ لم يأتِ الرد عبر زعيم الهيئة أو مجلس شوراها، وإنما عبر مجموعات الأجانب التي تدور في فلك «تحرير الشام»، التي أصدرت بتاريخ 18 حزيران/ يونيو 2020، بياناً تحت عنوان «شكر وتأييد»[2] أعلنوا من خلاله: «دعمهم للهيئة وسياستها في المنطقة، مؤكدين «أنهم مع ما يقرره السوريون من

---

(1) انظر: عروة عجوب، هيئة تحرير الشام والقاعدة في سوريا: التوفيق بين المتناقضين، ترجمة أحمد بركات، أصوات أونلاين، على الرابط:

https://tinyurl.com/uj8azvta

(2) وقّع على البيان كل من: الحزب الإسلامي (التركستاني) وعنهم: الأمير العام أبو عمر التركستاني، وكتيبة التوحيد والجهاد (الأوزبك) وعنهم: الأمير العام أبو صلاح الأوزبك، وجيش المهاجرين والأنصار (القوقاز) وعنهم: الأمير العام أبو محمد الداغستاني، وكتيبة (الألبان): الأمير العام أبو قتادة الألباني - مسؤول الأكاديمية العسكرية في الهيئة، وحركة المهاجرين السنة من إيران وعنهم: الأمير العام أبو صفية، ورابطة المعالي (بلاد الحرمين) وعنهم: عضو مجلس الإفتاء في الهيئة المعتصم بالله المدني، وأبو الوليد المطيري، ومجاهدو المالديف وعنهم: الأمير العام أبو أيوب المالديفي، وشام الإسلام (المغرب) وعنهم: الأمير العام أبو جابر المغربي، وعن الهيئة عضو مجلس الشورى وعضو مجلس الفتوى: الشيخ أبو الفتح الفرغلي، والمسؤول العسكري العام للهيئة: مختار التركي، ومسؤول الدفاع في الهيئة: أبو الحسين الأردني، ومسؤول المهاجرين في الهيئة: أبو هاجر التونسي، وقاضي الجناح العسكري: أبو عبدالرحمن الزبير الغزي.

طريقة لسياسة البلد»، ومطالبين بـ «لزوم الجماعة، ونبذ الفرقة، ورص الصفوف لصد العدو»، بشكل يشير إلى رفض غرفة العمليات الجديدة والانحياز إلى صف الهيئة في أي تطورات لاحقة.

ولعل تعمُّد الهيئة تصدير البيان باسم المهاجرين لم يكن اعتباطياً، وإنما جاء من ناحية في إطار الرد على مجموعات الأجانب بالجهة الأخرى ضمن إطار احتكار ورقة الجهاد والحفاظ بالحد الأدنى على «الشرعية الجهادية». ومن ناحية أخرى، أن الهيئة تلوّح عبر هذا البيان بورقة السيطرة والقدرة على ضبط الجهاد العابر للحدود وتحركات المجموعات الأجنبية ضمن صفوفها، التي أكدت أنها «تخضع للقرار السوري ضمن الهيئة». ولكن من يتتبع الأفراد والمجموعات الموقعة على البيان، سيجد أنها تنقسم إلى قسمين؛ إما مجموعات ذات فاعلية محدودة، أو أُخرى ذات ثقل وفاعلية أوسع لكنها مضبوطة من قبل قوى إقليمية ضمن سياسات الهيئة، كالحزب الإسلامي التركستاني، والذي أكد الجولاني خلال مقابلته مع «مجموعة الأزمات الدولية» أنه «يلتزم بسياسات الهيئة»، ولا يبدو سعي الهيئة مقتصراً فقط على احتكار الفضاء الجهادي، وإنما تقوم بالتوازي مع تحركاتها في الجانب العسكري والأمني، بمحاولات احتكار للملفين الإداري والاقتصادي أيضاً، عبر فرض حكومة الإنقاذ كطرف متحكّم ومنع تشكيل أي تجمعات تنافسه[1].

قبل أن تدور رحى المعركة الأخيرة، كان تنظيم «هيئة تحرير الشام» قد شدد قبضته على جماعة «حراس الدين» كبادرة حسن نوايا إلى أنقرة والمجتمع الدولي،

(1) انظر: الهيئة وإعادة تشكيل الفضاء الجهادي.. ترتيبات داخلية ورسائل خارجية، مركز عمران للدراسات الإستراتيجية، على الرابط:

https://tinyurl.com/279y9xm8

بحسب عروة عجوب، الذي يشير إلى أنه وفي غضون ذلك، يستمر قتل كبار قادة تنظيم القاعدة. لم يكن أبو القسام الأردني أول عضو في مستويات القيادة العليا في تنظيم القاعدة يلقي حتفه في غارات الطائرات المسيرة التي شنها التحالف الدولي على سوريا، فقد سبقه إلى المصير نفسه كل من أبو خديجة الأردني[1]، وأبو أحمد الرقاوي، وعلى الأرجح لن يكون الأخير. وبينما لا يزال مصدر المعلومات التي استندت إليها ضربات التحالف مجهولا، يسعى الجولاني إلى ضمان مقعد لهيئة تحرير الشام على الطاولة في سوريا المستقبلية بأي ثمن، مما يشير إلى أنه قد يضحي برفاق الأمس للتكفير عن ماضي جماعته الراديكالي، وفي سياق محاولات الجولاني

(1) أبو خديجة الأردني: واسمه الحقيقي بلال خريسات أردني الجنسية، كان مقربا من أبي محمد المقدسي وأمضيا معا عدة سنوات في السجن، تلقى خلالها أبو خديجة دروسا شرعية في العقيدة والأصول من المقدسي، قضى في السجن أكثر من 10 سنوات ثم خرج منه مع بداية الثورة السورية، غادر إلى سوريا والتحق بجبهة النصرة وعمل مسؤولا شرعيا في قاطع الغوطة الشرقية، ثم قاضيا للأمنيين، عزل بعد ذلك من منصبه بتوصية من لجنة المتابعة في جبهة النصرة. طوال المدة التي أمضاها في سوريا كان من أقرب المقربين إلى أبي جليبيب الأردني. بعد الإعلان عن جبهة فتح الشام أبدى رفضه للخطوة وأعلن تمسكه ببيعة القاعدة، عمل مع القادة الآخرين على تأسيس تنظيم حراس الدين. وقتل في قصف لطائرة من دون طيار استهدفت سيارته في محافظة إدلب في 21/ 12/ 2019، قبل مقتله بشهور رشحت معلومات أنه كان على خلاف مع قادة تنظيم حراس الدين، وهو ما أكده أبو محمد المقدسي في تغريدة كتبها عقب اغتياله وقال بأن بلال خريسات لم يكن من حراس الدين ولا من القاعدة. لكن ذلك لا يلغي دوره في تأسيس حراس الدين خصوصا وأنه كان ناشطا على منصات التواصل الاجتماعي ولا يفتأ يحرض ويحشد لصالح العودة إلى القاعدة، وقد يكون بيان التعزية الذي أصدره حراس الدين دليلا على هذا الأمر.

لتحييد الوجود القاعدي في شمال غرب سوريا، فإن أهدافه تصبح متناغمة مع أهداف التحالف الدولي[1].

5. نزيف القيادات في القاعدة والحراس

لا يزال تنظيم حراس الدين يصارع البقاء في ظل حملة جوية للتحالف الدولي بقيادة واشنطن، وحملة برية لهيئة تحرير الشام، لكن مشروع القاعدة الطموح في سوريا الذي شهد صعوداً بداية تأسيسه 2018، وتمكن من تجنيد نحو 5 آلاف مقاتل، ونسج علاقات وتحالفات مع حركات سلفية جهادية، شهد نكوصاً بداية 2021، ولم يعُد لديه أكثر من 500 مقاتل مشتتين ومبعثرين، دون توافر تمويلات كافية ومقرات ثابتة وأسلحة ثقيلة ومتوسطة، ويقتصر وجودهم على شكل خلايا متفرقة دون قيادة مركزية، وهم في حالة خوف وحذر دائم خشية ضربات التحالف الدولي، أو اعتقالات هيئة الجولاني[2].

بحلول عام 2021 كان تنظيم حراس الدين قد خسر معظم قياداته، عن طريق غارات جوية أمريكية بطائرات دون طيار، أو عن طريق الاغتيالات الميدانية، فقد استهدفت هجمات التحالف الدولي في مرحلة مبكرة القيادات الجهادية المرتبطة بالقاعدة في سوريا والتي أطلقت عليها الولايات المتحدة «مجموعة خراسان»، حيث قتل محسن الفضلي بتاريخ 8 تموز/ يوليو 2015، وفي 5 تموز/ يوليو 2015،

(1) انظر: عروة عجوب، هيئة تحرير الشام والقاعدة في سوريا: التوفيق بين المتناقضين، مرجع سابق.

(2) انظر: هل فرع القاعدة بإدلب في طريقه إلى الزوال؟ المونيتور، ترجمة نداء بوست، على الرابط:

https://tinyurl.com/4yzemwnr

قتل الفرنسي دافيد دروجون، وفي 15 تشرين أول/ أكتوبر 2015 قتل عبدالمحسن عبدالله إبراهيم الشارخ المعروف بـ«سنافي النصر»، وفي 5 آذار/ مارس 2015، قتل أبو عمر الكردي، وأبو مصعب الفلسطيني، وأبو البراء الأنصاري، وفي 3 نيسان/ أبريل 2016 قتل أبو فراس السوري، وفي 5 من نيسان/ أبريل 2016، قتل رفاعي طه الملقب بأبي ياسر المصري، وفي 3 تشرين أول/ أكتوبر 2016 قتل أحمد سلامة مبروك الملقب بأبي الفرج المصري، وفي 8 أيلول/ سبتمبر 2016، قتل أسامة نمورة الملقب أبو عمر سراقب وأبو هاجر الحمصي، وفي 26 شباط/ فبراير 2017، قتل أبو الخير المصري أحمد حسن أبو الخير.

بعد تأسيس حراس الدين تزايدت وتيرة استهداف قيادات التنظيم، وكان إياد الطوباسي الملقب أبو جُليبيب الأردني، قد قُتل أواخر كانون أول/ ديسمبر 2018، في منطقة اللجاة بريف درعا، برصاص قوات النظام، أثناء محاولته تأسيس فرع في جنوب سوريا، وقُتل القيادي الأردني ساري شهاب الملقب أبو خلاد المهندس، في 22 آب/ أغسطس 2019، بانفجار عبوة ناسفة في سيارته في إدلب، وفي 30 حزيران/ يونيو 2019، قتل عناصر من تنظيم «حراس الدين»، في قصف من طائرات أميركية، على منطقة ريف المهندسين غربي حلب، وعُرف من بين القتلى القياديين أبو عمر التونسي، وأبو ذر المصري، وأبو يحيى الجزائري، وأبو دجانة التونسي، وفي 22 كانون أول/ ديسمبر 2019،.قُتل بلال خريسات الملقب أبو خديجة الأردني، بغارة أميركية استهدفت سيارته قرب ترمانين بريف إدلب الشمالي، وفي 15 تشرين أول/ أكتوبر 2020، قتل أبو محمد السوداني بغارة جوية أمريكية في بلدة «عرب سعيد» غربي مدينة إدلب، وفي 14 يونيو / حزيران 2020، قتل خالد العاروري الملقب أبو القسام الأردني، بغارة جوية أمريكية في محافظة إدلب شمال غرب سوريا.

في الوقت نفسه الذي كانت تخسر فيه القاعدة قيادات الفرع السوري «حراس الدين»، في سوريا، عانت من نزيفٍ في مكان آخر بمقتل عدد من قياداتها المركزية في أفغانستان، وخسرت عددًا من قيادات فروعها الإقليمية في اليمن والمغرب، وغيرها، وخسرت اثنين من أبرز القيادات التي تولت مسؤولية ملف القاعدة في بلاد الشام عموماً وسوريا خصوصاً، ففي آب/ أغسطس 2019، قتل حمزة بن لادن، نجل زعيم القاعدة الراحل أسامة بن لادن، في عملية أمريكية خاصة في منطقة واقعة على الحدود بين أفغانستان وباكستان، والذي كان مرشحاً لقيادة تنظيم القاعدة وإعادة هيكلته، وإحياء القاعدة في سوريا، وفي السابع من أغسطس/ آب 2020 خسرت القاعدة عبدالله أحمد عبدالله، أبو محمد المصري، وهو الرجل الثاني في القاعدة، وكان أحد أعضاء «لجنة حطين»، المكلفة بمتابعة ملف القاعدة في بلاد الشام وسوريا، وقد اغتيل المصري في إيران عن طريق عملاء للموساد في طهران[1].

لم تقتصر مشاكل حراس الدين على ضربات التحالف الدولي، وملاحقة واعتقالات هيئة تحرير الشام، فقد ساهمت الخلافات الداخلية الأيديولوجية والنزاعات الشخصية والصراعات المناطقية الجهوية، بانحسار التنظيم وانحداره، فرغم تبني الحراس لأطروحات وأفكار ومواقف المدرسة السلفية الجهادية، ووجود روابط تنظيمية وصلات أيديولوجية للأشخاص والكيانات التي شكّلت تنظيم حراس الدين بالقاعدة، إلا أن التنظيم لم يكن يتوافر على تجانس أيديولوجي

(1) انظر: حسن أبو هنيّة، تنظيم القاعدة على طريق الانقسام والانحدار، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/ywar54ur

صلب ومشتت بين اجتهادات ومدارس سلفية جهادية عدة، ومنقسم في مجال النظر والعمل، إذ يستند فريق على الصعيد النظري إلى مرجعية أبو محمد المقدسي، والآخر إلى عطية الله الليبي، ومنقسمة على الصعيد العملي بين نهج أسامة بن لادن ونهج أبو مصعب الزرقاوي، ومنذ تأسيس الحراس كان التنظيم يفتقر إلى هيكل تنظيمي مركزي متماسك، وتتوزع مكوناته التنظيمية إلى مجموعات صغيرة متناثرة، وتعاني من شح الموارد والتمويل.





الفصل الثامن

أيديولوجيا الحراس .. والأزمة التنظيمية

وفي خضم هذا الواقع الخطير ينبغي على قادة المجاهدين أن يستفيقوا ويراجعوا مشاريعهم التي تخالف الواقع ويعيدوا ترتيب أوراقهم وصفوفهم ويعدوا أنفسهم لحرب عصابات وكر وفر؛ تعب الصادقون والحكماء وهم ينصحون بها، ولكن سَكرة الإمارة والسيطرة على الأرض أذهلت كثيراً منهم عن هذه النصائح حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يقول نحن نسيطر على مساحات أكبر من مساحات بعض الدول القائمة الآن كقطر أو البحرين أو الكويت

سامي العريدي

منظّر «حراس الدين»

يستند تنظيم حراس الدين في مرجعيته وتكوينه الفكري والعقدي وبنيته الأيديولوجية إلى المدرسة السلفية، وتراث الجهادية العالمية الذي أرساه تنظيم القاعدة، ونظراً لكونه أحد فروع القاعدة الإقليمية، لم يخصص مادة مستقلة خاصة به تحدد المسائل العقدية والأيديولوجية، والاختيارات الفقهية والسياسية، وعلى خلاف بقية الفروع الإقليمية مثل القاعدة في جزيرة العرب أو المغرب الإسلامي، التي تتمتع بدرجة معقولة من التجانس الفكري، فإن الفرع السوري افتقر إلى التجانس، وتوزع ولاء قيادات الحراس النظرية بين المدرسة السلفية الوهابية بنسختها التي بلورها أبو محمد المقدسي، والمدرسة السلفية القطبية التي طورها عطية الله الليبي، واختلفت اختيارات الحراس العملية بين نهج أسامة بن لادن القطبي ونهج أبو مصعب الزرقاوي الوهابي[1].

---

(1) إن الهوية الفكرية والمرجعية الدينية للجهادية السنية المعاصرة، تعود في جذورها إلى مرجعية دينية تستند إلى المدرسة السلفية التاريخية والسلفية الحديثة بتنويعاتها المختلفة، لكن المنطلقات الفكرية للجهادية العالمية المعاصرة ترتبط بتراث المدرسة السلفية بنسختها السعودية الوهابية، والمدرسة السلفية الحركية بترسيمتها الإخوانية القطبية، إذ يشكّل تراث الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومدرسته، وتراث سيد قطب وخلفائه، الأساس الفكري والعقدي والفقهي للجهادية المعاصرة.

يعتمد المعجم الهوياتي العقدي الأيديولوجي للجهادية العالمية، على مجموعة من الكلمات المفتاحية، التي تطورت على مدى قرون، وجرى تأويلها حسب المقتضيات التاريخية

1. الخلاف بين مرجعيتين: عطية الله والمقدسي

كانت تعددية المرجعية الفكرية عند حراس الدين واضحة، فالقيادات الرئيسة المؤسسة في التنظيم كانت صلاتها الأيديولوجية، وروابطها التنظيمية،

= والظرفية، والتي استخدمت بكثافة من لدن محمد بن عبدالوهاب وسيد قطب، وأعيد تأويلها في الأزمنة المعاصرة من طرف جيل جديد من المنظرين الجهاديين، ومن أهم الكلمات المصطلحية المستخدمة في المعجم المعاصر للجهادية: «التوحيد»، «دار الإسلام»، «الخلافة»، «الجهاد»، «الولاء والبراء»، «الحاكميَّة»، «الجاهليَّة»، «الطَّاغوت»، «الجماعة»، «الطليعة»، «النكاية»، «التمكين»، وهي كلمات تشكّل هوية الجهادي وتحدد ممارساته، وعلى الرغم من شيوع هذه الكلمات لدى الجهاديين، فإن الخلاف لا يتوقف حول معناها وتحققها، حيث تتكاثر معانيها عند استخدامها وتطبيقها، نظراً لتشعب أصولها ومعانيها، وبسبب محيطها الإشكالي، الذي يحف بها ويتولد عنها، حيث تنشأ كلمات ومصطلحات إشكالية مضاعفة، مثل: «الإيمان والإرجاء»، «التكفير والتجهيل»، و«التوقف والتبيّن» و«الفرقة والطائفة»، وغيرها.

أنتجت التأويلات المتعددة للكلمات الأساسية في المعجم الجهادي نزعة اختلافية انشقاقية، حيث تتبادل الأطراف الجهادية الاتهامات بخيانة تلك الكلمات، وعدم فهمها، والتخلي عن مقتضياتها، وقد تولد عن الكلمات المفتاحية رؤى إستراتيجية متعددة حول مطابقاتها ومصداقيتها في الواقع المعاش، لذلك انقسمت الجهادية العالمية إلى فريق يتمسك بأجندة القاعدة التقليدية بزعامة أسامة بن لادن، والتي تنص أولويّاتها على أولوية قتال العدو البعيد ممثلاً بالغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصاً، وتبنت نهجاً قتالياً واستراتيجياً يقوم على تنفيذ عمليات قتالية انتقامية تستند إلى مفهوم جهاد «النكاية»، من خلال طليعة نخبوية مقاتلة مهمتها الوصول إلى خلق حالة إسلامية تصل إلى جهاد الأمة، مهمتها تكوين دولة إسلامية، وفريق يتمسك بأجندة أبو مصعب الزرقاوي، وترتكز أجندته على أولوية مواجهة العدو القريب، في إطار عقيدة شمولية تقوم على دمج الأبعاد الجهادية المحلية والإقليمية والدولية، والجمع بين أنماط وأساليب الجهاد المختلفة، من جهاد «التمكين» إلى جهاد «النكاية»، ويسعى نفسه لفرض سيطرته المكانية، وإقامة الدولة الإسلامية.

وعلاقتها الشخصية، تتصل إما بالقيادة المركزية للقاعدة وزعيمها أسامة بن لادن، والمنظر والمنسق العملياتي للقاعدة عطية الله الليبي، أو تتصل بالفرع العراقي وزعيمه أبو مصعب الزرقاوي، ومنظرة الشرعي أبو محمد المقدسي، فالتيار الأردني داخل حراس الدين الذي يوصف بالمتشدد، كانت له صلات وروابط مع الزرقاوي والمقدسي، أمثال: سامي العريدي (أبو محمود الشامي)، وخالد العاروري (أبو القسام الأردني)، وبلال خريسات (أبو خديجة الأردني)، وإياد الطوباسي (أبو جليبيب الأردني)، وساري شهاب (خلاد المهندس) وغيرهم، ورغم الأصول المشتركة في المرجعية التي قد توحي بالتجانس والانسجام، إلا أن هذا التيار منقسم على نفسه، وهو انقسام مبني على خلاف معروف بين المقدسي والزرقاوي، حيث انتقد كلاهما الآخر في عدد من المسائل والمواقف والأساليب.

أما التيار المصري والسوري، فكانت له صلات وروابط مع بن لادن وعطية الله، أمثال: سمير حجازي (أبو همام الشامي)، رغم أنه عايش الزرقاوي، ورضوان نموس (أبو فراس السوري)، وأبو عبدالكريم المصري، وتعتبر مجموعة خراسان أقرب إلى هذا الفريق، ورغم ذلك برزت خلافات وانقسامات داخل هذا التيار، وتتنازعه اجتهادات متباينة تتجاوز بن لادن وعطية الله.

ويمكن القول أن تياراً ثالثاً كان أقرب إلى مرجعيات تنظيم الدولة الإسلامية بزعامة أبو بكر البغدادي، وهو تيار شمال إفريقيا، أمثال: أبو عمر التونسي، وأبو يحيى الجزائري، وأبو دجانة التونسي، وغيرهم، وهو من أكثر التيارات اختلافاً وانقساماً على نفسه.

وعلى الرغم من الإطار الأيديولوجي الجامع بين المقدسي وعطية الله، فإن ثمة اختلافات بينهما في مسائل عدة نظرية وعملية، ومع أن كليهما يُعدان من شيوخ

ومنظري السلفية الجهادية. إلا أن المقدسي اشتهر بكونه منظراً فقهيا شرعياً[1]. أما

(1) أبو محمد المقدسي، واسمه الحقيقي عصام بن محمد بن طاهر البرقاوي، وكنيته أبو محمد، ويشتهر بالمقدسيّ، وقد أصبح من الشائع في حقل الدراسات الجهادية وصف المقدسي بأنه أهم منظّر جهادي لا يزال على قيد الحياة، ويعزى ذلك جزئياً إلى دراسة كتبها ويل ماكانتس في عام 2006 أشار فيها إلى أن المقدسي هو أكثر المنظّرين الجهاديين الأحياء الذي يتم ذكره في المؤلفات الجهادية الرئيسية. ويعود نسب المقدسي إلى عتيبة، من مواليد قرية برقة من أعمال نابلس في فلسطين، ولد في 3 تموز/ يوليو 1959، ثم انتقل وهو ابن ثلاث أو أربع سنين مع عائلته إلى الكويت حيث أكمل بها دراسته الثانوية، ثم درس العلوم في جامعة الموصل شمال العراق، وكانت له صلات ببعض الحركات والجماعات الإسلامية، وخصوصًا السّلفية السُّرُورية التي تنتسب إلى الشيخ محمد سرور، وله علاقة مع جماعة جهيمان، وبعددٍ من مشايخ القُطبيِّين، تنقل بعدها بين الكويت والسعودية حيث ترسخت معرفته بالسّلفية الوهابية، واطلع على تراث أئمة الدَّعوة النَّجدية. سافر إلى باكستان وأفغانستان عدَّة مرات، حيث برز توجهه السلفي الجهادي، وكتب في هذه المرحلة أول كتاب له وأشهرها بعنوان: «ملّة إبراهيم»، واستقر في الأردن مع عائلته عام 1992، بعد حرب الخليج الثانية، حيث بدأ نشاطه بالدّعوة إلى السلفية الجهادية، وبرزت توجهاته بشكلٍ جليٍّ حيث ألف كتابًا في كفر الديمقراطية بعنوان: «الديمقراطية دين»، ودخل في سجالٍ مع أتباع المدرسة السَّلفية التَّقليدية، وعمل على نشر دعوته في كافة المدن الأردنية. واعتقل أول مرة في الأردن عام 1993 على خلفية الانتماء إلى تنظيم «بيعة الإمام»، وكان معه في التنظيم أبو مصعب الزرقاوي، وحكم عليه 15 سنة، إلا أنه خرج بعفوٍ ملكيٍّ في عام 1999، وتعرض لعدّة اعتقالات، واتهم بالانتساب إلى عدَّة تنظيمات، وقد أفرج عنه مؤخرًا. وتعتبر كتاباته مرجعًا للسَّلفية الجهادية العالمية، وله مؤلفاتٌ ورسائل وفتاوى عديدة؛ منها: ملة إبراهيم، والكواشف الجليّة في كفر الدولة السعودية، وإمتاع النظر في كشف شبهات مرجئة العصر، والديمقراطية دين، وإعداد القادة الفوارس بهجر فساد المدارس، والرسالة الثلاثينيّة في التّحذير من الغلوّ في التفكير، ووقفات مع ثمرات الجهاد، وكشف النقاب عن شريعة الغاب، ومشروع الشرق الأوسط الكبير. وله موقعٌ على شبكة الإنترنت بعنوان «منبر التوحيد والجهاد».

عطية الله[1] فقد اشتهر بكونه منسقاً عملياتياً، لذلك فإن اجتهادات ومواقف المقدسي أكثر تشدداً فيما يتعلق بالمسائل العملية، بينما اجتهادات ومواقف عطية الله أقل تطرفاً، فعلى سبيل المثال فإن المقدسي يطلق وصف «الإرجاء» (أي عدم الالتزام بمضامين الإيمان الحقيقي؛ عقائدياً وعملياً) على أغلب الجماعات

(1) اسمه الحقيقي جمال إبراهيم اشتيوى المصراتي المعروف باسم عطية الله الليبي، فقد ولد في مصراتة بليبيا سنة 1969، وذهب إلى أفغانستان في أواخر عام 1988، وهناك انضم لتنظيم القاعدة في معسكر (جاجي) في أفغانستان، وكان ممن انضم لتنظيم القاعدة منذ بداية تأسيسه، وشارك في بعض العمليات الكبرى في أفغانستان مثل: عملية فتح خوست، وكان قد تخصص في سلاح الهاون (الغرناي)، وكذلك كان متخصصًا في المتفجرات، وبعد سقوط نظام محمد نجيب الله واندلاع القتال بين الأحزاب الأفغانية توجه إلى السودان ليلحق بقيادات التنظيم بمن فيهم أسامة بن لادن، وفي سنة 1995 وبتوجيه من أسامة بن لادن ذهب عطية الله للمشاركة في قيادة الجهاد في الجزائر، ثم عاد إلى أفغانستان مرة أخرى. وبعد هجمات 11 سبتمبر ذهب إلى الدول المجاورة، ثم عاد مع مجموعة من رفاقه لبعض المناطق الآمنة في أفغانستان، وعندما قامت الولايات المتحدة بغزو العراق كلّف أسامة بن لادن عطية الله سنة 2006 بالذهاب إلى العراق لقيادة الجهاد هناك جنباً إلى جنب مع أبو مصعب الزرقاوي، ولكنه لم يتمكن من الدخول إلى العراق وعاد إلى أفغانستان. وبعد عودته إلى أفغانستان لعب دورًا كبيرًا ومحوريًا في قيادة التنظيم، فقد كان نائب المسئول العام للتنظيم مصطفى أبو اليزيد وما لبث أن أصبح المسؤول العام ثم الرجل الثاني في التنظيم بعد وفاة أسامة بن لادن ومصطفى أبو اليزيد، وكان مسؤول العمل الخارجي للقاعدة والمنسق العملياتي للفروع الإقليمية، ويُعد من أبرز المنظرين الاستراتيجيين للقاعدة ومن قيادات الصف الأول للتنظيم، والقائد العسكري لعمليات تنظيم القاعدة في باكستان، وكان على قائمة المطلوبين للسلطات الأمريكية، وله مجموعة من الكتب والرسائل والتوجيهات، نشرت بعد مقتله في مجلد كبير بعنوان «الأعمال الكاملة للشيخ الشهيد عطية الله الليبي»، وقد قتل عن طريق طائرة أمريكية بدون طيار في منطقة وزيرستان في باكستان في 22 آب/ أغسطس 2011.

الإسلامية، وعلى من لا يكفِّر الحكام الحاكمين بالقوانين الوضعية، أما عطية الله فيقر بوجود خلاف معتبر ولا يصف المخالفين بالمرجئة من أجل هذه المسألة.

يلتمس عطية الله بخلاف المقدسي العذر لمن يشارك في البرلمانات بنية الإصلاح واستصدار قرارات وقوانين إسلامية، ويرى وجوب عدم التسرع في تكفيرهم، ولا يرى عطية الله أي مخالفة شرعية في تلقِّي المجاهدين الدعم والتنسيق العسكري والمعلوماتي مع دولة كافرة ضد دولة كافرة أخرى، طالما أن هذا الفعل يخدم الجهاد ويصب في مصلحة إحدى قضايا المسلمين، بينما المقدسي يستنكر هذه الأفعال ويعدها خللاً في العقيدة والمنهج.

على صعيد التكفير والموقف من الجماعات الأخرى فكان عطية الله ينبه كثيراً ويحذر شباب التيار الجهادي الناشئ من الخوض في مسائل تكفير الأفراد والجماعات، ويرى أنه يكفيهم الإيمان الإجمالي بالله والكفر الإجمالي بالطاغوت، أما الحكم على الشخص الفلاني والجماعة الفلانية فهذه تفاصيل قضائية منوطة حصراً بالعلماء، أما المقدسي فلا يولي هذه المسألة اهتماماً كبيراً في تطبيقاته العملية، ولذلك انتقد عطية الله المقدسي بقوله «ثم إنني ألاحظ أن هناك مبالغة قد تكون مقصودة من البعض، بالقول إن الشيخ المقدسي من قيادات الجهاد، ومن منظري الحركات الجهادية! ورأيت بعضهم يعتبره من أكبر المنظرين وما شابه ذلك من عبارات! وهذا في رأيي مجانب للواقع وليس بدقيق أبداً لمن أراد أن ينصف»[1].

لا توجد مراجع متخصصة في تأطير أيديولوجيا الحراس، إذ تبرز من خلال تعليقات ومواقف تظهر على شبكة الانترنت، وهي تتماهى مواقف وأطروحات

(1) انظر: كرم الحفيان، المقدسي والسلفية الجهادية: المكانة والتأثير، المعهد المصري للدراسات، على الرابط:

https://tinyurl.com/ssskkyje

المقدسي، فعقب الصدام بين الحراس والهيئة في حزيران/ يونيو 2020، وكان المقدسي شن هجوماً عنيفاً على هيئة «تحرير الشام»، وأفتى بتحريم الانتساب لجهاز الأمن العام التابع لها، وقال: «لا يجوز لمسلم، والحال كذلك، أنْ يعمل في هذا الجهاز الخبيث، الذي يعمل سنداً وعونا وذنباً لاستخبارات دولة علمانية عضو في حلف الناتو»، وتابع: «عندنا أنّ مَن أعان الاستخبارات التركية على المسلمين، فقد ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام المعروفة، وهو (مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين)». وكان المقدسي قال عبر قناته في «تيليغرام»، إنه «ثبت لدينا ظلم وظلمات أمني «هيئة تحرير الشام»، بل وتعاونهم مع الاستخبارات التركية في تفاصيل تحقيقاتهم مع المسلمين»، وأضاف: «من أعان الاستخبارات التركية على المسلمين، فقد ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام المعروفة».

على الجهة المقابلة كانت هيئة تحرير الشام قد أعلنت في تشرين أول/ أكتوبر 2020 التبرُّؤ من منهج وسلوك المقدسي، بعد أن كان التنظيم يعتبره من أهم المرجعيات الدينية له، ويخاطبه بشيخنا، وجاء في بيان صادر عن «المجلس الشرعي العام» التابع لـ «تحرير الشام»، البراءة من «المقدسي»، قائلا: «ليس منا ولسنا منه، ولا على طريقته، ونفرق بين منهجه البدعي في التوحيد، وبين منهج التوحيد الذي تلقيناه عن أهل العلم سلفا وخلفا، نبرأ إلى الله مِن منهج البرقاوي وسلوكه»، واتهم البيان المقدسي بإطلاق عبارات «التكفير والعمالة والخيانة»، والانحياز ل«جماعة الخوارج»، وإثارة الفتن في «الساحات الجهادية»، سواء في أفغانستان أو العراق، والفجور في الخصومة، وعدم مراعاة فقه الخلاف ولا أدبه[1].

---

(1) انظر: تحرير الشام» تنقلب على «المقدسي» وتمنع تداول كتبه، موقع عربي 21، على الرابط: https://tinyurl.com/hczkeb9j

نظراً لمكانة المقدسي عند حراس الدين ومعظم أتباع الجهادية العالمية، شنت هيئة تحرير الشام حملة واسعة من أجل تشويه سمعة المقدسي، فقد أسست «البيّنة» للإعلام موقعًا إلكترونيًا ساخراً يبدو وكأنه مكتبة «منبر التوحيد والجهاد» القديمة الخاصة بالمقدسي التي تضم مصادر رئيسية للجهاد. لكن بخلاف الموقع الأصلي، فإن هذا الموقع هو بمثابة خدعة تسعى إلى نزع الشرعية عن المقدسي من خلال تسليط الضوء على مقالات تعرض تطرفه ووجهات نظره الخاطئة. وفي القسم العلوي من الموقع، يشير مبتكروه إلى أن المقدسي كان قد صمم موقع «منبر التوحيد والجهاد» ليكون «منصة إعلامية كرتونية له» وشرحوا بتهكم أن «التوحيد هو علامة مسجلة باسم المقدسي» وقد سُمح له بمحض إرادته بتحديد من هو شرعي.

ومن الواضح أن الموقع مُعد للتنديد بوجهات نظر المقدسي المثيرة للجدل على مر السنين. ومن المثير للاهتمام أن الموقع ينشر أيضاً اقتباسات من مؤسس تنظيم «الدولة الإسلامية» أبو مصعب الزرقاوي وأحد أبرز منظّري «القاعدة» تاريخياً، عطية الله عبدالرحمن الليبي، والتي تصف المقدسي بأنه مهم وساهم في الحركة الجهادية لكنها ترفض فكرة كونه معصوماً عن الخطأ وأن كل ما يقوله حقيقياً[(1)].

2. الخلافات الأيديولوجية تعصف بـ «حراس الدين»

أحد أبرز الخلافات في الاتجاهات المتعددة في أوساط حراس الدين، يتمثل بالأولويات العملية ومستنداتها النظرية الشرعية، فقد تبنى أبو يحيى الجزائري وأبو ذر المصري هما عضوان في المجلس الشرعي التابع للتنظيم، عدم المشاركة في بعض

(1) انظر: هارون ي. زيلين، العيش طويلاً بما يكفي لترى نفسك تصبح الرجل الشرير: قضية أبو محمد المقدسي، معهد واشنطن، على الرابط:

https://tinyurl.com/re79h97n

محاور القتال إلى جانب فصائل المعارضة القادمة من مناطق درع الفرات، إذ كتب أبو يحيى الجزائري مقالاً ينتقد فيه قرار الأمراء إباحته الدفاع تحت الرايات الوطنية بإطلاق ودون تفصيل، رغم أن هدفها ليس تحكيم الشريعة، إلى جانب الملاحظات الشرعية والعقدية التي أبداها أبو يحيى الجزائري وأبو ذر المصري بشأن مشاركة «حراس الدين» إلى جانب فصائل درع الفرات في المعارك، وحول ملاحظات تنظيمية وتكتيكية تتعلق بضرورة فتح جبهات ومحاور قتال جديدة، ولم يكن هذان القياديان وحدهما من يعلن عن تحفظاتهما الشرعية والتنظيمية والعسكرية اتجاه تنظيمهما بل تابعهما في ذلك عشرات الناشطين والمدونين الجهاديين المحسوبين على الحراس وإعلامها الرديف، بل وقادة آخرون لعل من أبرزهم أبو يمان الوزاني المسؤول القضائي في التنظيم.

أمام تصاعد واتساع دائرة النقد الموجه لقيادة حراس الدين من طرف أبو يحيى الجزائري وأبو ذر المصري وتلامذتهما وأتباعهما، وتحوله من ملاحظات وتحفظات شرعية وعسكرية إلى توجه أيديولوجي، قرر مجلس قيادة التنظيم فصل كل من أبي ذر وأبي يحيى، لكنهما لم يمتثلا للقرار وأكدا أن قرارات الفصل من صلاحيات القضاء وليس القيادة. وتفاعلاً مع موقفهما قام نحو 300 عضو في تنظيم حراس الدين بينهم قادة ومسؤولون برفع دعوى قضائية لحل القضية. وفي اليوم نفسه استجاب أبو عمرو التونسي - قاضي الحدود والتعزيزات في التنظيم- للدعوى المرفوعة إلى القضاء، وشرع بإصدار مذكرات استدعاء بحق المعنيين بالقضية، وهم أبو همام الشامي، وسامي العريدي، وأبي يحيى الجزائري، وأبي ذر المصري، ولم تكتف قيادة حراس الدين بتجاهل مذكرات الاستدعاء، وقامت بإصدار تعميم جديد فصلت بمقتضاه عدداً من المسؤولين في التنظيم أبرزهم القاضي أبو عمرو التونسي نفسه وأبو يمان الوزاني وأبو مصعب الليبي، مما أدى إلى

عمليات فرز واستقطاب حادة على الأرض وعلى منصات مواقع التواصل الاجتماعي، واتهامات متبادلة.

في 30 حزيران/يونيو 2019، بعد أربعة أيام فقط من إصدار القضاة المفصولين مذكرات استدعاء بحق قادة التنظيم، قامت طائرات التحالف الدولي بقصف اجتماع ضم عدداً من القادة والمسؤولين الشرعيين المفصولين أدى إلى مقتل عدد منهم، وكان من أبرز من قضوا في هذا القصف القاضي أبو ذر المصري والقاضي أبو عمرو التونسي وغيرهم، وإصابة آخرين أبرزهم الشرعي أبو يحيى الجزائري والمسؤول القضائي أبو يمان الوزاني. وبهذا القصف المميت يكون التيار المعارض لتوجهات قادة التنظيم قد تلقى ضربة كبيرة وموجعة.

لقد تطور الخلاف من الجانب العملي إلى النظري، حيث بلغ إلى مستوى من السجال حول معنى «التوحيد»، ومفهوم «الولاء والبراء»، وتطبيق الشريعة وصولا إلى نواقض الإسلام والكفر والردة. وأدت إلى انشقاقات عن الحراس، ومنها مجموعة تطلق على نفسها «أنصار الحق»، يقودها المسؤول القضائي السابق في حراس الدين أبو يمان الوزاني، الذي قامت هيئة تحرير الشام باعتقاله بعد ذلك متهمة إياه بالغلو والتكفير[1].

3. الرؤية الإستراتيجية: الالتزام بـ «حرب العصابات»

على صعيد الرؤية الإستراتيجية، تبدلت أولويات حراس الدين ورؤيتها، تبعاً لتحولات القيادة المركزية، التي تبنت دمج الأبعاد المحلية والعالمية في مشروعها، وزاوجت بين النكاية والتمكين، وحروب السيطرة والعصابات، وتطبيق الشريعة

(1) انظر: عبدالغني مزوز، تنظيم حراس الدين: إشكاليات النشأة والتفكيك، مرجع سابق.

على أي منطقة محررة، من خلال نظرية «أنصار الشريعة»، التي أصبحت الإستراتيجية الأساسية للقاعدة، بعد الربيع العربي، وبعد فشل الإستراتيجية الجديدة في اليمن والعراق ومالي، وغيرها من المناطق، تراجعت القاعدة عن نهج حروب التمكين والسيطرة المكانية، وعادت إلى إستراتيجيتها المفضلة بأولوية قتال العدو البعيد، من خلال نهج حرب العصابات والنكاية، وقد عبّر الظواهري عن العودة إلى نهج قتال العدو البعيد، والعودة لتكتيكات حرب العصابات بوضوح في أيلول/ سبتمبر 2013 تحت عنوان «توجيهات عامة للعمل الجهادي»، وأصبحت واضحة في خطاباته اللاحقة، ومنها كلمة بعنوان «انفروا للشام» في 5 أيار/ مايو 2016.

منذ الإعلان عن تأسيس حراس الدين بداية 2018، وهو يدعو إلى لانتقال من أساليب المواجهة المباشرة إلى أساليب حرب العصابات القائمة على تكتيكات الإغارة والكمائن وتجنب السيطرة على الأرض أو الظهور العلني في القرى والمدن، استجابة لرؤية القيادة المركزية، فقد نشرت مؤسسة السحاب التابعة لتنظيم القاعدة في 23 نيسان/ إبريل 2017 كلمة للظواهري بعنوان «الشام لن تركع إلا لله» قال فيها أن « إستراتيجية الجهاد في الشام يجب أن تركز على حرب العصابات، التي تسعى لإنهاك الخصم واستنزافه، وهي وسيلة المستضعفين ضد المستكبرين في كل زمان، وأن لا تهتم كثيراً بالتمسك بالأرض، بل تركز على تحطيم معنويات الخصم وإيصاله لهاوية اليأس، بتكرار الضربات عليه، وإنزال الخسائر الفادحة بجنده»[1]، وكتب الشرعي العام لتنظيم حراس الدين سامي العريدي مؤكداً على ضرورة الإسراع إلى اعتماد أسلوب حرب العصابات والاستجابة

(1) انظر: أيمن الظواهري، الشام لن تركع إلا لله، مؤسسة السحاب، على الرابط:
https://tinyurl.com/2n9w4hdc

لتوجيهات القيادة المركزية للقاعدة، قائلاً: «وفي خضم هذا الواقع الخطير ينبغي على قادة المجاهدين أن يستفيقوا ويراجعوا مشاريعهم التي تخالف الواقع ويعيدوا ترتيب أوراقهم وصفوفهم ويعدوا أنفسهم لحرب عصابات وكر وفر؛ تعب الصادقون والحكماء وهم ينصحون بها ولكن سكرة الإمارة والسيطرة على الأرض أذهلت كثيراً منهم عن هذه النصائح حتى بلغ الأمر ببعضهم أن يقول نحن نسيطر على مساحات أكبر من مساحات بعض الدول القائمة الآن كقطر أو البحرين أو الكويت» وأضاف: «حان للمجاهدين الصادقين أن يلتفوا حول راية الحركة الجهادية العالمية ويسمعوا لتوجهات ونصائح قادتها وعلمائها ويعيدوا ترتيب أوراقهم وصفوفهم ويربوا جنودهم ويعدوا أنفسهم لحرب عصابات، وحرب كر وفر فالمسألة لا تحتمل التأخير»[1].

وأكد أمير الحراس أبو همام الشامي، على التوجه ذاته بكلمة صوتية بتاريخ 7 آذار/ مارس 2020، قائلاً «ولا تقتصروا على مواجهة عدوكم في القتال وجها لوجه، بل استخدموا معه كل التكتيكات، ومن أفضلها وأنجعها حرب العصابات، فهي حرب المستضعفين، فأرعبوهم بالتسلل وأرهبوهم بالإغارات، وكثفوا عليهم الإغارة الكرة تلو الكرة، والإغارة تلو الإغارة، واكتموا أنفاسهم بالانغماسيين والاستشهاديين، وفخخوا الأرض من تحتهم، وشركوا الأشجار والحجارة، وأحيلوا ليلهم نهارا ونهارهم نارا»[2].

---

(1) انظر: سامي العريدي، بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى، على الرابط
https://tinyurl.com/ruwpm86p

(2) أبو همام الشامي، يا أهل الشام الثبات الثبات، كلمة صوتية مؤسسة شام الرباط للإنتاج الإعلامي، على الرابط:
https://tinyurl.com/2f76k3p9

إلى جانب أنشطته العسكرية، عمل تنظيم «حراس الدين» في ذروة نشاطه قبل انحساره على نشر أيديولوجيته في أجزاء مختلفة من محافظة إدلب، فقد أنشأ مؤسسة دينية عبر «مركز دعاة التوحيد الدعوي» التابع له بقيادة أبو أسامة الشوكاني، ومن بين الشخصيات الرئيسية الأخرى التي ساهمت بنشر رسالته الدينية أبو هريرة الشامي وأبو البراء المهاجر (الملقب بالتونسي) وأبو عدنان الشامي وأبو محمد الشامي وقسورة الشامي وأبو عبدالرحمن المكي.

تركز أنشطة المركز على خطب الجمعة، ومحاضرات الشباب، ومنتديات الدعوة العامة، وجولات الدعوة، والدروس الثقافية، وزيارات المستشفيات. كما يوزع الأعضاء منشورات أيديولوجية عند نقاط تفتيش السيارات ويعلقون لافتات تروّج لأيديولوجيتهم أو فعالياتهم.

منذ تأسيسه، استخدم الحراس مصادر إلكترونية للترويج لما يصل إلى 100 فعالية مماثلة في 14 مدينة وقرية مختلفة في إدلب، بالإضافة إلى ذلك، افتتح «مركز دعاة التوحيد الدعوي» مدرسة صيفية للأطفال من عمر 5 إلى 10 سنوات في سهل الروج، يوفر فيها مواصلات مجانية وتعليم اللغة العربية والإنجليزية والدراسات الدينية (القرآن والحديث والشريعة) والأنشطة الرياضية.

وعمل التنظيم على إنشاء «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، ومن بين الأنشطة الأخرى، يقوم أعضاء الهيئة بدوريات حسبة ويوزعون ملابس شرعية على طالبات المدارس، ونظم حملات لجمع التبرعات تحت شعار أن «المال هو ركيزة الجهاد ومن دونه قد تضعف قدرات المجاهدين»، طلبت من المؤيدين

بعث رسائل على حسابات مخصصة في «تيليغرام» و«واتساب»، تزودهم لاحقاً بمعلومات عن حسابات مصرفية يمكنهم إرسال الأموال إليها[1].

على صعيد النشاط الإعلامي للحراس، أعلن التنظيم عن افتتاح «مؤسسة شام الرباط» في 3 نيسان/إبريل 2018، كجهة رسمية مخولة بإنتاج ونشر المواد الإعلامية الخاصة به، وبعد مرور أكثر من عامين على إطلاق المؤسسة صدر عنها 21 بياناً عبّرت عن مواقف التنظيم من مختلف القضايا، سبعة منها تهم قضايا خارجية لا علاقة لها بالثورة السورية.

كما صدر عن التنظيم 7 أفلام مرئية قصيرة، 3 منها عبارة عن كلمات مصورة للشرعي العام سامي العريدي، و3 منها تنقل جانباً من معسكرات الإعداد التابعة للتنظيم وجزءًا من مؤازراته للجبهات، وواحد نقل عملية عسكرية للتنظيم. أما المقاطع الصوتية فقد أصدر التنظيم 3 منها تهم القائدين أبي الهمام الشامي أبي عبدالرحمن المكي.

خاتمة الفصل

«حراس الدين» وأفول مشروع القاعدة في المشرق

راهنت قيادة التنظيم المركزي في خراسان، وقيادته الإقليمية في إيران على الفرع السوري للقاعدة لإحياء مشروع القاعدة الطموح في بلاد الشام، لاعتبارات

(1) انظر: هارون ي. زيلين، «حراس الدين»: جماعة تنظيم «القاعدة» المتغاضى عنها في سوريا.

دينية وإستراتيجية، حيث دخل تنظيم «القاعدة» في فترة مبكرة إلى سورية عقب الانتفاضة الشعبية ضد النظام، وسرعان ما تحولت سوريا إلى أهم ساحة قتالية جهادية للحركات الجهادية المعولمة، حيث تقاطر جهاديو القاعدة المعولمين من شتى بقاع الأرض، وانخرطوا في جماعات جهادية عديدة للتعمية على صلاتهم التنظيمية وانتماءاتهم الأيديولوجية.

يعتبر تنظيم «حراس الدين» الفرع الأحدث تأسيساً بين الفروع الإقليمية للقاعدة، فقد ظهر في شباط/ فبراير 2018، وكانت ولادته عسيرة بعد مسار شاق أسفر عن فشل مشروعات القاعدة في العراق وسوريا تباعاً، عقب تمرد الفرع العراقي وانشقاقه عام 2013، وتبعه تمرد الفرع السوري بفك ارتباط جبهة النصرة 2016، ثم تشكيل هيئة تحرير الشام بعد نحو عامين.

لقد تمكن تنظيم حراس الدين خلال فترة وجيزة من الصعود والصمود، إذ تنامت قدرات الفرع الجديد للقاعدة في شمال شرق سوريا، والذي استغّل انشغال قوات التحالف الدولي بقيادة واشنطن بمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية، وفي أعقاب هزيمة تنظيم الدولة في المنطقة، وطرده من آخر معاقله في «الباغوز» شمال شرق سوريا في آذار/ مارس 2019، وفي أوج صعود الحراس بدأت الولايات المتحدة الالتفات أكثر إلى الخطر القاعدي الصاعد في سوريا.

لم تكن هزيمة تنظيم الدولة فرصة القاعدة بإعادة تقديم نفسها وكيلاً حصرياً للجهادية العالمية، وإعادة بناء القاعدة في سوريا، فقد فسحت هزيمة تنظيم الدولة المجال للولايات المتحدة للالتفات أكثر إلى الفرع الصاعد للقاعدة في سوريا، بعد أن تكاثرت التقارير عن خطر نهج القاعدة ومشروعه الجديد بدمج البعد المحلي بالبعد العالمي في القتال عبر بوابة سوريا..

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تمسكّت بوصف هيئة تحرير الشام منظمة إرهابية تابعة للقاعدة، إلا أنها بدت تفرّق بين نهج الهيئة والحراس، فقد أكّد كوتس في شهادته أن تنظيم هيئة تحرير الشام وتنظيم حراس الدين يتشاركان في التاريخ والأيديولوجيا، ولكنهما يختلفان حول السياسة. فقد ركز هيئة تحرير الشام أجندته على سوريا، مع عدم العناية بشن هجمات في الخارج. وعلى النقيض من ذلك، قيل إن لدى تنظيم حراس الدين نظرة أكثر عالمية، وسرعان ما صنّفت الولايات المتحدة حراس الدين منظمة إرهابية تتبع القاعدة في 10 أيلول/ سبتمبر 2019، وخصصت الخارجية الأميركية مكافئة مالية كبيرة قدرها خمسة ملايين دولار تستهدف ثلاثة من كبار القادة في التنظيم، وهم: أبو عبدالكريم المصري وفاروق السوري وسامي العريدي.

في ظل المتغيرات الجديدة وقع تنظيم حراس الدين بين مطرقة للولايات المتحدة، وسندان هيئة تحرير الشام، وباتت قيادات ومقرات التنظيم هدفاً مفضلاً للطائرات الأمريكية من الجو، وصيداً سهلاً لقوات هيئة تحرير الشام على الأرض، فقد فتحت وزارة الدفاع (البنتاغون) خطاً ساخناً مع القادة الروس، للسماح للأمريكيين بالقيام بغارات جوية من دون اعتراضها ضد قادة من تنظيم القاعدة ومعسكرات تدريب في حلب وإدلب.

وفي الوقت الذي كانت طائرات التحالف تعمل دون كلل على اصطياد وقتل رؤوس التنظيم جواً، كانت قوات الهيئة وأجهزتها الأمنية تشن حملة اعتقالات ومصادرة مقرات براً، فقد شجعت الإشارات الأمريكية بالتفريق بين الحراس والهيئة، الأخيرة على ممارسة المزيد من الضغوطات على حراس الدين، الذي اتهم الهيئة بالتعاون مع الولايات المتحدة وتقديم معلومات استخبارية ثمينة.

لا يزال تنظيم حراس الدين تحت الضغط ويصارع البقاء في ظل حملة جوية للتحالف الدولي بقيادة واشنطن، وحملة برية لهيئة تحرير الشام، لكن مشروع القاعدة الطموح في سوريا الذي شهد صعوداً بداية تأسيسه 2018، وتمكن من تجنيد نحو 5 آلاف مقاتل، ونسج علاقات وتحالفات مع حركات سلفية جهادية، شهد نكوصاً بداية 2021، ولم يعُد لديه أكثر من 500 مقاتل مشتتين ومبعثرين، دون توافر تمويلات كافية ومقرات ثابتة وأسلحة ثقيلة ومتوسطة، ويقتصر وجودهم على شكل خلايا متفرقة دون قيادة مركزية، وهم في حالة خوف وحذر دائم خشية ضربات التحالف الدولي، أو اعتقالات هيئة الجولاني.

وبحلول عام 2021 كان تنظيم حراس الدين قد خسر معظم قياداته، عن طريق غارات جوية أمريكية بطائرات دون طيار، أو عن طريق الاغتيالات الميدانية، إذ استهدفت هجمات التحالف الدولي في مرحلة مبكرة القيادات الجهادية المرتبطة بالقاعدة في سوريا، التي أطلقت عليها الولايات المتحدة «مجموعة خراسان»، فقتل محسن الفضلي بتاريخ 8 تموز/ يوليو 2015، وفي 5 تموز/ يوليو 2015، قتل الفرنسي دافيد دروجون، وفي 15 تشرين أول/ أكتوبر 2015 قتل عبدالمحسن عبدالله إبراهيم الشارخ المعروف بـ«سنافي النصر»، وفي 5 آذار/ مارس 2015، قتل أبو عمر الكردي، وأبو مصعب الفلسطيني، وأبو البراء الأنصاري، وفي 3 نيسان/ أبريل 2016 قتل أبو فراس السوري، وفي 5 من نيسان/ أبريل 2016، قتل رفاعي طه الملقب بأبي ياسر المصري، وفي 3 تشرين أول/ أكتوبر 2016 قتل أحمد سلامة مبروك الملقب بأبي الفرج المصري، وفي 8 أيلول/ سبتمبر 2016، قتل أسامة نمورة الملقب أبو عمر سراقب وأبو هاجر الحمصي، وفي 26 شباط/ فبراير 2017، قتل أبو الخير المصري أحمد حسن أبو الخير.

لم يتراجع الضغط الأمريكي بعد تأسيس حراس الدين فقد تزايدت وتيرة استهداف قيادات التنظيم، وكان إياد الطوباسي الملقب أبو جُليبيب الأردني، قد قُتل أواخر كانون أول/ ديسمبر 2018، في منطقة اللجاة بريف درعا، برصاص قوات النظام، أثناء محاولته تأسيس فرع في جنوب سوريا، وقُتل القيادي الأردني ساري شهاب الملقب أبو خلاد المهندس، في 22 آب/ أغسطس 2019، بانفجار عبوة ناسفة في سيارته في إدلب، وفي 30 حزيران/ يونيو 2019، قتل عناصر من تنظيم «حراس الدين»، في قصف من طائرات أميركية، على منطقة ريف المهندسين غربي حلب، وعُرف من بين القتلى القياديين أبو عمر التونسي، وأبو ذر المصري، وأبو يحيى الجزائري، وأبو دجانة التونسي، وفي 22 كانون أول/ ديسمبر 2019،.قُتل بلال خريسات الملقب أبو خديجة الأردني، بغارة أميركية استهدفت سيارته قرب ترمانين بريف إدلب الشمالي، وفي 15 تشرين أول/ أكتوبر 2020، قتل أبو محمد السوداني بغارة جوية أمريكية في بلدة «عرب سعيد» غربي مدينة إدلب، وفي 14 يونيو / حزيران 2020، قتل خالد العاروري الملقب أبو القسام الأردني، بغارة جوية أمريكية في محافظة إدلب شمال غرب سوريا.

مشاكل حراس الدين لم تتوقف عند على ضربات التحالف الدولي، وملاحقة واعتقالات هيئة تحرير الشام، فقد ساهمت الخلافات الداخلية الأيديولوجية والنزاعات الشخصية والصراعات المناطقية الجهوية، بانحسار التنظيم وانحداره، فبالرغم من تبني الحراس لأطروحات وأفكار ومواقف المدرسة السلفية الجهادية، ووجود روابط تنظيمية وصلات أيديولوجية للأشخاص والكيانات التي شكّلت تنظيم حراس الدين بالقاعدة، إلا أن التنظيم لم يكن يتوافر على تجانس أيديولوجي صلب ومشتت بين اجتهادات ومدارس سلفية جهادية عدة، ومنقسم في مجال

النظر والعمل، إذ يستند فريق على الصعيد النظري إلى مرجعية أبو محمد المقدسي، والآخر إلى عطية الله الليبي، ومنقسمة على الصعيد العملي بين نهج أسامة بن لادن ونهج أبو مصعب الزرقاوي، ومنذ تأسيس الحراس كان التنظيم يفتقر إلى هيكل تنظيمي مركزي متماسك، تتوزع مكوناته التنظيمية إلى مجموعات صغيرة متناثرة، وتعاني من شح الموارد والتمويل.



الخاتمة

من الخطأ الفادح عزل مشروع القاعدة عموماً، وفي المشرق العربي خصوصاً (العراق وبلاد الشام) عن البيئة السياسية والإستراتيجية، دولياً وإقليمياً وداخلياً. فأيديولوجيا القاعدة تطورت في سياقات تاريخية وسياسية كانت عاملاً مهماً في تفسير التحولات والتطورات التي مرّ بها التنظيم ثم الشبكات المتعددة التي تفرّعت عنه، منذ مرحلة مبكّرة أي تأسيس الجماعات المحلية ذات الفكر الجهادي الذي يقوم على مبدأ «قتال الأنظمة» بوصفه «الفريضة الغائبة» على حد تعبير محمد عبدالسلام فرج وصولاً إلى تنظيم حراس الدين، الذي يمثّل اليوم ما آل إليه مشروع القاعدة في المنطقة أو بعبارة أدق مسار الصعود والهبوط منذ احتلال العراق في العام 2003.

شكّل انهيار الاتحاد السوفيتي خيطاً رئيساً في رحلة القاعدة، فقد أتى بعد «الجهاد الأفغاني»، الذي شكّل ظاهرة «الأفغان العرب»، وتزامن مع حرب الخليج الثانية في بداية تسعينيات القرن المنصرم، ولاحقاً «عولمة الجهاد» في العام 1998، التي نقلت الجهاديين من الساحات المحلية ومن استراتيجيات مقاتلة الأنظمة والاحتلال العسكري المباشر إلى استراتيجيات العدو البعيد، التي تعني التركيز على الولايات المتحدة الأميركية، صاحبة السطوة في نظام دولي أحادي القطبية، لتقع أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2001، ثم الحرب الأفغانية، فاحتلال العراق 2003، الذي كان يفترض أنّه خارج حسابات «الحرب على الإرهاب»، لكن

أجندة المحافظين الجدد آنذاك أدت إلى ولادة القاعدة الحقيقية في العراق، وانتقال أبو مصعب الزرقاوي من شخصية مغمورة في أوساط الجهاديين إلى أحد أهم المطلوبين عالمياً.

انضمام الزرقاوي إلى القاعدة بعد عام من احتلال العراق كان في جزء كبير منه شكلياً، وطمس مؤقتاً جذور الاختلاف بين منهجين؛ القاعدة الذي يركز على «الجهاد العالمي» والفرع العراقي الذي قام بدمج الأبعاد، والجمع بين قتال العدو البعيد والقريب في الوقت نفسه، واستدخال المسألة الطائفية في صلب المنهج الجديد لقاعدة العراق حينذاك.

أطلق احتلال العراق النفوذ الإيراني في العراق، لكن بقيت شخصية بن لادن وما يتمتع به من نفوذ وسمعة في أوساط الجهاديين جداراً منيعاً ضد بروز الخلافات إلى أن جاءت لحظة الربيع العربي، وتواطأت سياسات إقليمية ومحلية على فتح الباب للجهاديين، مرة أخرى، في سوريا والعراق، ولكل دولة أهدافها وأسبابها ومبرراتها، مما أعطى قبلة الحياة مرّةً أخرى لتنظيم الزرقاوي الذي تراجع تحت وطأة الضربات الأمريكية وتشكل الصحوات السنية في العراق 2007-2008، ثم ليعود مع الربيع العربي ويستثمر ما يمكن أن نطلق عليه «الأزمة السنية» في العراق وسوريا، وينتعش من جديد.

هنا، من الضروري أن نتوقف عند أحداث مفصلية بارزة، منها الربيع العربي ثم الثورة المضادة له، التي أطلقتها النظم العربية المحافظة، في محاولة لوقف قطار الديمقراطية، فكانت النتيجة انطلاق قطار آخر في مسار خطير وبسرعة شديدة، ذلك هو قطار القاعدة وفروعها في العراق وسوريا. والمفارقة أنّ الربيع العربي تزامن مع مقتل أسامة بن لادن، الذي كان في ذروة مراجعاته مع الحلقة

القريبة منه لخط القاعدة، ما أفرز تحولاً في رؤية القاعدة وإستراتيجيتها وانبثقت عنها فكرة الجماعات المحلية التي تلتحم بالمجتمع وتبتعد عن الاصطدام به، وجاء الظواهري، الذي لا يتمتع بما كان يملكه سلفه من كاريزما في أوساط الجهاديين، وتنفجر الخلافات الداخلية في وجهه.

في الأثناء ساهمت السياسات الدولية والإقليمية في ترتيب الأوضاع لانبعاث جبهة النصرة، وجه القاعدة الجديد في المشرق، الذي جاء منسجماً مع مراجعات التنظيم، ومخفياً علاقته في البداية مع تنظيم القاعدة المركزي، إلى أن كشف زعيم تنظيم الدولة الإسلامية في العام 2013 عن تلك العلاقة مطالباً الفرع السوري بالانضمام إلى الفرع العراقي لتشكيل دولة ممتدة تجتاح الحدود بين دولتي المشرق العربي، فكان الخلاف الكبير الأول بين القاعدة وفرعها السوري من جهة والفرع العراقي، الذي أعلن الخلافة من جهةٍ أخرى.

ثم عادت السياسات الدولية والإقليمية ذاتها، التي سمحت بنمو «المارد الجهادي»، لتقضي على الدولة الناشئة في العراق وسوريا، ثم تؤدي إلى تمرّد الفرع السوري على القاعدة المركزية، بعد أن تمركز في إدلب، فأصبح رهيناً للمفاوضات الدولية والإقليمية والحسابات الروسية – والتركية.

الجيوبوليتك والأدوار الروسية والتركية والإيرانية والأمريكية والمحلية كلها عوامل مهمة ومؤثرة في ترسيم «حالة إدلب»؛ ففي مقابل حماية جبهة النصرة هناك كان لا بد أن تنفصل عن القاعدة وأن تتحول إلى هيئة تحرير الشام، وتخضع لتلك التوازنات، ليدخل زعيم القاعدة –مرّة أخرى– في صراع جديد مع التنظيم الذي كان يفترض أن يقدم نموذجاً قاعدياً مختلفاً، وهو الأمر الذي انعكس على هيئة تحرير الشام نفسها، فأدى إلى خلافات داخلية وانفصال المجموعة القاعدية المتمثلة بـ«حراس الدين».

المفارقة أن المولود الجديد جاء بولادة قيصرية، وفي ظروف قاسية، وحملت بنيته الأيديولوجية والتنظيمية ووضعه الجغرافي الأزمات المتراكمة والتشوهات التي حدثت خلال الأعوام الأخيرة، ولا تبدو هنالك فرصاً جديّة بأن يشكّل رقماً صعباً في المعادلة السورية، وفي حالة إدلب بخاصة، وعلى الأغلب ليست مجازفة بحثية أن نقول بأنّه يمثّل الرهان الفاشل الأخير للقاعدة في المشرق العربي، على الأقل في المدى القصير وضمن هذه التوازنات الدولية والإقليمية والمحلية.

تلك المتغيرات السياسية انعكست بقوة على أيديولوجيا القاعدة والفروع؛ فتفرُّد الولايات المتحدة في النظام الدولي وحرب الخليج 1990، ساهم في التحول نحو «العالمية» ووقوع أحداث 11 سبتمبر، ثم احتلال العراق وإطلاق المارد الإيراني والنفوذ المرتبط بالمسألة الطائفية أعطى مساحة لمشروع الزرقاوي، الذي بقي مختلفاً مع مشروع القاعدة المركزي في الأولويات والأعداء والاستراتيجيات والتكتيكات، ما ولّد جدلية الخلاف الأيديولوجي على العديد من المسائل الرئيسية: الصراع مع الولايات المتحدة، المسألة الطائفية، العلاقة مع إيران، وإقامة الدولة على الأراضي التي تقع تحت سيطرة الجهاديين، ثم جاءت أحداث الربيع العربي والتحول في السياسات الدولية والإقليمية والثورة المضادة وخصوصية «إدلب» لتولّد الانشقاق الثاني، فنصبح أمام ثلاثة مناهج رئيسية، كما جاء في صفحات الكتاب.

الجغرافيا السياسية حملت اعتبارات مهمة في ترسيم الخلافات الأيديولوجية وتفسير الانشقاقات والتحولات؛ فالقاعدة في أفغانستان اضطرت بعد الحرب الأمريكية عليها إلى عقد صفقة ضمنية مع إيران، بينما الزرقاوي كان يتناغم مع الحالة السنية في العراق ليؤكّد على العداء مع إيران والحكومة العراقية بوصفها

أولوية، أما جبهة النصرة فسياقات الحالة السورية مختلفة ومغايرة لكل من قاعدة أفغانستان وتنظيم العراق، والسياسات الدولية والإقليمية مختلفة، أمريكياً وروسياً وتركياً وإيرانياً، ما دفعها إلى الانفصال والتحلل من نهج القاعدة الدولي ومحاولات الانفكاك من سياسات «الحرب على الإرهاب».

هل بعد هذا الأفول من صعود للقاعدة؟! سؤال صعب لأنّه لا يرتبط بما تقوم به القاعدة أو محاولاتها المتكررة فحسب، بل بالسياقات الدولية والإقليمية والمحلية، لكن يبقى هنالك عامل مهم ورئيس لا يقل تأثيراً عن كل ما سبق، وهو سياسات الأنظمة العربية، فأيديولوجيا تنظيم داعش المتوحشة وصعود الجهاديين في المشرق لم ينفصل عن الأزمات الداخلية وفشل مشروعات التنمية والانسداد السياسي، وإلا كيف صعد الجهاديون في سيناء وليبيا واليمن وتشكلت خلايات ومجموعات وحدثت عمليات إرهابية في العديد من دول العالم العربي؟!

لماذا تمكّن تنظيم دموي متشدد مثل تنظيم «الدولة الإسلامية» من استقطاب عشرات الآلاف؟ ولماذا وجد حاضنة شعبية في العراق وسوريا والعديد من المناطق؟! ولماذا انتعش بصورة كبيرة بعد توقف قطار الربيع العربي ومحاولة السيطرة على المسار الديمقراطي؟!

هنا، بيت القصيد، وملخص القصة؛ صحيح أن هذا الفكر (القاعدي، الداعشي..) لا يؤمن بالديمقراطية ولا بحقوق الإنسان ولا يعترف بالتعددية بأبعادها المختلفة والمتنوعة، إلاّ أنّه يتغذى على مشاعر الإحباط وخيبة الأمل والشعور بالتهميش والظلم وغياب العدالة والحرية، وانسداد المسارات السلمية في التغيير والإصلاح والبحث عن آفاق المستقبل لدى الشباب العربي!

* * *

ملحق

القادة البارزون في تنظيم «حراس الديـن»

نظراً لأهمية مشروع القاعدة في بلاد الشام، فقد أولت قيادة القاعدة المركزية بقيادة الظواهري عناية خاصة بالفرع السوري للقاعدة، حيث أوفدت القاعدة في مرحلة مبكرة مجموعة من كبار القيادات إلى سوريا عُرفت بـ «مجموعة خراسان»، وقد شكلت قيادة القاعدة المركزية لجنة إقليمية خاصة للإشراف على عمل القاعدة في بلاد الشام باسم «لجنة حطين».

لذلك كان تنظيم حراس الدين يتبع تراتبية هيكلية قيادية، تضم قيادات على المستوى المحلي، والمستوى الإقليمي، والمستوى العالمي، إذ خضعت القرارات التنظيمية الإستراتيجية، إلى تراتبية مركزية بينما احتفظت القيادات المحلية بالقرارات التكتيكية.

يمثل أيمن الظواهري في أفغانستان رأس القيادة على المستوى العالمي، بينما مثّلت «لجنة حطين» المتواجدة في إيران المستوى الإقليمي وضمت سيف العدل وأبو محمد المصري، وأبو الخير المصري، وأبو عبدالكريم المصري، وبعد ذهاب الأخيرين إلى سوريا تنوعت أدوارهما.

أما القيادة على المستوى المحلي فقد تولى قيادتها كل من أبو همام السوري، وأبي القسام الأردني، وأبو خديجة الأردني، وأبو جليبيب الأردني، وسامي

العريدي، وخلاد المهندس، وفيما يلي سيرة مختصرة لأهم القيادات في فرع القاعدة السوري تنظيم حراس الدين على المستوى الإقليمي والمحلي[1]:

- **سيف العدل**: اسمه الحقيقي محمد بن صلاح الدين بن عبدالحليم زيدان، من مواليد عام 1960 كان ضابطاً برتبة مقدم في القوات الخاصة المصرية، ألقي القبض عليه في القضية المعروفة إعلاميا بـ «إعادة إحياء تنظيم الجهاد» والتورط في محاولة اغتيال وزير الداخلية المصري حسن أبو باشا. أطلق سراحه لعدم كفاية الأدلة ضده فسافر إلى أفغانستان عام 1989. وقد وظف خبرته العسكرية والأمنية في تأهيل وتطوير قدرات تنظيم القاعدة، وكان مسؤولاً عن معسكر الفاروق في أفغانستان، حيث «اجتهد في تعديل مستوى التدريبات والتكتيكات وطور مناهج المشاة في المعارك، وتولى مسؤوليات كثيرة في القاعدة منها مسؤوليات أمنية»، ويندرج ضمن مهام العدل الأمنية تأمين قيادات وكوادر وكل عناصر القاعدة. وتزوج سيف العدل من ابنة الكاتب والجهادي المعروف أبي الوليد المصري (مصطفى حامد).

لعب العدل دور بارز حسب وثيقة منسوبة إليه في احتواء وتأهيل ودعم أبي مصعب الزرقاوي عندما وصل إلى أفغانستان. وبعد مقتل أسامة بن لادن تم تعيين سيف العدل نائباً ثالثاً لأيمن الظواهري بعد كل من أبي الخير المصري وأبي محمد الزيات. وبمقتل أبي الخير سيصبح سيف العدل نائباً ثانياً بعد الزيات. وقد لجأ سيف العدل إلى إيران عقب الاحتلال الأمريكي لأفغانستان، وتنقل بين الإقامة الجبرية والسجن، إلى أن تم إطلاق سراحه عام 2015 بموجب صفقة

(1) اعتمدنا في سرد سير الجهاديين على مصادر متعددة، وخصوصاً على ما أورده الباحث عبدالغني مزوز، في دراسته المميزة «تنظيم حراس الدين: إشكاليات النشأة والتفكيك».

تبادل للمعتقلين بين إيران والقاعدة في اليمن، على أن يبقى داخل أراضيها، لكنه بات يتحرك هناك بحرية ويمارس مهامه القيادية. وظهر من السجالات التي أعقبت تأسيس جبهة فتح الشام أن سيف العدل رفض رفضاً قاطعا الخطوة، ودفع بقوة باتجاه تأسيس فرع جديد للقاعدة في سوريا. أُدرج على لوائح الإرهاب الأممية والأمريكية، وقد رصدت الخارجية الأميركية مكافآت مالية ضخمة لمن يدلي بمعلومات عنه بقيمة 10 ملايين دولار.

• **أبو الخير المصري**: اسمه الحقيقي عبدالله محمد رجب عبدالرحمن، من مواليد شمال مصر عام 1957، وفق مصادر «جهادية»، وكان يلقب باسم «أحمد حسن أبو الخير»، كان أبو الخير عضوًا في جماعة الجهاد الإسلامي المصرية مع أيمن الظواهري، غادر مصر في منتصف الثمانينات، وتنقل في محطات مختلفة شملت كثيرًا من الدول أبرزها السودان، التي زارها مع الظواهري مطلع التسعينيات، ثم توجه إلى أفغانستان، ليلتحق بركب العاملين تحت جناح أسامة بن لادن، وانضم للقتال في حرب البوسنة في الفترة بين 1992 و1995، وحُكِمَ عليه بالإعدام غيابيًا في مصر سنة 1998 في قضية العائدين من ألبانيا، وقد غادر أفغانستان بعد هجمات 11 سبتمبر، وفر إلى إيران، واعتقل هناك في أبريل 2003، بجانب سيف العدل، وأبو محمد المصري، وفي مارس 2015 أُطلق سراحه من قبل إيران في صفقة تبادل أسرى، سافر بعدها إلى سوريا، وذكرت الاستخبارات الأمريكية أن أبو الخير المصري هو خليفة محتمل لزعيم القاعدة، أيمن الظواهري بعد مقتل نائبه السابق وزعيم تنظيم القاعدة في شبه الجزيرة العربية، ناصر الوحيشي في غارة باليمن في عام 2015، وترأس أبو الخير اللجنة السياسية في القاعدة بالإضافة لكونه عضوًا في مجلس شورى القاعدة، وأدرجت الولايات المتحدة اسمه على قائمة الإرهاب عام 2005.

كان أبو الخير أحد أعضاء لجنة حطين التابعة للقاعدة التي تمثل القيادة الإقليمية لفروع القاعدة في بلاد الشام، وحسب مصادر «جهادية» متطابقة فإن «أبو الخير المصري» بدأ منذ وصوله إلى سوريا، بالعمل على تشكيل فرع لتنظيم «القاعدة» هناك، ونشط عمله إلى جانب آخرين في ذلك، عقب فك ارتباط «جبهة النصر»، بالقاعدة في تموز 2016، وقد أثيرت نقاشات وخلافات حول موقفه من فك ارتباط النصرة بالقاعدة، لكن المؤكد أنه تراجع عن فكرة فك الارتباط، والتزم بقرارات القيادة المركزية للقاعدة، وقتل أبو الخير المصري في 26 شباط/ فبراير 2017، إثر غارة جوية استهدفت سيارته قرب معسكر المسطومة في ريف إدلب، من قبل طائرة دون طيار.

• **أبو محمد المصري**: اسمه الحقيقي عبدالله أحمد عبدالله، يكنى بأبي محمد المصري أو الزيات، ولد في مصر عام 1963، كان ضابطاً في الجيش المصري، وشغل المنصب الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، كان مسؤولاً ومشرفاً ومدرباً للمجموعات المقاتلة التابعة للقاعدة التي قاتلت القوات الأمريكية في الصومال وأرغمتها على مغادرة البلاد عام 1993، وكان أيضاً مشرفاً بشكل مباشر على الإعداد والتخطيط لتفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي وتنزانيا عام 1998، بعد هذه العملية عينه أسامة بن لادن مسؤولاً عن عمليات القاعدة الخارجية، وأصبح بعد مقتل أبي عبيدة البنشيري، الرجل الثالث بعد أسامة بن لادن والظواهري في اتخاذ القرارات ثم أصبح مسؤولاً عن المعسكرات والجبهات كلها، وعن العمل الخارجي أيضا. وكان مع أسامة لادن في السودان وخرجا معاً بعد تصاعد الضغوط على حكومة الإنقاذ حينها. وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر واجتياح القوات الأمريكية لأفغانستان غادر إلى إيران مع عائلته وعائلة أسامة بن لادن وغيره من قادة القاعدة، في إيران وقد تزوج حمزة بن أسامة بن لادن ابنته مريم.

تنقل بين السجن والإقامة الجبرية حتى تمت الصفقة بين قاعدة اليمن وإيران فخرج من السجن لكنه لم يغادر البلد. بعد مقتل أبي الخير المصري أصبح نائباً للظواهري في قيادة القاعدة. وقد اغتيل المصري، في إيران في السابع من أغسطس/ آب 2020 مع ابنته مريم وهي أرملة حمزة بن لادن، في حادث إطلاق نار من سيارة في طهران، على يد عملاء إسرائيليين حسب صحيفة «نيويورك تايمز».

- **محسن الفضلي**: اسمه الحقيقي محسن فاضل إياد عاشور الفضلي، كويتي الجنسية من مواليد 24 نيسان/ إبريل 1981، لعائلة شيعية قبل أن يعتنق المذهب السني، نتيجة تأثره بأفكار تنظيم «القاعدة»، اتُهم بقضايا إرهابية عدة في الكويت وخارجها، وأُدرج اسم الفضلي على قائمة المطلوبين الـ 36 في السعودية في يونيو/حزيران من عام 2005، وذلك بعد أن تم إطلاق سراحه من سجنه السعودي الذي أودع فيه على خلفية ارتباطه بجماعات إرهابية في عام 2001، إثر التحقيق معه بالانضمام إلى ما كان يُسمّى «قضية الأفغان العرب». وقد عمل الفضلي مع ثلّة من الكويتيين على تأسيس خلية «عريفجان» من أجل استهداف القوات الأميركية المتواجدة في الكويت في معسكرها بمنطقة عريفجان في عام 2007، وكذلك في جزيرة فيلكا التي كان يتواجد فيها آنذاك بعض الجنود الأميركيين. وكان القضاء الكويتي قد برّأ في حكمه النهائي الفضلي، من تهمة تفجير المدمرة الأميركية «يو إس إس كول»، الذي تم قبالة السواحل اليمنية في 12 أكتوبر/ تشرين الأول 2000.

دخل الفضلي سورية في نهاية عام 2011، وانضم إلى صفوف جبهة النصرة. وقد أصدرت وزارة الخارجية الأميركية عام 2012 مذكرة عرضت فيها سبعة ملايين دولار مكافأة لمن يرشد عن مكانه. وكانت قد صنفته خلال أعوام

2004 و2005، في قائمة أخطر المطلوبين لديها بتهم الإرهاب، وتشير المعلومات إلى أن زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري، عينه ممثلاً شخصياً له في سورية خلفاً لأبي خالد السوري عقب اغتياله 2014، وكانت الولايات المتحدة استهدفته في سبتمبر/ أيلول 2014، ثم أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية، «البنتاغون»، في بيان بتاريخ 21 يوليو/ تموز 2015 عن مقتله بضربة جوية في سوريا، واعتبرته الشخصية القيادية الأهم في مجموعة خراسان.

- **أبو عبدالكريم المصري**: أحد أكثر الشخصيات غموضاً، إذ لا تتوافر معلومات عن اسمه الحقيقي، لكن المؤكد أنه مصري الجنسية، ويُعرف أيضاً في سوريا باسم كريم، وهو عضو مجلس شورى تنظيم «حراس الدين»، وكان وسيطاً بين حراس الدين و«هيئة تحرير الشام»، وكان مع مجموعة من قيادات القاعدة المتواجدين في إيران، ذهب إلى سوريا بعد عملية لتبادل الأسرى بين القاعدة وإيران تمت في آذار/ مارس 2015، وكان أحد أعضاء «لجنة حطين»، التي شكلتها قيادة القاعدة المركزية بقيادة الظواهري المكلفة بالإشراف على فرع القاعدة في سوريا وبلاد الشام، والتي ضمت مجموعة من قيادات القاعدة المتواجدين في إيران، وهم سيف العدل وأبو محمد المصري، وأبو الخير المصري، وحسب الخارجية الأمريكية فإن أبو عبدالكريم المصري عضو مخضرم في منظمة القاعدة وزعيم بارز في حراس الدين، وهو عضو في مجلس شورى حراس الدين، وقد وضعته الولايات المتحدة على لائحة الإرهاب، ورصدت مكافأة لمن يدلي بمعلومات عنه تصل قيمتها إلى 5 مليون دولار.

- **أبو همام الشامي**: اسمه الحقيقي سمير حجازي، وهو أمير تنظيم حراس الدين، ويعرف أيضا بفاروق السوري، سافر إلى أفغانستان نهاية

التسعينيات والتحق بمعسكر الغرباء التابع لأبي مصعب السوري لمدة عام واحد، انتقل بعدها إلى معسكر الفاروق ثم معسكر المطار، حيث تخرج منه متفوقاً على جميع زملائه باستثناء أبي العباس الزهراني أحد المشاركين في هجمات 11 سبتمبر الذي نال الرتبة الأولى. عينه سيف العدل على منطقة المطار وعمل مدربا في معسكرها، بايع أسامة بن لادن مصافحة، وعينه القائد العسكري للقاعدة أبو حفص المصري مسؤولا عن السوريين في أفغانستان.

غادر مع سيف العدل أفغانستان بعد التدخل الأمريكي، ليتم تكليفه من طرف مصطفى أبو اليزيد بمهمة للقاعدة في العراق، التقى حينها بأبي مصعب الزرقاوي وأبي حمزة المهاجر. عمل على تدريب وتأهيل بعض كوادر تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بتكليف من الزرقاوي. عاد أبو همام السوري إلى أفغانستان في 2005 ليتم تكليفه من قيادة تنظيم القاعدة هناك بترتيب أعمال للتنظيم داخل سوريا، اعتقل في لبنان ومكث في السجن خمس سنوات، خرج بعد الثورة السورية والتحق بجبهة النصرة ليعينه الجولاني قائدا عسكريا عاما لها. وبقي في منصبه حتى تأسيس جبهة فتح الشام حيث استقال من منصبه، وبقي متمسكا ببيعته للقاعدة، إلى أن تم الإعلان عن تنظيم حراس الدين الذي بويع أميرا له. وقد خصصت الخارجية الأميركية في أيلول 2019، مكافئة مالية قدرها خمسة ملايين دولار لكل من يدلي بمعلومات تؤدي إلى تحديد مكانه.

- **سامي العريدي**: اسمه الحقيقي سامي محمود محمد العريدي، ولقبه الحركي أبو محمود الشامي، ولد في عمان سنة 1973 وحصل على درجة البكالوريوس في الشريعة الإسلامية من الجامعة الأردنية، ثم الماجستير من نفس الجامعة، ونال درجة الدكتوراه عام 2001 في علم الحديث. تأثر بالفكر السلفي

الجهادي لكنه حصر نشاطه في الجانب العلمي والنظري حتى اندلاع الثورة السورية في 2011 حيث التحق بها وانضم إلى صفوف جبهة النصرة، تولى منصب الشرعي العام في الجبهة، وخولته قيادتها بالحديث عن عقيدة ومنهج جبهة النصرة، انشق عن تنظيمه بعد الإعلان عن جبهة فتح الشام وبقي محتفظا بولائه لتنظيم القاعدة إلى أن أسس مع رفاقه تنظيم حراس الدين حيث شغل فيه منصب الشرعي الأول. وقد وضعته الخارجية الأمريكية على قوائم الإرهاب في أيلول 2019، وقالت أنه شارك في «مخططات» إرهابية ضد الولايات المتحدة وإسرائيل»، وخصصت مكافئة مالية قدرها خمسة ملايين دولار لكل من يدلي بمعلومات تؤدي إلى تحديد مكانه.

- **أبو القسام الأردني**: واسمه الحقيقي خالد مصطفى العاروري، وهو القائد العسكري لتنظيم حراس الدين، من مواليد عام 1967 من الأفغان العرب القدامى، شارك في المعارك ضد الروس في أفغانستان قبل ثلاثة عقود، تعرف على أبي مصعب الزرقاوي وتوطدت علاقتهما بالزواج والمصاهرة، حيث تزوج إحدى شقيقاته، كما أمضيا مع أبي محمد المقدسي فترة من الوقت في أحد سجون الأردن على خلفية قضية «بيعة الإمام»، وتأثر بكتابات المقدسي خاصة كتابه الشهير ملة إبراهيم. وبعد خروجه من السجن 1999 سافر إلى أفغانستان والتحق بمعسكر هيرات بقيادة الزرقاوي، وبعد هجمات سبتمبر ذهب إلى إيران حيث اعتقل هناك، وأُطلق سراحه سنة 2015 بموجب صفقة تبادل للمعتقلين بين إيران وتنظيم القاعدة في اليمن. حافظ على ولائه لتنظيم القاعدة وبقي على تواصل مع قيادتها.

لعب أبو القسام دوراً رئيسياً في إقناع بعض المجموعات العسكرية بالانشقاق عن هيئة تحرير الشام لصالح مشروع القاعدة الجديد في سوريا. وهو قائد عملياتي

ميداني ولم يعرف عنه نشاط في مجال الكتابة باستثناء بعض الردود القصيرة والمرتجلة التي كتبها أثناء الأزمة مع هيئة تحرير الشام، وقد اعترف في إحداها أن الكتابة والتفاعل مع ما يُنشر على الإنترنت ليسا من أولوياته، وقد صادرت الهيئة حاسوبه الشخصي خلال حملة الاعتقالات التي شنتها ضد الموالين للقاعدة، ووجدت أنه كان على تواصل مباشر مع سيف العدل وأبي محمد المصري ويضعهما في صورة ما يجري في سوريا أول بأول، قتل في 14 يونيو/ حزيران 2020، في قصف جوي من طائرة بدون طيار استهدفت السيارة التي يستقلها في إدلب، وقتل معه أيضاً القيادي في حراس الدين بلال الصنعاني أمير جيش البادية سابقاً.

- **خلاد المهندس**: اسمه الحقيقي ساري محمد حسن شهاب، أردني الجنسية، نشط جهادياً في أفغانستان قبل عشرين عاماً ثم العراق وأخيراً سوريا، لا تتوفر معطيات كثيرة حول سيرته الذاتية، وسبق لقاضي محكمة أمن الدولة الأردنية في حزيران/ يونيو 2004، أن طالب بتجريمه بتهمة المؤامرة بقصد القيام بأعمال إرهابية غيابياً، إلى جانب 15 شخصاً آخر، أهمهم زميله في التنظيم خالد العاروري، وذلك في قضية عرفت بـ «تنظيم القاعدة وحركة أنصار الإسلام»، لكن الثابت أن شهاب كان ضمن قادة القاعدة الذين وصلوا إلى سوريا في 2015 بموجب صفقة تبادل المعتقلين بين قاعدة اليمن وإيران، يبدو من بيان التعزية بمقتله الذي أصدرته القيادة العامة لتنظيم القاعدة أن خلاد كان يحتل مكانة متميزة في التنظيم حيث وصفه البيان بأنه كان «علماً من أعلام الجهاد المخضرمة، وطوداً شامخاً من أطواد الثبات» وأنه «كان من المساهمين في تطوير الحراك الجهادي، فناهض ببحوثه وأفكاره جيوش الأعداء في ساحات الجهاد المتناثرة»، كان خلاد المهندس يكتب في قناته على التيليغرام ويوقع منشوراته باسم «الأمير المنسي». ولعب دوراً مهماً في تأسيس تنظيم حراس الدين وكان من بين القادة الذين اعتقلتهم هيئة تحرير الشام

في حملتها ضد الشخصيات الموالية للقاعدة. وقتل في 22 آب/ أغسطس 2019، بانفجار عبوة ناسفة استهدفت سيارته في مدينة إدلب.

• **أبو جليبيب الأردني**: واسمه الحقيقي إياد الطوباسي من مواليد عام 1974 بمدينة الزرقاء الأردنية، سافر إلى أفغانستان وانضم إلى معسكرات القاعدة، ثم عاد ودخل إلى العراق وانضم إلى صفوف تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بزعامة أبي مصعب الزرقاوي، توطدت علاقته بالزرقاوي الذي تجمعه به أيضا علاقة مصاهرة. بقي في العراق حتى اندلاع الثورة السورية في 2011، وصل إلى سوريا قادما من العراق في نفس السنة وذهب إلى منطقة درعا ليساهم في تأسيس الخلايا الأولى لجبهة النصرة ويتولى إمارتها هناك. وغادر درعا متوجها إلى مدينة إدلب مع كبار قادة جبهة النصرة كأبي مارية القحطاني ومظهر الويس وسامي العريدي وأبو محمد شحيل وغيرهم، في الشمال، وقد عينه الجولاني أميراً على منطقة الحدود والساحل، لكن ما لبث أن ترك منصبه وقرر العودة إلى درعا في الجنوب، لكن قيادة الجبهة رفضت بشكل قاطع السماح له بالعودة إلى هناك واعترضت طريقه أكثر من مرة. وبعد الإعلان عن تأسيس جبهة فتح الشام رفض أبو جليبيب الخطوة وأعلن عن ولائه لتنظيم القاعدة، اعتقلته هيئة تحرير الشام في 2017 ضمن من اعتقلتهم من الشخصيات التي كانت تسعى لتأسيس فرع جديد للقاعدة في سوريا. وشغل منصباً قيادياً في تنظيم حراس الدين بعد تأسيسه، وقد قتل في 29 كانون أول/ ديسمبر 2018 في منطقة اللجاة بريف درعا، هو ومجموعة من رفاقه برصاص قوات النظام السوري، أثناء محاولته تأسيس فرع في جنوب سوريا، ونعاه تنظيم حراس الدين في بيان رسمي، وقال بأن أبا جليبيب ورفاقه «ارتقوا إلى ربهم وهم مقبلون عازمون على إعادة جذوة الجهاد إلى أرض حوران المباركة، مهد هذا الجهاد المبارك».

أبو خديجة الأردني: اسمه الحقيقي بلال خريسات أردني الجنسية، كان مقرباً من أبي محمد المقدسي وأمضيا معا عدة سنوات في السجن، تلقى خلالها أبو خديجة دروسا شرعية في العقيدة والأصول من المقدسي، قضى في السجن أكثر من 10 سنوات ثم خرج منه مع بداية الثورة السورية، غادر إلى سوريا والتحق بجبهة النصرة وعمل مسؤولاً شرعياً في قاطع الغوطة الشرقية، ثم قاضيا للأمنيين، عُزل بعد ذلك من منصبه بتوصية من لجنة المتابعة في جبهة النصرة. طوال المدة التي أمضاها في سوريا كان من أقرب المقربين إلى أبي جليبيب الأردني. بعد الإعلان عن جبهة فتح الشام أبدى رفضه للخطوة وأعلن تمسكه ببيعة القاعدة، عمل مع القادة الآخرين على تأسيس تنظيم حراس الدين. وقتل خريسات في 22 كانون أول/ ديسمبر 2019، بقصف لطائرة من دون طيار استهدفت سيارته في محافظة إدلب، وقبل مقتله بشهور رشحت معلومات أنه كان على خلاف مع قادة تنظيم حراس الدين، وهو ما أكده أبو محمد المقدسي في تغريدة كتبها عقب اغتياله وقال بأن بلال خريسات لم يكن من حراس الدين ولا من القاعدة. لكن ذلك لا يلغي دوره في تأسيس حراس الدين خصوصاً وأنه كان ناشطا على منصات التواصل الاجتماعي ولا يفتأ يحرض ويحشد لصالح العودة إلى القاعدة، وقد يكون بيان التعزية الذي أصدره حراس الدين دليلا على هذا الأمر.

* * *

المصادر والمراجع

الكتب العربية والمترجمة

أبو بكر ناجي، إدارة التوحش: أخطر مرحلة ستمر بها الأمة، بدون تاريخ، على الرابط:

https://tinyurl.com/ydnzkprm

أبو جندل الأزدي، أسامة بن لادن: مجدد الزمان وقاهر الأمريكان، منتدى الأنصار، ومنبر التوحيد والجهاد، بدون تاريخ.

أبو عبدالله الشامي، في ظلال دوحة الجهاد، الطبعة الأولى، 2016، جامع الكتب المصورة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4aj97ncb

أبو مصعب السوري (عمر عبدالحكيم)، دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، طبعة ذي القعدة 1425هـ/ ديسمبر 2004م، على الرابط:

https://tinyurl.com/yf99gduo

أسامة بن لادن، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين الشيخ أسامة بن محمد بن لادن، الطبعة الأولى 2006.

د. أكرم حجازي، دراسات في السلفية الجهادية، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2013.

د. أكرم حجازي، رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية: القاعدة نموذجاً، على الرابط:

https://tinyurl.com/yg2bpxhd

أوليفيه روا، عولمة الإسلام، ترجمة لارا معلوف دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2003.

أيمن الظواهري، فرسان تحت راية النبي، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yjekec9s

باسل محمد، صفحات من سجل الأنصار العرب في أفغانستان، شركة دار العلم للطباعة والنشر، الرياض، 1991.

بشير البكر، القاعدة في اليمن والسعودية، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2010.

توماس هيغهامر، القافلة: عبدالله عزام وصعود الجهاد العالمي، ترجمة عبيدة عامر، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2021.

جان شارل بريزار، أبو مصعب الزرقاوي: الوجه الآخر لتنظيم القاعدة، ترجمة هالة صلاح الدين لولو، الدار العربية للعلوم – ناشرون، الطبعة الأولى، 2006،.

د. جوزيف مسعد، ديمومة المسألة الفلسطينية، دار الآداب، بيروت، الطبعة الأولى، 2009.

جوناثان راندل، أسامة، نقله إلى العربية شكري رحيم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005.

حازم الأمين، السلفي اليتيم: الوجه الفلسطيني للجهاد العالمي والقاعدة، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2011.

حسن أبو هنية، الجهادية العربية: اندماج الأبعاد – النكاية والتمكين بين «الدولة الإسلامية» و«قاعدة الجهاد»، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة/ بيروت، الطبعة الأولى، 2018.

حسن أبو هنيّة ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية: الأزمة السنية والصراع على الجهادية العالمية، مؤسسة فريدريش أيبرت، عمان، الطبعة الأولى،2015

رفعت سيد أحمد، تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1989.

روبرت تابر، حرب المستضعفين: دراسة كلاسيكية في حرب العصابات، تعليق الشيخ أبي مصعب السوري، على الرابط:

https://tinyurl.com/uad3y4sn

ستيف كول، آل بن لادن: وعالم النفط والمال والإرهاب، ترجمة إيمان عبدالغني نجم، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2014.

ستيفان لاكروا، زمن الصحوة: الحركات الإسلامية المعاصرة في السعودية، ترجمة عبدالحق الزموري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت الطبعة الأولى، 2012.

ضياء رشوان، فلسطين في رؤية أسامة بن لادن، دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، الطبعة الأولى، يناير/ 2006.

عبد الله عزام، السرطان الأحمر، مكتبة الأقصى، عمان، 1980.

عبد الله أنس، ولادة الأفغان العرب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى 2002.

فاضل هارون، الحرب على الإسلام: مذكرات فاضل هارون، راجعه وقدم له الشيخ أبو خيبر الأنصاري، مركز دراسات قضايا العالم الإسلامي، 1443 هـ.

فؤاد حسين، الزرقاوي: الجيل الثاني للقاعدة، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2005.

فرانسوا بورغا، الإسلام السياسي في زمن القاعدة، ترجمة سحر سعيد، شركة قدمس للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2006.

الدكتور فواز جرجس، القاعدة الصعود والأفول: تفكيك نظرية الحرب على الإرهاب، ترجمة الدكتور محمد شيتا، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، الطبعة الأولى،.2012.

كميل الطويل، القاعدة وأخواتها: قصة الجهاديين العرب، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى 2007.

لورانس رايت، البروج المشيدة: القاعدة والطريق إلى 11 سبتمبر، ترجمة هبة نجيب مغربي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2011.

مانيولا لميدا، هل وفاة الشيخ نهاية لتنظيم القاعدة، صمن: القاعدة بعد بن لادن، مجموعة مؤلفين، المسبار، دبي، الطبعة الأولى، 2012.

مايكل شوير، الفوقية الإمبريالية الأمريكية: لماذا يخسر الغرب الحرب على الإرهاب، ترجمة سيمة محمد عبدربه، الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.

محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، عاشقات الشهادة: تشكّلات الجهادية النسوية من القاعدة إلى الدولة الإسلامية، مؤسسة فريدريش آبيرت، عمان، الطبعة الأولى، 2017.

محمد أبو رمان، وحسن أبو هنيّة، السلفية الجهادية في الأردن بعد مقتل الزرقاوي، مقاربة الهوية -أزمة القيادة- ضبابية الرؤية، مؤسسة فريدريش ايبرت، عمان، الطبعة الأولى، 2009.

محمد عبدالسلام فرج، الجهاد: الفريضة الغائبة، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yjjfyy2r

محمد محمود ولد محمدو، الهجمة المضادة للحملة الصليبية: جذور وتداعيات الحادي عشر من سبتمبر، ترجمه عن الفرنسية: أحمد صالح أحميِّد، عالم الكتب الحديث، إربدْ، الأردن، الطبعة الأولى 2010.

محمود الرفاعي، المشروع الإصلاحي في السعودية: قصة الحوالي والعودة، واشنطن، 1995.

مراد بطل الشيشاني، الحركة الإسلامية في الشيشان: والصراع الشيشاني- الروسي، مركز القدس للدراسات السياسية، عمان، الطبعة الأولى 2002..

الأبحاث والمقالات

آرون لوند، الدوّامة الجهادية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، على الرابط:

https://tinyurl.com/yxbw52rj

آدام روبرتس: نهاية الاحتلال في العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد 307.

آندرو جافن مارشال، القاعدة وموارد الطاقة والإمبريالية: شبكة الإرهاب الأنكلو-أمريكية، على الرابط:

https://tinyurl.com/5ftdj2ve

أبو القسام الأردني، شهادة ورد على الأباطيل الواردة في كلمة الشيخ عبدالرحيم عطون، على الرابط:

https://tinyurl.com/4x8j52rx

أبو مصعب الزرقاوي، حوار مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي، 1427 هـ، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yg7ujod7

أبو مصعب الزرقاوي، إفادة أسير: يا قوم مالي أدعوكم إلى الجنة وتدعونني إلى النار، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات أسد الإسلام الشيخ أبو مصعب الزرقاوي.

أبو مصعب السوري، أهل السنة في الشام في مواجهة النصيرية الصليبية واليهود، على الرابط:

https://tinyurl.com/yeuaw9jv

أبو مصعب السوري، ملاحظات حول التجربة الجهادية في سورية، على الرابط:

https://tinyurl.com/43mxcvey

أبو مصعب عبدالودود، توجيهات عامة بخصوص المشروع الإسلامي الجهادي بأزواد، جامع الكتب الإسلامية، على الرابط:

https://tinyurl.com/yb52bnj5

أسامة بن لادن، الرسالة الثانية إلى الشعب الأمريكي: الحرب؛ أسبابها ونتائجها، 29 تشرين ثاني/ أكتوبر 2004، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين الشيخ أسامة ابن محمد بن لادن، الطبعة الأولى 2006.

أسامة بن لادن، الرسالة الثانية إلى الشعب الأمريكي: الحرب؛ أسبابها ونتائجها، 29 تشرين ثاني/ أكتوبر 2004، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين الشيخ أسامة بن محمد بن لادن، الطبعة الأولى 2006.

أسامة بن لادن، الرسالة الأولى إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة: (بشائر وتذكير وتحريض ومؤازرة) 10 ذو الحجة 1423هـ - 11 فبراير/ شباط 2003م، الأرشيف الجامع لكلمات وخطابات إمام المجاهدين الشيخ أسامة بن محمد بن لادن، الإصدار الأول، الطبعة الأولى، 3 حزيران/ يونيو 2006.

إريك شميت، تحذيرات أمريكية من خطر فرع «القاعدة» السوري، نيويورك تايمز، ترجمة باسل درويش، عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/4jra8dxy

د. أكرم حجازي، الثورة السورية ومسارات التدويل (6)، خريطة القوى المسلحة، موقع زمان الوصل على الرابط:

https://tinyurl.com/ydka6v9r

أمين العاصي، «فاثبتوا» والمتمردون على «النصرة»: استباقاً للمعركة أو ذريعة لها؟ صحيفة العربي الجديد، على الرابط:

https://tinyurl.com/ypb94hp3

أنتوني كوردسمان، العراق ما العمل، المستقبل العربي، بيروت، عدد 304.

أيمن الظواهري، الطريق إلى القدس يمر عبر القاهرة، مجلة المجاهدون، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzvckd6g

أيمن الظواهري، توجيهات عامة للعمل الجهادي، مؤسسة السحاب، على الرابط:

https://tinyurl.com/y59jtwu4

باسل الجنيدي، قصّة «أصدقاء صيدنايا»: أقوى ثلاثة رجال في سوريا اليوم! الجمهورية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/yw84xaay

بول ماري دو لا غورس، الحرب الوقائية، مفهوم استراتيجي خطير، على الرابط:

https://tinyurl.com/

بولا أسطيح، انشقاقات في «هيئة تحرير الشام» وهاشم الشيخ يستقيل من القيادة، موقع الشرق الأوسط، على الرابط:

https://tinyurl.com/2ehz4ae6

بيتر نيومان، جهاديو في سوريا: لا يلومن الأسد إلا نفسه، ترجمة ياسر الزيات، الجمهورية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/266f37pp

تشارلز ليستر، انقلاب القاعدة على تابعها السوري، ترجمة أنسى عيسى، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4rd8evxa

تشارلز ليستر، تأثيرات الأزمة السورية وانكسار القاعدة، ترجمة هبه المنسي، الوطن العربي، على الرابط:

https://tinyurl.com/294j3vfv

تشارلز ليستر، انقلاب القاعدة على تابعها السوري، ترجمة أنسى عيسى، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4rd8evxa

تشارلز ليستر، الأزمة مستمرة، تحليل المشهد العسكري في سوريا، مركز بروكنجز الدوحة، موجز السياسة، مايو 2014، على الرابط:

https://tinyurl.com/yhjadd66

تشارلز ليستر، جبهة النصرة ماتت وأقوى من أي وقت مضى، ترجمة عبدالرحمن الحسيني، مجلة «فورين بوليسي»، جريدة الغد، على الرابط:

https://tinyurl.com/b92x23eh

تشارلز ليستر، صراع داخلي: المجموعة التابعة لتنظيم القاعدة في سوريا تتصارع مع هويتها، مركز بروكنجز، على الرابط:

https://tinyurl.com/a7neakax

توماس بيكرينج وجيمس شليزنجر وأريك شوارتز، العراق بعد عام واحد، المستقبل العربي بيروت، العدد 302.

وليم بولك، الواقع والخيارات في حرب العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد 311.

توماس هيجهامر، بالذكرى الـ 30 للاغتيال الغامض لـ «إمام الجهاد».. من قتل الشيخ عزام؟ الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/t4eds7cn

جنيفر كافاريلا؛ ونيكولاس هيراس؛ وجينيفيف كاساغراند، تنظيم القاعدة يكسب قوة في سورية، – (فورين بوليسي) ترجمة: عبدالرحمن الحسيني، صحيفة الغد، على الرابط:

https://tinyurl.com/4u7vysmc

جوناثان ماركوس، سوريا وغموض يحيط بالمستقبل بعد استعادة حلب، بي بي سي عربي، على الرابط:

https://tinyurl.com/s9txa395

حسن أبو هنية، «حراس الدين» وتكيّفات «القاعدة» في سوريا، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/345k837b

حسن أبو هنيّة، لماذا صنفت أمريكا «هيئة تحرير الشام» منظمة إرهابية؟ عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/whfewtwp

حسن أبو هنيّة، تنظيم القاعدة على طريق الانقسام والانحدار، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/ywar54ur

حسن أبو هنيّة، هل يقود حمزة بن لادن «القاعدة» إلى حقبة جهادية جديدة؟ موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/4mwwhtp3

حسن أبو هنيّة، هل دخلت الجهادية العالمية فلسطين، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/ydkfqz3l

حسن أبو هنيّة، فلسطين: كمرحلة جديدة لتنظيم «الدولة الإسلامية» زمن «صفقة القرن»، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/yt9b4avk

حسن أبو هنية، هل انتهت «مجموعة خراسان» داخل النصرة، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/yk53mvs7

حسن أبو هنية، القاعدة واندماج الأبعاد.. ولادة ثالثة ونشأة مستأنفة، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/ye8chru8

دياب سرية، أكاديمية سجن صيدنايا العسكري، صناعة التطرف، الجمهورية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/23prjc2y

ديفيد جارتينستين روس وكايل دابروزي، هل لا تزال القيادة المركزية للقاعدة مترابطة؟ ترجمة صادق أبو السعود، مركز القدس للدراسات السياسية، على الرابط:

https://tinyurl.com/vhxvt72n

ديدييه بيّون، ألعاب ماكرة ومصالح مشتركة: العلاقة التركية–الروسية بين التحالف المستحيل والقطيعة غير المحتملة، ترجمة هشام المنصوري، مجلة أورينت ixx على الرابط:

https://tinyurl.com/yhtvhm6q

رافائيل لوفيفر، الكفاح المسلح لجماعة الإخوان السورية، على الرابط:

https://tinyurl.com/ygq4ug7h

رزان زيتونه، الإسلاميون السوريون وغواية الجهاد في العراق، ضمن الإخوان المسلمون في سوريا، مؤلَّف جماعي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب الثاني والثلاثون، أغسطس/ آب 2009.

رضوان مرتضى «القاعدة»: طريق القدس يمرّ في سوريا، صحيفة الأخبار، على الرابط:

https://tinyurl.com/4bc87h9p

ريتشارد رابيت، ما بعد الخلافة: المقاتلون الأجانب وتهديد العائدين، مركز صوفان، ترجمة آمال وشنان، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، على الرابط:

https://tinyurl.com/yhllwjpd

سام هيلر، «تسريب يكشف عن ضعف قبضة الجهاديين على إدلب»، موقع «وور أون ذا روكس»، على الرابط:

https://tinyurl.com/huh9du94

سامي العريدي، سلسلة لله ثم للتاريخ، شهادات حول فك الارتباط بين جبهة النصرة وتنظيم القاعدة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4jt48x95

سيف العدل، تجربتي مع أبي مصعب الزرقاوي، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzlxvu3d

صالح الحموي، صراع هيئة تحرير الشام وحرّاس الدين... من الشراكة إلى العداء! ترجمة: علي كمخ، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/9vy8p9zu

عبد الله بن عبدالعزيز بن باز، حكم الاستعانة بالكفار في قتال الكفار، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، على الرابط:

https://tinyurl.com/5fyadks5

عبد الغني مزوز، تنظيم حراس الدين: إشكاليات النشأة والتفكيك، المعهد المصري للدراسات، على الرابط:

https://tinyurl.com/4732ubsy

عبيدة عامر، رحلة «الجولاني».. من رحم «داعش» إلى استنساخ «حزب الله»، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/43rykn3w

عروة عجوب، هيئة تحرير الشام والقاعدة في سوريا: التوفيق بين المتناقضين، ترجمة أحمد بركات، أصوات أونلاين، على الرابط:

https://tinyurl.com/uj8azvta

عروة عجوب، هل ستقضي هيئة تحرير الشام على القاعدة في سوريا؟ على الرابط:

https://tinyurl.com/rwcycetc

فاتح كريكار، الرؤية الزرقاوية وحملها الثقيل، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzs4xbk3

فادي شامية، الإخوان المسلمون والطليعة المقاتلة والعلاقة مع السلطة، ضمن الإخوان المسلمون في سوريا، مؤلف جماعي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب الثاني والثلاثون، أغسطس/ آب 2009.

فرانشيسكو مارون، لماذا لا تعيد الدول الأوروبية مقاتليها الأجانب؟ عين أوروبية على التطرف، على الرابط:

https://tinyurl.com/4mmr7pe6

فيليس بينيس، انتقال فاشل للسلطة، النفقات المتصاعدة لحرب العراق، المستقبل العربي، بيروت، عدد 30.

كرم الحفيان، المقدسي والسلفية الجهادية: المكانة والتأثير، المعهد المصري للدراسات، على الرابط:

https://tinyurl.com/ssskkyje

كول بونزل، لماذا يتواجد قادة القاعدة في إيران؟ مجلة «فورين أفيرز» الأميركية، على الرابط:

https://tinyurl.com/yyyfuz8r

ماثيو ليفيت، المواءمة بين مكافحة الإرهاب وتنافس القوى العظمى، معهد واشنطن، على الرابط:

https://tinyurl.com/kw9tp6h4

مايكل روبن، الطريق السوري إلى الإرهاب الإسلامي، ميدل إيست فورم، شتاء 2010، على الرابط:

https://tinyurl.com/42ja9h87

محمد أبو رمان وحسن أبو هنية، «أنصار الشريعة»: أشكال استجابة «القاعدة» للتحول الديمقراطي في العالم العربي، المركز اللبناني للأبحاث والاستشارات، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzcxx37c

محمد حافظ، الأزمة داخل الحركة الجهادية: تشدد تنظيم الدولة الإسلامية في مقابل شعبوية القاعدة، مركز مكافحة الإرهاب، على الرابط:

https://tinyurl.com/2d38ms7a

مراد بطل الشيشاني، أبو مصعب السوري والجيل الثالث من السلفيين الجهاديين، ضمن الإخوان المسلمون في سوريا، مؤلف جماعي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب الثاني والثلاثون، أغسطس/ آب 2009.

مراد بطل الشيشاني، من هم «أنصار الشريعة» في اليمن، على الرابط:

https://tinyurl.com/s74hkmvw

مزمجر الشام، القاعدة في سوريا.. الولادة الثانية، موقع على بصيرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/yvxfbr4j

مصطفى حامد (أبو الوليد المصري)، تنظيم القاعدة إلى أين؟، على الرابط:

https://tinyurl.com/67urkk6f

مكسيم تشيكس، غموض الغرب حول إدلب وتمزيق معاهدة الشيطان، ترجمة سراب الأسمر، موقع الثورة، على الرابط:

https://tinyurl.com/nbxh3tsy

نسيب عبدالعزيز، مقتل أبو هاجر الحمصي.. أكثر من غارة جوية، موقع المدن، على الرابط:

https://tinyurl.com/v7jjmhc

هارون ي. زيلين، المقاتلون السنة الأجانب في سوريا: الخلفية والعوامل المسهّلة والاستجابات المختارة، معهد واشنطن، على الرابط:

https://tinyurl.com/yegtgrew

هيثم مناع، سجن صيدنايا: بين الحقيقة والتوظيف، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/48nk4aec

التقارير والبيانات

أبو جليبيب الأردني للجولاني: هكذا أساءت تحرير الشام لزوجتي، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/wtau327f

أسامة بن لادن رحمه الله، مركز الفجر للإعلام، الثلاثاء 29جمادى الأولى1432هـ الموافق: 3مايو2011م، على الرابط:

https://archive.org/details/Qaeda_BenLaden2

إعلان تشكيل جبهة النصرة في بلاد الشام، على الرابط:

https://tinyurl.com/yg2fvase

العربية نت تنفرد بحوار مع أهم قادة داعش في العراق (عبد الناصر قرداش)، العربية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/ya3dmyu5

الظواهري يلغي دمج «جهاديي» سوريا والعراق، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/yjzma9x6

الهيئة وإعادة تشكيل الفضاء الجهادي.. ترتيبات داخلية ورسائل خارجية، مركز عمران للدراسات الإستراتيجية، على الرابط:

https://tinyurl.com/279y9xm8

أمريكا تعتبر جبهة النصرة السورية المعارضة منظمة إرهابية، رويترز، على الرابط:

https://tinyurl.com/yh6kctww

أفضل الخيارات السيئة لإدلب السورية، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم 197، 14 آذار/ مارس 2019، على الرابط:

https://tinyurl.com/cc89vz4c

أمريكا لم تقتل «أبو عمر سراقب» والأرجح أن غارة روسية قتلته في حلب، موقع 24، على الرابط:

https://tinyurl.com/5bjshenn

«القاعدة» توافق ضمنيا على انفصال «النصرة» عنها، عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/5f8n3w4k

العامل الجهادي في إدلب السورية: حديث مع أبو محمد الجولاني، مجموعة الأزمات الدولية بالتعاون مع مركز الحوار الإنساني في جنيف، على الرابط:

https://tinyurl.com/yhuyh26r

«ألوية عبدالله عزام» تحلّ نفسها في سوريا، ترجمة نداء سوريا، موقع «لونغ وور جورنال»، على الرابط:

https://tinyurl.com/yjbmf3a4

بيان من تنظيم القاعدة، ونبشركم الشيخ حي يرزق ولله الحمد، رسالة من قاعدة الجهاد إلى أمتنا المسلمة وشعبنا البطل في فلسطين، على الرابط:

https://tinyurl.com/tw9xcsxx

بيان الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصليبيين، على الرابط:

https://tinyurl.com/ja25ustf

بيان بيعة جماعة التوحيد والجهاد لتنظيم قاعدة الجهاد، منبر التوحيد والجهاد، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzw95596

تركيا تصف إدلب بقطاع غزة الجديد.. ما أوجه الشبه، موقع عنب بلدي، على الرابط:

https://tinyurl.com/rs9exp3k

تنظيم قاعدة الجهاد/ القيادة العامة، بيان بشأن خلافة الشيخ أسامة بن لادن في إمارة جماعة قاعدة الجهاد، مركز الفجر الإعلامي، على الرابط:

https://archive.org/details/nvbdspocez

تنظيم قاعدة الجهاد- القيادة العامة، عشتَ حميداً ومتَّ شهيداً، بيان بشأن ملحمة الإباء، واستشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله، مركز الفجر للإعلام، الثلاثاء 29جمادى الأولى 1432هـ الموافق: 3 مايو 2011م، على الرابط:

https://archive.org/details/Qaeda_BenLaden2

تنظيم قاعدة الجهاد- القيادة العامة، كلمة شهيد الإسلام -كما نحسبه- لأمته المسلمة، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، 17 جمادى الثانية 1432هـ،20/ 5/ 2011م، على الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=UkiGwWG3xuw

جبهة النصرة السورية تبايع الظواهري زعيم القاعدة، رويترز، على الرابط:

https://tinyurl.com/yeusg4yn

جبهة النصرة تنفصل عن القاعدة وتغير اسمها، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/2t2kwhj2

جيفري يشرح سياسة بلاده في سورية ويقدم وصفاً مفاجئاً لهيئة «تحرير الشام»، الموقع الإلكتروني لتلفزيون سوريا، على الرابط التالي:

https://tinyurl.com/4a72j658

غارة للتحالف تقتل 25 عنصرا من جبهة فتح الشام، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/eundp25h

في إدلب السورية، فرصة واشنطن لإعادة تصوّر مكافحة الإرهاب، مجموعة الأزمات الدولية، على الرابط:

https://tinyurl.com/3s8kerme

قيادي في «تحرير الشام» يكشف عن اتجاه فصيله للتطبيع.. وتوضيح عاجل من «الهيئة»، الدرر الشامية، على الرابط:

https://tinyurl.com/jtd5fzht

كتائب عبدالله عزام، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/ye8zhku9

لقاء مركز الفجر للإعلام مع صالح القرعاوي القائد الميداني في كتائب عبدالله عزام، على الرابط:

https://tinyurl.com/yfemuan2

لماذا أقدمت هيئة تحرير الشام على خطوة التوقيف الأخيرة لبعض الإخوة، وثيقة نشرها الإعلام الرديف التابع لهيئة تحرير الشام، على الرابط:

https://tinyurl.com/ap6hf3ab

ماجد الماجد يموت على سرير اعتقاله بالمستشفى العسكري في بيروت، فرانس 24، على الرابط:

https://tinyurl.com/yf9fh8nt

ماذا بإمكان الولايات المتحدة أن تفعل في العراق، المجموعة الدولية للازمات، المستقبل العربي، بيروت، عدد 312.

مزمجر يكشف معلومات مثيرة عن القاعدة والأردنيين والجولاني، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/ffcaxrsx

مجموع مراسلات الشيخين عطية الله الليبي وماجد الماجد، مؤسسة نخبة الفكر، على الرابط:

https://tinyurl.com/ygzrgpkq

مقابلة مع بن لادن أجراها عبدالباري عطوان رئيس تحرير صحيفة القدس العربي الصادرة بلندن فى تشرين الثانى (نوفمبر) عام 1996.

مقتل العشرات من «النصرة» في ريف حلب الغربي بغارة للتحالف، الميادين نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/wspkyd4m

مهمة بريطانية في غاية السرية لقتل نجل بن لادن في سوريا، موقع روسيا اليوم، على الرابط:

https://tinyurl.com/42sh5d53

نص اتفاق الهدنة في سورية والجهات الموقعة عليه، موقع قناة الحرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/4s5uunbt

نيويورك تايمز: عملية تبادل أسرى بين إيران والقاعدة، موقع عربي 21، على الرابط:

https://tinyurl.com/ygv4xqqd

هل تتحول إدلب السورية إلى قطاع غزة جديد»؟، يورونيوز، على الرابط:

https://tinyurl.com/3nnrvhxd

هل تمتلك أمريكا «بنك اغتيالات» لضرب «فتح الشام»؟.. الغارات الأخيرة تعيد للأذهان اتفاق موسكو وواشنطن لـ «تصفيتها»، موقع السورية نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/e7ysz9u2

هل فرع القاعدة بإدلب في طريقه إلى الزوال؟، المونيتور، ترجمة نداء بوست، على الرابط:

https://tinyurl.com/4yzemwnr

هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سوريا، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم 131 – 12 تشرين الأول/ أكتوبر 2012، على الرابط:

https://tinyurl.com/yzq96sn6

«هيئة تحرير الشام» تستكمل سيطرتها على إدلب بعد طرد خصمها «أحرار الشام»، صحيفة القدس العربي، على الرابط:

https://tinyurl.com/26s3dncj

هيئة تحرير الشام.. تكتل الرافضين لأستانا، الجزيرة نت، على الرابط:

https://tinyurl.com/y6jkbjbx

هيئة تحرير الشام، وللقضاء كلمة الفصل، على الرابط:

https://tinyurl.com/635n9dd

هيئة النصيحة والإصلاح، رسالة مفتوحة إلى الشيخ ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود، البيان رقم 11، 29/ 12/ 1994..

هيئة النصيحة والإصلاح، البيان رقم 1.

وثيقة تكشف خلفاء الظواهري في قيادة «القاعدة»، موقع 24، على الرابط:

https://tinyurl.com/stab7dbr

المرئيات والصوتيات

أبو بكر البغدادي، كلمة صوتية بعنوان: وبشر المؤمنين، مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

https://tinyurl.com/yer2gyuq

أبو محمد العدناني، كلمة صوتية بعنوان: عذرا أمير القاعدة، مؤسسة الفرقان، على الرابط:

https://tinyurl.com/ymhu43st

أبو ماريا القحطاني، أيها المتردد، رسالة صوتية، على الرابط:

https://tinyurl.com/266kd8x9

أبو همام الشامي، يا أهل الشام الثبات الثبات، كلمة صوتية مؤسسة شام الرباط للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

https://tinyurl.com/2f76k3p9

أسامة بن لادن، كلمة صوتية، السبيل لخلاص فلسطين، مؤسسة السحاب، على الرابط:

https://tinyurl.com/yhysjb8x

أيمن الظواهري، كلمة مرئية بعنوان: عز الشرق أوله دمشق، بتاريخ 28/ 7/ 2011، مؤسسة السحاب، على الرابط:

https://tinyurl.com/yg46ekm2

أيمن الظواهري، «إلى الأمام يا أسود الشام»، مؤسسة السحاب في 12شباط/ فبراير 2012، على الرابط:

https://tinyurl.com/ygqgwso6

أيمن الظواهري، «شهادة لحقن دماء المجاهدين بالشام»، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

https://tinyurl.com/9kd2pbc8

أيمن الظواهري، الواقع بين الألم والأمل، لقاء صوتي مفرغ أجرته مؤسسة السحاب السابع، في أيار/ مايو 2014، على الرابط:

https://tinyurl.com/ye69hgbb

أيمن الظواهري، الشام لن تركع إلا لله، مؤسسة السحاب، على الرابط:

https://tinyurl.com/2n9w4hdc

أيمن الظواهري، سنقاتلكم حتى لا تكون فتنة، كلمة صوتية، مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي، على الرابط:

https://tinyurl.com/2ajfvahc

أيمن الظواهري، فلنقاتلهم بنيانا مرصوصا، مؤسسة السحاب، على الرابط:

https://tinyurl.com/2hzt3wyp

التسجيل المسرب الكامل للقيادي والشرعي أبو فتح الفرغلي، على الرابط:

https://tinyurl.com/36447tz4

بلا حدود، أبو محمد الجولاني أمير جبهة النصرة، الجزيرة، على الرابط:

https://tinyurl.com/2myx5a4c

عبد الرحيم عطون، الرد على كلمة الظواهري «سنقاتلكم حتى لا تكون فتنة»، على الرابط:

https://tinyurl.com/8cxp2955

لقاء الجولاني بإعلاميين غربيين: الدلالات والأهداف، مركز جسور للدراسات، على الرابط:

https://tinyurl.com/4zyb86j2

مقابلة بن لادن مع محطة السي إن إن، 1997، على الرابط:

https://tinyurl.com/khyurauf

مقابلة بن لادن مع محطة أي بي سي، كانون أول/ ديسمبر 1998، على الرابط:

https://tinyurl.com/38vcdt8z

ولاية اليمن، معذرة إلى ربكم، وثائقى يسلط الضوء على مسيرة انحراف تنظيم القاعدة بعد ما عُرف (بثورات الربيع العربي)، إصدار مرئي، على الرابط:

https://tinyurl.com/26p546v2

لماذا تنظيم حراس الدين؟! سؤال مشروع ومهم، لأنّه بمقاييس القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية والنصرة صغير، محدود الحجم، يعاني من أزمات كبرى منذ البداية. لكن في الوقت نفسه فإنّ التنظيم يعكس ما وصل إليه مشروع القاعدة في المشرق العربي.

الكتاب هو رحلة في التضاريس الأيديولوجية والتنظيمية والحركية لمحاولات القاعدة اختراق بلاد الشام، وهي تضاريس تتشكّل من التحول بداية من الجهاد المحلي القريب نحو "عولمة الجهاد" البعيد، ثم مشروع الزرقاوي في العراق الذي دمج البعدين، فالحالة السورية، وبروز النصرة، وما رافق ذلك كلّه من خلافات أيديولوجية ومراجعات قامت بها القاعدة المركزية ونقاشات فكرية وظروف سياسية وسياسات خارجية ساهمت في صعود التنظيمات القاعدية وفي تراجعها."

" من الخطأ الفادح عزل مشروع القاعدة عموماً، وفي المشرق العربي خصوصاً (العراق وبلاد الشام) عن البيئة السياسية والاستراتيجية، دولياً وإقليمياً وداخلياً. فأيديولوجيا القاعدة تطورت في سياقات تاريخية وسياسية كانت عاملاً مهماً في تفسير التحولات والتطورات التي مرّ بها التنظيم ثم الشبكات المتعددة التي تفرّعت عنه، منذ مرحلة مبكّرة أي تأسيس الجماعات المحلية ذات الفكر الجهادي الذي يقوم على مبدأ "قتال الأنظمة" بوصفه "الفريضة الغائبة" على حد تعبير محمد عبد السلام فرج وصولاً إلى تنظيم حراس الدين، الذي يمثّل اليوم ما آل إليه مشروع القاعدة في المنطقة أو بعبارة أدق مسار الصعود والهبوط منذ احتلال العراق في العام 2003.



ISBN 978-9923-759-34-9